

الكشف والبيان

المعروف

تفسير الثعلبي

للإمام الهمام أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي

ت ٤٢٧ هـ

دراسة وتحقيق

الإمام أبي محمد بن عايش

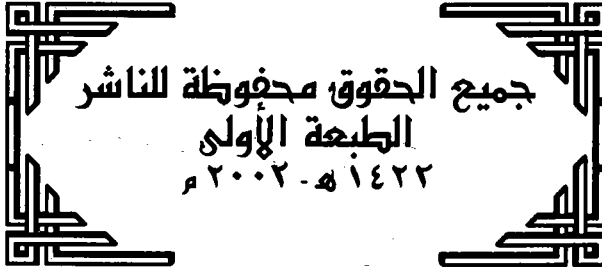
مراجعة وتدقيق

الأستاذ نظير الساعدي

الجزء الأول

دار الحياة التراث العربي

بيروت - لبنان



DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI

Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٧١٧ - ٨٥٠ - ٨٥٠٦٢٣ - ص.ب: ٧٩٥٧/١١

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

الكِشْفُ وَالْبَيَانُ
المَعْرُوفُ
تفسير الثعلبي

ترجمة الثعلبي

(ت ٤٢٧ هـ - ١٠٣٥ م)

هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، اقترن واشتهر اسمه باسم تفسيره، حتى عُرف تفسيره باسم (تفسير الثعلبي) والذي هو في الحقيقة (الكشف والبيان في تفسير القرآن) وبسبب كثرة شيوع الكتاب وانتشاره في البلدان ولسهولة النسبة لمؤلفه سُمي بالأول، وترجم له كثير من أصحاب التراجم والسير في كتبهم، منهم:

ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (١ / ٧٩ - ٨٠):

أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، النيسابوري، المفسر المشهور، كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنّف (التفسير الكبير) الذي فاق غيره من التفسير، وقال السمعاني: يقال له: الثعلبي والثعالبي وهو لقب لا نسب، روى عن جماعة، وكان حافظاً عالماً بارعاً في العربية موثقاً، أخذ عنه أبو الحسن الواحدي، وقد جاء عن أبي القاسم القشيري قال: رأيت رب العزة في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه، فكان في أثناء ذلك أن قال الربّ جلّ اسمه: أقبل الرجل الصالح، فالتفت فإذا أحمد الثعلبي مقبل.

وذكره عبد الغفار بن إسماعيل الفارسي في (تاريخ نيسابور) وأثنى عليه وقال: وهو صحيح النقل موثوق به، حدّث عن أبي طاهر بن خزيمة، والإمام أبي بكر بن مهران المقرئ، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٧: ٣٠٧ ترجمة ٣٢٩٩):

أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب التفسير، كان أوحد زمانه في علم القرآن، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء، وذكر ما تقدم.

ياقوت في «معجم الأدباء» (٥: ٣٦ / ٥):

المفسر، صاحب الكتاب المشهور بأيدي الناس، المعروف بتفسير الثعلبي، مات - فيما ذكره عبد الغني بن سعيد الحافظ المصري، ونقلته من حاشية كتاب «الإكمال» لابن ماكولا، في محرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة، فقال: أبو إسحاق الثعلبي المفسر، جليل، خراساني، وذكر وفاته. وذكره عبد الغفار في السياق فقال: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي،

المقرئ، المفسر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، ولكمال أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات، ثم كتاب العرائس والقصص، وغير ذلك مما لا يحتاج إلى ذكره لشهرته، وهو صحيح النقل موثوق به، حدّث عن أبي طاهر بن خزيمة، وأبي بكر بن مهران المقرئ، وأبي بكر بن هانئ، وأبي بكر بن الطرّازي، والمخلدي، والخفاف، وأبي محمد بن الرومي، وطبقتهم. وهو كثير الحديث، كثير الشيوخ - وذكر وفاته كما تقدم -.

قال: وسمع منه الواحدي التفسير وأخذه منه، وأثنى عليه، وحدّث عنه بإسناد رفعه إلى عاصم، قال: الرياسة بالحديث رياسة نذلة، إن أصحّ الشيخ وحفظ وصدق فاحمى، قالوا: هذا شيخ كئيس. وإذا وهم قالوا: شيخ كذاب. وله كتاب ربيع المذكّرين.

ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢ / ٤٣):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي:

ويقال الثعلبي أيضاً، وهو لقب وليس بنسبة، النيسابوري المفسر المشهور، له التفسير الكبير، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء (عليهم السلام) وغير ذلك، وكان كثير الحديث واسع السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير، وذكره عبد الغفار بن إسماعيل الفارسي في تاريخ نيشابور وأثنى عليه وقال: هو صحيح النقل موثوق به، توفي في سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وقال غيره: توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم منها، ورؤيت له منامات صالحة (رحمه الله)، وقال السمعاني: ونيسابور كانت هبة^(١) فأمر سابور الثاني ببنائها مدينة.

السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٤: ٥٨ - ٥٩ / ترجمة ٢٦٧):

أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي: صاحب التفسير، كان أوحد زمانه في علم القرآن، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء (عليهم السلام) . . . إلى أن قال: روى عن أبي طاهر محمد بن الفضل بن خزيمة، وأبي محمد المخلدي، وأبي بكر بن هانئ، وأبي بكر بن مهران المقرئ، وجماعة. وعنه أخذ أبو الحسن الواحدي، ثم ذكر رؤيا القشيري . . . ومن شعر الثعلبي:

وإني لأدعو الله والأمر ضيِّق عليّ فما ينفك أن يتفرّجاً
ورُبَّ فتى سُدّت عليه وجوهه أصاب له في دعوة الله مخرجاً
توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

(١) المغصبة: قرية صغيرة.

ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» ٢ / ٢٣٠:

سنة سبع وعشرين وأربعمائة: فيها توفي أبو إسحاق الثعلبي أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المفسر، روى عن أبي محمد المخلدي وطبقته من أصحاب السراج، وكان حافظاً واعظاً، رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة، قاله في العبر، وقال ابن خلكان: كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء وغير ذلك... ثم ذكر قول السمعاني.

القفطي في إنباه الرواة على أنباء النحاة (١: ١٥٤ / ترجمة ٥٩):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي.

ويقال: الثعلبي، المقرئ، المفسر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، العالم بوجوه الإعراب والقراءات، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة. وله (التفسير الكبير) و (العرائس) في قصص الأنبياء، ونحو ذلك. وسمع منه الواحدي التفسير، وأخذ عنه. ثم ذكر ما قاله القشيري.

الزركلي في «الأعلام» (١ / ٢١٢):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسر، من أهل نيسابور، له اشتغال بالتاريخ، من كتبه (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء، و (الكشف والبيان في تفسير القرآن) يُعرف بتفسير الثعلبي.

كحالة في «معجم المؤلفين» (٢ / ٦٠):

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (أبو إسحاق) مفسر، مقرئ، واعظ، أديب، توفي لسبع بقين من المحرم، من تصانيفه: «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، «العرائس في قصص الأنبياء»، و «ربيع المذكرين».

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه

ألقى مؤلف هذا التفسير ضوءاً عليه في مقدمته، وأوضح فيها عن منهجه وطريقته التي سلكها فيه، فذكر أولاً اختلافه منذ الصغر إلى العلماء، واجتهاده في الإقتباس من علم التفسير الذي هو أساس الدين ورأس العلوم الشرعية، ومواصلته ظلام الليل بضوء الصباح بعزم أكيد وجهد جهيد، حتى رزقه الله ما عرف به الحق من الباطل، والمفضل من الفاضل، والحديث من القديم، والبدعة من السنة، والحجة من الشبهة، وظهر له أن المصنفين في تفسير القرآن فرق على طرق مختلفة:

فرقة أهل البدع والأهواء، وعدّ منهم الجبائي والرماني.

وفرقه من ألفوا فأحسنوا، إلا أنّهم خلطوا بأباطيل المبتدعين بأقوال السلف الصالحين، وعدّ منهم أبا بكر القفال.

وفرقه اقتصر أصحابها على الرواية والنقل دون الدراية والنقد، وعدّ منهم أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي.

وفرقه حذف الإسناد الذي هو الركن والعماد، ونقلت من الصحف والدفاتر، وحررت على هوى الخواطر، وذكرت الغث والسمين، والواهي والمتين، قال: وليسوا في عداد العلماء، فصنت الكتاب عن ذكرهم.

وفرقه حازوا قصب السبق في جودة التصنيف والحدق، غير أنّهم طوّلوا في كتبهم بالمعادات، وكثرة الطرق والروايات، وعدّ منهم ابن جرير الطبري.

وفرقه جردت التفسير دون الأحكام وبيان الحلال والحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات، كمشايع السلف الماضين، مثل مجاهد والسدي والكلبي.

ثم بيّن أنّه لم يعثر في كتب من تقدمه على كتاب جامع مذهب يعتمد عليه، ثم ذكر ما كان من رغبة الناس إليه في إخراج كتاب في تفسير القرآن وإجابته لمطلوبهم، رعاية منه لحقوقهم، وتقرباً به إلى الله سبحانه وتعالى...

ثم قال: ثم استخرت الله تعالى في تصنيف كتاب، شامل، مهذب، ملخّص، مفهوم، منظوم، مستخرج من زهاء مائة كتاب مجموعات مسموعات، سوى ما التقطته من التعليقات والأجزاء المتفرقات، وتلقفته عن أقوام من المشايخ الأثبات، وهم قريب من ثلاثمائة شيخ، نسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز والترتيب.

ثم قال: وخرّجت فيه الكلام على أربعة عشر نحواً: البسائط والمقدمات، والعدد والترتيلات، والقصص والرويات، والوجوه والقراءات، والعلل والاحتجاجات، والعربية واللغات، والإعراب والموازنات، والتفسير والتأويلات، والمعاني والجهات، والغوامض والمشكلات، والأحكام والفقهيات، والحكم والإشارات، والفضائل والكرامات، والأخبار والمتعلقات. أدرجتها في أثناء الكتاب بحذف الأبواب، وسمّيته (كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن).

ثم ذكر في أول الكتاب - كما يأتي - أسانيدَهُ إلى من يروي عنهم التفسير من علماء السلف، واكتفى بذلك عن ذكرها في أثناء الكتاب، كما ذكر أسانيدَهُ إلى مصنّفات أهل عصره -

وهي كثيرة - وكتب الغريب والمشكل والقراءات، ثم ذكر باباً في فضل القرآن وأهله، وباباً في معنى التفسير والتأويل، ثم شرع في التفسير.

والحق أنّ هذا التفسير من التفاسير المعتمدة، حيث فسّره بما جاء عن السلف مع اختصاره للأسانيد، اكتفاء بذكرها في مقدمة الكتاب، وأنّه يعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها بتوسّع ظاهر، كما في الآية (٩٠) من سورة البقرة عند ذكر نعم وبئس.

كما أنّه يعرض لشرح الكلمات اللغوية وأصولها وتصاريفها، ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي، فمثلاً عندما يصل إلى تفسير الآية (١٧١) من سورة البقرة نجده يحلل كلمة (ينعق) تحليلاً دقيقاً ويصرفها على وجوهها كلها.

وهكذا عند تفسير الآية (١٧٣) من السورة نفسها يحلل لفظ (البغي) ويتكلم عن أصل المادة بتوسّع.

ويتوسّع في الكلام عن الأحكام الفقهية عندما يتناول آية من آيات الأحكام، فتراه يذكر الأقوال والخلافات والأدلة ويتعرض للمسألة من جميع نواحيها.

فمثلاً عند تفسير الآية (١١) من سورة النساء فإنّه يفيض في الكلام عمّا يفعل بتركة الميّت بعد موته، ثم يذكر جملة الورثة والسهام المحددة، ومن قرّضه الربع، ومن فرضه الثمن، والثلاثان، والثلث، والسدس... وهكذا، ثم يعرض لنصيب الجدّ والجدّة والجدّات، ثم يقول بعد هذا: فصل في بساط الآية، وفيه يتكلم عن نظام الميراث عند الجاهلية وقبل مبعث الرسول ﷺ.

ونجده عند تفسير الآية (٢٤) من سورة النساء يتوسّع في نكاح المتعة ويذكر أقوال العلماء وأدلّتهم بتوسّع ظاهر.

وعند ذكر الآية (٣١) من سورة النساء فإنّه يقول: (فصل في أقاويل أهل التأويل في عدد الكيائير، مجموعة من الكتاب والسنة، مقرونة بالدليل والحجة) ثم يسردها جميعاً ويذكر أدلتها على وجه التفصيل.

وعند تفسير الآية (٤٣) من سورة النساء فإنّه يعرض أقوال السلف في معنى (اللمس والملاسة) ثم يقول:

واختلف الفقهاء في حكم الآية على خمسة مذاهب.

ويتوسّع على الخصوص في بيان مذهب الشافعي ويسرد أدلّته ويذكر تفصيل كيفية الملاسة عنده، كما يعرض لأقوال العلماء في التيمم ومذاهبهم وأدلّتهم بتوسّع ظاهر عندما يتكلم عن قوله تعالى ﴿تَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾.

وذكر فضائل أهل البيت رضي الله عنهم عند ذكر الآيات النازلة في حقهم، وبالخصوص الآيات النازلة في حق علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن السلف الصالح. وهكذا يتطرق الكتاب إلى نواح علمية متعددة لا يكاد يجدها القارئ في كتاب تفسيري آخر.

وكان هذا التفسير ولا زال مصدراً من المصادر الإسلامية التي يرجع إليها حتى عند كثير من المفسرين، وأهل التاريخ والحديث وغيرهم.

عملنا في التفسير

اعتمدنا في تحقيق التفسير (الكشف والبيان) على أربعة نسخ: الأولى من أول القرآن الكريم الى آخره سورة الكهف وهي مصورة عن مكتبة جستربريتي دبلين في إيرلندا الجنوبية تحت رقم (٣٦١٧)، وخطها قديم جداً وفيها سقط ومسح كثير.

والثانية: نسخة مصورة عن مخطوطة المرعشي في قم تحت رقم (٤٢٦) من أول سورة الكهف الى آخر القرآن، باستثناء آخر سورة الرحمن وسورة الواقعة وبداية الحديد، وخطها أفضل من الأولى، مع وجود بعض الكلام غير المقروء.

والنسخة الثالثة مصورة عن مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق الرقم (٧٨٨١) يعود كتابتها إلى القرن الحادي عشر، وتحتوي على الجزء الثالث وقسم من الجزء الخامس من التفسير، وأخذنا منها نهاية سورة الرحمن وسورة الواقعة وبداية سورة الحديد.

ومن هذه النسخ الثلاثة لفقنا نسخة الأصل واعتمدنا على إخراج هذا الكتاب.

والنسخة الرابعة غير كاملة، من آية ١٨ من سورة الكهف الى آية ٦٩ من سورة المؤمن (غافر)، مصورة عن مكتبة أصفهان، وهي واضحة الألفاظ وبخط جيد نسبياً، يعود كتابتها إلى سنة ١١٠٠ هـ تقريباً، وقد أشرنا إليها في الهامش عند وجود التفاوت بينها وبين النسخة الكاملة الملفقة.

وواجهتنا مشكلة لقدم المخطوط، وهي أسماء رجال السند المتشابهة، وحاولنا حلها من كتب الرجال، والتفاسير التي تذكر الأسانيد.

مع وجود كلام كبير غير المقروء أو بياض في نسخة الأصل وبعض النسخ الأخرى، حاولنا تكملته من المصادر التي نقل عنها الثعلبي، أو المصادر التي نقلت عنه، كتفسير ابن جرير الطبري وتفسير القرطبي وتفسير ابن كثير، وزاد المسير لابن الجوزي وغيرها من التفاسير، وكالكتب التي تحدثت عن علوم القرآن ككتاب البرهان وأحكام القرآن للجصاص وللنحاس والإحكام لابن حزم.

كما وكنا نعرض الحديث الشريف وأقوال الصحابة على كتب الحديث والصحاح والمعاجم لضبط النص وتخريجه.

وأما الأشعار فكانت فيها صعوبة واضطراب، من ناحية الوزن والضبط، حاولنا بالإستفادة

من بعض الشعراء لحلّ قسم منها، وحاولنا من بعض التفاسير وكتب اللغة والمعاجم حلّ القسم الآخر.

وأما الألفاظ المبهمة فضبطناها وشرحناها من كتب اللغة والتفاسير الأخرى.
كما وعرضنا الآيات القرآنية المستشهد بها على المصحف الشريف وخرّجناها منه.

كلمة شكر:

هذا ونشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع أمثال الأخ السيد محمد الموسوي الناصري والمحقق الأخ العزيز الشيخ ماجد العطية، والأخ المحقق الشيخ أبو علي فرج الله، والأخ كريم راضي الواسطي، والأخ الشيخ أبو مسلم الساعدي وغيرهم من الإخوة الأفاضل.

ونخصّ بالشكر سماحة السيد محمد رضا الجلالي وسماحة السيد الأبطحي والشيخ محمد باقر المحمودي الذين كانت لهم يد العون في الحصول على بعض صور المخطوط.

والحمد لله رب العالمين

علي عاشور

ويوم عرض الذين كفروا على النار فقل لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال
 لهم المقدر بذلك فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم
 عن الرسل قال ابن عسار والجزم صياك ذوالجلد والصبير القليل والبر والبر والبر واختلفوا فيه فقال ابن زيد
 كل الرسل كانوا اولى عزم ولم يتخذ الله سولا الا كان ذا عزم وهو اختيار علي بن محمد الطبري قال وانما دخلت من المجلس
 لا للتعجب كما يقال ضربت الكسة من الجز وارتدت من البر حكايا شيخنا ابو القاسم جدي عنه وقال بعضهم كمال الدنيا لهم
 اولوا العزم الا يونس الا ترى اني نينا على الله عليه نبي عز ان يكون مثله لحفة ونحلة ظهر من جبينه من قومه مغاضبا
 فاستلاه الله سلت سلاط عليه العالفة حتى غاروا على اهلته واطاله وسائط الدنيا ولوه فاكله وسائط الخوف عليه في ليلة
 سمعت ابا منصور الحسيني يحكي عن ابي بكر الرازي عن ابي القاسم الحكيم وقيل هم ايضا الرسل المذكور في قوله لانعام وهم
 ثمانية عشر وهو اختيار الحسيني التصل قال لقوله في عقبة او ليك الذي عهد لي الله فهداهم اقتده وقال الحسيني هم الذين امنوا بالقرآن
 فاطهروا المكاشفة وجاهروا الكفرة بالبراهة وجاهدوهم احرابا بن يحيى بن الدنوري عن ابي علي بن الحسين المصنف قال قال بعض
 العلماء اولوا العزم اثنا عشر نبيا ارسلوا اليهم اسرايل بالسام وبعضهم فاوحى اليهم اني الانبياء عليهم السلام اني من رسل عبادي
 على عصابة بني اسرايل فسوق ذلك عليهم فاوحى الله تعالى اليهم ان اذ انتم في ارضهم انتم في ارضهم انتم في ارضهم انتم في ارضهم
 وان شئتم ليخبركم وانزلت على اسرايل فتشاوروا ولينهم فاجتمعوا عليهم على ان ينزل لهم العذاب ويحيى بني اسرايل فالحق الله
 بنى اسرايل وانزل باولئك العذاب وذلك انه سلب عليهم ما لو ان الارض صهروا من شر ما لم يشرو ومنعهم من سلب جلا
 راسه ووجهه ومنعهم من نفع على الخشب ومنعهم من احرق بالنار وقيل هم ستة نوح وهود وصالح والوطي وعباد
 وهم المذكورون على التسعة سموا الاعراب والسعر وقيل اصحاب التراب وهم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى
 وقال مقاتل اولوا العزم ستة نوح صبر على اذى قومه فكانوا يصرونه حتى يعصى بونه وابراهيم صبر على النار حتى
 صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذو الياقوت صبر في السرو والجنس وابود صبر على صغره
 وقال الحسن البصري هم اربعة ابراهيم وموسى وداود وعيسى فقال ابراهيم صبر في قومه قيل له اسلم قال اسلمت ارب العالمين
 ثم انه اتى في طه وولده ووطنه ونفسه فوجد صلافا وايقا في جميع ما اتى به واما موسى فعجزه قوله حتى قاله قومه
 اناملدكون قال كلا ان معي ربى سيهاتين واما داود فجزمه انه اخطا خطبة فنه عليه فبلى اربعين سنة على
 حتى نبت من دموعه وشجره وقيل تحت ظلمها واما عيسى فعجزه ما اشهر اضع من الدنيا لئنه على لئنه وقال انما عبرنا عن
 ولا تجرمها فدان الله تعالى بقول الرسول صلى الله عليه وسلم صبر اولوا العزم من الرسل الى ان صادقا فيما نلت به من صلا
 ابراهيم وانما صبره مولا كمثل نبي موسى همتا ما سلف من همتا ناك مثل اهتمام داود زاهد في الدنيا مثل لاجل عيسى
 حينما دام ابو منصور محمد بن عبد الله الحسيني اعطاء اخرا ابو عمر ومحمد بن احمد القاسمي اخرا ابو عبد الله اخرا ابو اسحاق
 الربيع اخرا عبد الله بن ابي جعفر الرازي عن قتادة في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل قال نوح وابراهيم وموسى
 وعيسى عليهم السلام ابو منصور الحسيني اخرا ابو عبد الله محمد بن يوسف الدقاق اخرا الحسن بن محمد بن جابر حينما بعد الله عز
 فاشترى حنينا وكيع عن ابي جعفر الرازي عن ابي ربيع بن اسحق عن ابي ابي الهيثم في قوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
 قال كانوا ثلثة نوح وابراهيم وهود ومحمد رابعهم امران صبر في الله عز وجل اخرا ابو عبد الله بن يحيى حينما

محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا الحرث بن ابي اسامة حدثنا اودن بن الحارث حدثنا سليمان بن الحكم عن
 الاحوص بن حكيم بن كعب الخير قال في حقه عدل مملته من لؤلؤ ايضا نكل عنها الاضداد
 لم يروها بنى مرسل ولا ملك مقرب اعدوا الله سبحانه وتعالى لا ولي الجرم من المرسل
 والشهداء والمجاهدين لانهم فضلوا الناس غسقا وخلفاء وانابته ولباسه
 ولا تستعمل العذارى لهم فانه نازك يوم لا محلة كانهم يوم يرون ما وعدون في العذاب في الاخرة لم يلبثوا
 في الدنيا الا ساعة من نهار يعني في يوم القيامة وقيل لانه يتسبب به هواه عاينوه ولا حكمهم في الدنيا فقل
 بلاغ اعجاز القرآن ما لا يفهمه من البيان بلاغ بلغ حصره محمد صلى الله عليه عن الله تعالى دليلا ونظيره في سورة
 ابراهيم فقال يهلك بالعباد اذا نزل **اول القوم القاسقون** ومع الحارثون عن امر الله تعالى ابراهيم
 الحديث حدثنا سعد بن محمد بن اسحق الصيرفي حدثنا محمد بن عثمان بن ابي شيبه حدثنا محمد بن الربيع حدثنا علي بن مهزيب
 عن الحكم بن سعد بن جبر عن ابن عباس قال اذا عسر على المرأة ولدا فليكتبها تين الا تين والكتبتين ويغفر له يغفر
 ترشق منكم اسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم كانهم
 يوم يرون ما وعدون لبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهد **اول القوم القاسقون** سورة محمد صلى الله عليه مطبوع
 وهي ثمانون آية وحتم ثمانون كلمة والهان والهاية وتسعة واربعون حرفا واحدا من الحروف الفصحى
 المقارن في القرآن على ما رواه ابو جهم ومجمل بن محمد بن احمد بن يوسف السلمي ابو عبد الله محمد بن محمد بن سعد بن
 حدثنا سعد بن جبر عن حفص بن علي بن محمد بن عبد الله عن عكرمة بن خالد عن سعد بن جبر عن ابن عباس عن النبي
 قال حال رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة محمد كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من نهار الجنة
يسمى الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعلم
 ان ابطلها فاعلمها وقال الضحاك ابطل كبيره وكريم بالحق عليه وجعل الدرية عليهم والذين امنوا واولوا الصلوات
 وامنوا ما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفروا عنهم سبيا لهم واصح بالحق
 جلفهم ومعدلات قال حفص بن غزوى وامنوا ما نزل على محمد بالحقيقة في حق وقال ابن عباس الذين كفروا وصدوا عنهم
 والذين امنوا وعملوا الصلوات الاضارها ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل **الذين كفروا**
 وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني القرآن كذلك يضرب الله للناس
 بين يده للناس امثالهم اشكالهم فاذا القيمة الذين كفروا من اهل الجرب فضرب
 على اغراب الرقاب الاغراب واحدا بقية حتى اذا اخصوهم اي علمتهم ودينهم ودارهم واولادهم
فشد الوفاق اي لا فلتوا منكم فهو قول **فاما من اعلمهم بعد** الاسر بالافرايم من غير عرض ولا بدو
 واما فدا ايضا باصناف العجل مجازه واما ان لم يولد عليهم مينا واما ان ينادوهم واختلف العلماء في جملة هذه الاربعة
 وقت يوم من مشيخة بقوله **فاما من اعلمهم** في الحرب فشد الوفاق وقوله فاقبلوا المشركين حيث وجدتمهم والذين
 النولاد هو الضحاك والسدي وابن جبر وفي رواية اخرى عن ابن عباس اخبرنا عجيل بن محمد ان ابا الهيثم

وقال عطاء الخراساني دخل في هذه المتكلم من حافظ على الصلوات الخبز وذلك الذي ذكرت مثلهم صفتهم
 في التوبة وهاهنا في الكلام ثم قل ومثلهم صفتهم في الاجل فيما ملان كزوع اخبر شطاه
 فواد العامة لجزم الطأ وقزا بعض أهل مكة والتمام بفتح وقر الشرا والجنس وحيي بن وناب شطاه مثل عصاه
 وقول المحرري شطاه بلا همز وكلها لغات قالوا شطاه نباته وقال ابن عباس سنبله حيز يسبع سانه عن حانه ابن
 زيد اولاده مجاهد الصياك ما خرج حنب الحفله فهو او وتم عطا جواينه مقاتل هو نبت واحد فاذا خرج ما بعده
 فهو شطاه الذي هو ان يخرج معه الطافنا الاخرى الكاى طرفه العرا شطاه الزرع ان نبتت سبعا او ثمانية او عشر قاله الحسن
 فرأه نبتا لسطا الزرع هو نظى اذا فرخ ولا الماء اخرج السطاطا حبه الزرى والاشجار ايمان النمر وهو امر الله لا يجازى
 يعنى انهم يكونون ثلاثة مكدوبه استخرج فهم شتون نبات الزرع يامون بالهوى ومنع المكرك فزره وقواه واعانه وشان زره
فاستعظظ فظاظا وقوى **فاستنوى** ثم ولا حتى نبتة وقام على سوقه اصوله **فجى الزراع ليعظظ**
 الكفار يعنى ان الله تعالى وعد ذلك ليعيضا الله عليه واجماده ليعظظ بهما الكفار احرا عبد الملوك بن علي بن عبد الملوك
 احرا ابو بكر محمد بن يوسف بن حاتم بن نصر حنينا الحسن بن عثمان حنينا احمد بن منصور الحظلي المدعو براج المرورى حنينا سامان
 سليمان حنينا عبد الله بن الميزان حنينا مبارك بن فضاله عن الحسن بن فضاله عن محمد رسول الله قال هو محمد صلى الله عليه وسلم
 والذين معه ابواب الصلوة في حبه عنه اشهد على الكفار عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحماد بن عمار رضى الله عنه ثم كعاد
 على ان يكتبه فلهما يستعملون هذا من الله ورضوانا ظاهرا ونورا وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن سعد وابو عبد الجراح سماعة
 من اشر الخوذة المبرورين عشرة اولهم ابو بكر واحمرهم ابو عبد الجراح ذلك مثلهم في التوبة ومثلهم في الاجل قال
 بن عجم في التوبة والاجل كمثل زرع قال الزرع محمد صلى الله عليه اخرج شطاه ابو بكر الصديق فزره عمر بن الخطاب فا
 سجد على عثمان بن عفان يعنى استعظظ بعثمان الاسلام فاستنوى على سوقه على اي طالب يعنى استقام الاسلام تسفك
 بجملة الزرع قال ابو منون ليعظظ بهم الكفار قال قول عمر لا هل مكة لا عبد الله من بعد هذا اليوم اخيرا بن عبيد بن جراح
 بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن حنينا حنينا محمد بن سلم بن زاره حنينا الحسن بن الربيع قال قال ابن ادريس ما من باب
 قد نذرنا دعوا الكفار يعنى الرافضة لان الله تعالى يقول ليعظظ بهم الكفار احرا الحسين بن محمد الجدل حنينا محمد بن عيسى
 مهران حنينا ابو مسلم الكجى حنينا عبد الله بن جراح اخرا عمران بن الحجاج عن صفوان بن يحيى عن ابن عباس قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يكون في اخرا زمان قوم يظلمون اولادهم واولادهم واولادهم واولادهم فاقبلوهم وانهم مشركون
 اخرا الحسن بن محمد حنينا ابو حنيفة احمد بن محمد بن علي حنينا زكريا بن يحيى بن عوف المقدسي حنينا الى حنينا ابو العوام احمد بن
 الربيع حنينا محمد بن ابراهيم بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الله يحب العبد اذا اصابته في الجنة وسعى بعدى
 يدعون في الدنيا لله فبقا لهم ان ارضه فان ادركتهم فاقبلوه فانهم مشركون قال ابن ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بايت
 انهم ليست فيهم حجة ولا جماعة يسبون ابا بكر وعمر **وعاد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات** اي المطهرين
 وقد مرتنا ويطه وقال ابو العباس في سعة الامة وعملوا الصالحات يعنى الذين يحبون اجرا رسول الله المنكوبين وهما
 الحسن وارضاهما شخصيته صفة قال ابن جرير يعنى من الشطاه الذي اخرج الزرع وهو الزرع والارواح الامم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 زوالها وانهم معي الشطاه على لفظه لانه قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم **مخفورة** اي اجرا استغيبها

صحة

صحة

عن ابن عبد الله اقرني والحمد لله من سنان عن محمد بن المنذر ان رسول الله صلى الله عليه واله قال يزل ملك من السماء السابعة
ويخرج من الارض السابعة ملك فالتقى على هذه الارض فقال الذي يزل من السماء قد بعثت اليوم عملا الارض مع ملك
والذي يخرج من تحت الارض ما ذاك قال فرار رجل فله هو الله اجد ما ه مرة قال واصبح به قال عسرا لله الله
والاحمرى محمد بن قيس قال حدثنا محمد بن زيد قال حدثنا ابو يحيى المرزوق قال حدثنا محمد بن ابي اسحاق ابو عمير عن مالك
ابن عمار عن سنان عن عبد الرحمن بن عمار عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر
ابن رسول الله وما وجدت قال وجدت له الجنة والاحمرى محمد بن قيس قال حدثنا ابو القاسم عبد الله بن احمد بن الهيثم قال حدثنا
احمد بن محمد بن الحسين بن عمار عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر
عبد الله عن مالك بن دينار عن ابن جابر عن مالك قال قال رسول الله عليه السلام من قرأ فله هو الله اجد ما ه مرة واجده انطاط الله
من الثواب ما يحمل ثوابه سبعين قطارا اجمال من اوقات وهو في الروح يحملون كتبه ثوابا واحدا استندوا
من شعور الرطوبه وان من الشجره والاحمرى محمد بن قيس قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن احمد بن جعفر قال قال ابن عباس العاصمي
قال حدثنا احمد بن محمد بن عمار عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر
عبد الرحمن بن عمار عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر
الاحمرى محمد بن قيس قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن احمد بن جعفر قال قال ابن عباس العاصمي
ان في قلوبها فالايساد شيئا الا اعطاه اياه ولم يجعله في لادته وتزده في شمس ارضه
قل هو الله اعلم احمرى السج او طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المرعشي قال قال ابن عباس العاصمي
محمد بن اسحق بن حمره قال حدثنا محمد بن اسحق بن عمار عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر عن ابن جابر
عن الربيع بن اسحق بن ابي العاصم عن ابي جعفر ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه واله انسب لنا ربك قال الله سبحانه
ول هو الله اجرا الى اخره سورة ه وروى ابو طيبان وابو صالح عن ابن عباس ان عامر بن الطفيل واريد بن ربيعة
ابن عباس النبي صلى الله عليه واله فقال عامر الى ما تدعوننا يا محمد قال الى الله فما لصفه لنا امر هو ام فضة ام جديد ام من
حسبت فنزلت هذه السورة فارسل الله سبحانه في اربدة الصاعقه فاجرت في وطعن عامر في حضرة فمات وقد
ذكرت قصتها في سورة الرعد وقال الصحاح وقيل ان جانا من اجدنا اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد صف لنا ربك لعلمنا تو من بك قال الله انزل بيعة في الموزة فاخبرنا به من ابي شي هو من ابي حسن
امر زده هو ابنا من صغرا ام جديد ام فضة وهل ياكل ويشرب ومن ورت الذناب من بورها فانزل الله سبحانه
هذه السورة وهي نسبة الله خاصة واخبرني عقيلا ان ابا الفرج الغضائري اخبره عن ابي جعفر الطوسي قال
ان جدي قال حدثنا محمد بن اسحق عن محمد بن سعد قال اني هبط من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد
هذا الله خلق الخلق من خلقه فغضب النبي صلى الله عليه وسلم فلو لم يه ساورهم غضبا لكانت في حاه حبر بل صسكه
وقال احفظ نفسك جلا حركنا بحمر وجهه من الله سبحانه جواب ما سألوه قل هو الله اجد ما ه مرة فلما نزل عليهم
النبي صلى الله عليه واله صف لنا ربك كيف خلقه وكيف عضده وكيف ذراعه فغضب النبي صلى الله عليه وسلم
غضبه الاول وساورهم فانا حبر بل فقال له مثل مقالته وانا جواب ما سألوه ما قدر والله حق قدره

امر الله بن محمد العارفي قال قال ابن عباس لعاص بن يحيى بن يعقوب قال لعاص بن الوليد بن منبذ قال لعاص بن يحيى بن محمد
 - انه ذرعي قاضي يمشي في كثير من اهل المدينة من اهلهم من اهل المدينة بنحو عقبة بن عامر الجهني ان رسول الله صلى الله
 عليه وآله اذ اخرجك بافضل ما يعودوا المتزوجون قلت بلى قال قل يعودون رب العلقو وقل يعودون رب الناس
 واحدا الخارزي قال لعاص بن علي قال لعاص بن يحيى بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعاص بن علي
 - عن ابن عمر بن جابر عن الفهم بن عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا لعاص انما
 هما فضل القرآن او من افضل القرآن قلت بلى يا رسول الله فجعلني المجدوس لم يقرأ بها و صلوة العباد و قال
 لي امرها كلها قلت هـ والحق ابو العباس سهل بن محمد بن سهر المروزي القفي قال لعاص بن يحيى بن محمد بن جابر بن يحيى بن
 المحمدي قال لعاص بن يحيى بن علي قال لعاص بن يحيى بن محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن جابر بن يحيى بن
 عبد الحظ بن جعفر بن صالح بن ابي عبد عن كثر بن مرة عن عبد العز بن عمرو قال سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول
 سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول انك لئن تقرأ بسورة احد الى الله عز وجل ولا تقرأ غيره من قل يعودون رب العلقو
 فان استطعت ان لا يدعها في صلوة فافعل هـ ولما قال ابو عبد الله محمد بن يعقوب لم يركب قال لعاص بن يحيى بن محمد بن جابر بن يحيى بن
 محمد بن يحيى بن الطرايعي قال لعاص بن يحيى بن محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن جابر بن يحيى بن
 عن قيس بن ابي جازم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني اراكم في النار وانا انظر اليكم
 ولما ارسل المجدوس في الغضا فقال ان شئت وعاصم رضي الله عنهما دخل جنة من الجنة ما في الجنة
 كان غلام اليهودي يحزم رسول الله صلى الله عليه وآله فلهذا الهه اليهود فلم يزلوا به حتى اخذوا مساطة راس النبي صلى الله عليه وآله
 وعدة اسنان من مسطه فاعطاهم الهه اليهود فحرقوه فربما وكان الذي يركب ذلك رجل من بني اهل المدينة منهم
 فرد سها في بني زريق فقال له ذروا ان فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو المذبح وسعد ولبس سنة اشبه
 مري انه ما في النساء ولا ما سهر وجعل يدوب ولا يدرك من اجراءه شيئا هو المراد ما هو ان فوجدوا جرحهم
 عند راسه واخر عند رجليه فقال الذي الذي رجليه للذي عند راسه ما بال الرجل قال طبت بالذي راسه
 بالي سحر والى من سحره قال لسيدنا اعمه اليهودي قال فرطبه قال بسط ومساطه قال وان هو فوجد
 طلعة سحر راعونه في يده وان الجفة فسرا اطلعوا والي الجوفه حجر في اسفل البيريات يقوم على
 فابنه رسول الله صلى الله عليه وآله مذعورا وقال ما عاينته اما سحر ان الله سحر اخواني يداني لم يجر
 صلى الله عليه وآله والي وعمار بن ياسر فمروا ما ملك البيركانه نقابها الجنان فوجوا الصخرة
 الجفة فادافه مساطة راسه واسنان من مسطه واذا وتر فيه فوجدوا مسطه فوجدوا مسطه فوجدوا مسطه فوجدوا مسطه
 معزونه بالي فانزل الله سحره فاسم السويرين فجعل كلما قرأ به الجنان عقده ووجدوا رسول الله صلى الله عليه وآله
 حين اذ ابه الحفده الاخرة فقام كما بال مسطه من عقار وجعل جرحه على النبي صلى الله عليه وآله فوجدوا مسطه
 بوديك من جرائد وعين والله شفاك قال وقال ابو العاصم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اني اراكم في النار
 وقد شقاني اذ كنت اراكم على الناس شرا وان عاينته ما عصف رسول الله صلى الله عليه وآله اعضبا بشق من
 لفتة له فقط الا ان يكون شيئا هو لاله سحره فحفظ لله سحره في تعالي وبسفره

سورة الروم

وانما يريد بها هداية انبياء على ايمانهم سبل دخول الجنات وقيل والذين بها هداية وانما
 على المصائب والنواب لهم سبل الوصول الى النواصب سبل من صد الله والذين هم عارفون
 فانما هداية السنة لهم سبل الجنة ثم قال مثل الجنة في العنبر من دخل الجنة في العنبر سلك
 من لزمه السنة في الدنيا سلم وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتأخير مجاز والذين هدى الله
 سبيلنا اجاهدوا **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** اِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ بالنصر والمعونة في ربانهم وبالنواب المعقرة
 في عقباتهم **سورة الروم** كريمة وهو ثلثة الف وخمسمائة واربع وثلاثون حرفا وثمانمائة وتسع
 وعشرون آية اجزاها ابو الحسين علي بن محمد بن الحسن الحساري والحجافي وغيره قال الحزني ابوبكر
 احمد بن ابراهيم الحجافي وابو اسحق عبد الله بن محمد الاصبهاني قال قال ابو اسحق ابي بصير بن سريك الكوفي
 عن احمد بن يوسف البرقي عن سالم بن سليمان المدني عن فروق بن بكير عن زيد بن اسلم عن ابي امامة عن
 ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **سورة الروم** كان له من الاجر عشر حساسات بعدد
 كل تلك سجدة لله بين السماء والارض وادركها صبح في يومه وميلته **سورة الروم**
 قوله عز وجل **الْمَغْلِبَةِ الرَّوْمِ** في اذي الارض الآية قال لغزوت كانت في فارس واذ لا لدا امسوا
 الا بطال فدعا ما كرى فقال ابي ريدان البغدي الرومي حيا واستعمل عليه جيشا من بنيك
 فاشري على ابيهم استعمل فقال ان اروع من تغلبوا حذر من صفرو وهذا وخان وهذا الفد
 من سنان هذا الشهر من الاموال من كذا فاستعمل ابيهم شئت قال فاني استعمل الحيلة فاستعمل شهر بار
 فصار في الروم باهلا فارس وظهر عليه فقتله وحرب مدائنه وقطع يدهم تسونهم وكان يقيم بعبد
 يدعى **حسين** وبعث كرى شهر من رفات التي با ذرعات وبيرو وخراد في الشام في ارض العرب وانجم فغابت
 فارس الروم فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه واصحابه بركة فثبت عليهم وكان النبي صلى الله عليه بكرة ان
 يظهر الاميون من الجوس على اهل الكتاب من الروم وفرح كفا ومكة وشتموا ولحقوا اصحاب النبي صلى
 عليه وسلم فقالوا انكم اهل كتاب والنضاري اهل كتاب وعنى ميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على
 اخوانكم من اهل الروم فانكم ان قالتموهما ليظهر عليكم فانزل الله عز وجل **الْمَغْلِبَةِ الرَّوْمِ** التي حزا آيات
 فخرج الصديق رضي الله عنه الى الكوفة فقال ورحمة ربه وراخوانك على اخواننا فلا تقربوا ولا يقربوا
 فوالله ليضرب الروم على فارس اجزا بذلك نبينا فقام امير ابي بن خلف الجهمي فقال كذبت يد

• بينه صلى الله عليه عن غيبة الروم فارس ومعنى الآية المخرجة الروم في اراضي الارض الاله وقرا
 جبر وطلحة بن عمار في اراضي الارض بالجمع وهم من يعينهم يستغلبون المسلمين في بعض سنين عند
 انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم اجزأنا محمد بن عبد الله بن حنبل عن الحسين بن
 الحسن بن ايوب عن علي بن عبد العزيز قال الخزي ابو عبد الله عن محمد بن خالد اللخناط عن صعوبة بن صالح بن
 عن وثيد بن سمي عن قال سمعت ابا الدرداء يقول سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول ان غلبت الروم وانما هي غلبت
 الروم قال ابو عبد الله الغين يعني لا خير في قوله وقوله **الله** **الفر من قبل** **ومن بعدك** يعني من قبل دولة
 الروم على فارس ومن بعدهما رومها على الغاية ويروي محمد بن فرج المومنون نصر الله الروم
 لانهم اهل كتاب وبصر الله المؤمنين على الكافرين نصر من نصبا وهو العزيز الرحيم الخزي
 الحسين بن محمد بن فيخويه عن عبد الله بن محمد بن مشتهب عن علي بن محمد بن همام عن علي بن محمد
 الطنطا نسي عن النعمان بن محمد عن ابي اسحق الفراءي عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي عمير والثعلبي قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فارس نطقة ونظمتان ثم قال لا فارس بعد هذا ان الله ابدى الروم ذات
القرون كلما ذهب فنزلت خلقت هيهات الى ابد وعند الله نصب على اللصد لا يخلد الله
وعند **لكن** **الكثير** **الناس** **لا** **يعلمون** **يعلمون** **ظاهر** **من** **الحجوة** **الدينا** **معين** **او** **معانيم** **كيفية** **كيفية**
ويخرون متى يزسون ويحصدون وكيف ينون ويعيشون وهم عن الاخرة غافلون ومجاهدون
وهما مضيعون لا يفكرون ومنها ولا يعملون لها فخر وادبها هم وخر بواخرتهم اولم تفكروا في
انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسخى يعني الروم معلوم
اذا انتهت اليه فنبت وهو يوم القيمة وان كثيرا من الناس من بلغنا ربحكم لكارون اولم تيروا في
الارض كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واتاروا الارض خرقوها وقلبوها
لذراعتهم العان الزما عمرها وجاءتهم رسالتهم بالنسبات فلم يؤمنوا واهلكهم الله عز وجل فانا كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساءوا السواي الذين كذبوا بالآيات الله
 يعني الخلق التي مشروهم بها النار وقيل السواي اسم لهم كالمسوق اسم الحسنه ان كذبوا وقيل السواي اسم
 وهو قولهم كذبوا بعبادة الله المستبين لتكذب حملهم تلك السبقات على ان كذبوا بايات الله وكانوا ما يتبرون
 بما الله سيد والخلق ثم يغيد ثم اليه شرعون قوله ويوم يقوم الساعة يلبس الجحيمون ويروي

ابن ابي عمير

ابن ابي حنيفة قال سلس كتيب ابو يحيى يعقوب قتادة ومقاتل والكلبي بيانين ابو زيد المثلثي
 قد نزل به السلا والنثر الفرائض قطع كلامهم ومحجهم ابو عبيد بن ميمون وانشد باصباح حد
 تعرف سماك رسا قال بعرفه والبيا وروا السلي سلس شيخ الدم والاول اجود ولم يكن لهم
 من تركا نهم وانهم التي عبدوها من دون الله لستين عواذم (شعفاء وكا نوا لتركا نهم كا زين)
 جاحدين وغنم سبترين (ويوم تقوم الساعة يومئذ يذوقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 فهم في روضة ممتدة) قال ابن عباس يكرمون مجاهدين وقاتلة يعقود ابو عبيد
 ليزون ومنه قيل لكل حيرة يتبعها عتير وقال العجاج فالهدى لله الذي اعطى الخمر موالى الحق
 المولى يكره ايماء السورد وقال بعضهم الحيرة في اللغة كل نعمة حسنة والخير الحسنين ومنه قيل للبد
 حبل انه يحسن به الاوراق والعالم حبل انه متخلق باجلاق الحسنة وقال الشاعر يحبره انكاتب
 الحبري وقيل يحبرون بلدة ون بالسماع اخبرنا عبد الله بن حامد عن حامد بن محمد بن عبد الله عن
 محمد بن يونس عن روح عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير فهم في روضة مجبرون قال السماع في الحبة
 اخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله عن ابن شنبه عن عمر بن عراد عن سلمة بن شبيب عن عبد القدوس
 بن الحجاج قال سمعت الاوزاعي يقول في روضة مجبرون قال السماع وقال اذا اخذ في السماع لم يبق
 في الحبة شجرة الا وردت وبه عن سلمة بن شبيب عن داود بن الحراج العفلاقي قال سمعت الاوزاعي
 يقول ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على هلسبع سموت
 صنوتهم وتسبحهم واخبرنا الحسين بن محمد الذي يروي عن احمد بن الحسن بن جده الثوري عن الحسن بن
 ايوب عن عبد الله بن عواد الشيباني قال اخبرنا القاسم بن مطيب العجلي عن زيد بن اسلم عن عطاء بن
 يسار عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحبة مائة درجة ما بين كل درجتين منها
 كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها سموا واوسطها محلة ومنها تفجر منها والحبة وعلاها سموا
 العرش يوم القيمة فقال لم يه رجل فقال يا رسول الله اني رجل حبس في الصوت نزل في الحبة صوت
 حسن قال اي والذي نفس بيده الله سبحانه ليجوز الي شجرة في الحبة ان اسمع عبارتي الذين
 يعبادني وذكوري عن عرف البرابط والمزابير فيرفع صوتا لم يسمع الخلا بقر مثله فظ من شبح الرب و
 تغلبه واخبرني الحسين بن محمد عن مروان بن محمد بن مروان العطار عن حازم بن يحيى الخولاني عن

ادرك ما فانه فليتمه واخبرني محمد بن القاسم بن احمد فان كتب الي عن ابن احمد بن عثمان بن بغداد
 ان زيد بن محمد بن خلف الغزالي حدثهم عن احمد بن عبد الرحمن بن وهيب عن عمي عن الماضي بن محمد
 عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال سبحان
 الله حين تسون وحين تصبحون هذا الايات الثلث من سورة الروم واخر سورة والصاب
 دبر كل صلوة يصليها كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر المطر وعدد ورق الشجر
 وعدد تراب الارض واذا مات اجر بكل حسنة عشر حسنة في قبره واخبرني ابو عبد الله بن نجويه
 عن ابن شنبه واحمد بن جعفر بن حمدان والفضل بن الفضل قالوا اجزنا اسحق بن ابراهيم بن
 بهرام النخعي عن ابي اسحاق بن يوسف بن قتيبة بن سلم عن نضر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن
 بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ستران بكال باء غير تقية الا وفي قلب
 سبحان الله حين تسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخربت سبحان ربك رب العزة عما
 يصفون وقويه واخبرني رابعنا المين واخبرني ابن نجويه عن عمر بن احمد بن القاسم بن محمد
 عبد الغفار عن جماعة عن ابن ابي عمير عن ابي اسحاق بن عمار قال قال سحان الله حين تسون
 الى اخر الآية كان له من الاجر كعد ما في رقبته من ولد اسمعيل عليه السلام واخبرني ابن نجويه
 عن ابن شنبه عن علي بن محمد انطيا بن يحيى بن ادم عن اسرائيل بن ابي اسحق عن زيد العمري
 عن محمد بن واسع عن كعب بن قال من قال حين يصبح سبحان الله حين تسون وحين تصبحون
 الى اخر الآية لم يفته خير كان في يومه ولم يدركه شر كان فيه ومن قالها من عيسى لم يدركه شر
 في يومه ولم يفته خير كان في يومه وكان ابراهيم خليل الله صلى الله عليه بغيره في كل يوم و
 ليلة سترات يخرج اخوه من امة ويخرج الميت من العوي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك
 تخروجونه ومن اياته ان خلقنا من تراب يعني ادم عليه السلام ثم اذا نهم بشر ننشقون يعني
 ذرئته ومن اياته ان خلقنا لكم من انفسكم ازواجاً من حسنكم ولم يجعلهن من اجن وقيل
 من ضلع ادم وقيل من بضة الرجاو وقيل بنام سورة ورخصة ان في ذلك آيات ليعوم
 تفكرون واخبرني الحسين بن محمد بن موسى بن محمد بن علي قال اخبرني ابو شعيب الحراني عن يحيى بن
 سعد الله السائي عن صفوان بن عمرو عن ابي اسحق ان سجد ان سجد الى النبي صلى الله عليه وسيد فقال

تفسير قسبي بورد

من نسخة بخطه

تفسير قسبي بورد
من نسخة بخطه

قسبي ثعلبي

في اللغات والديان لتمام الهمام انما اذا لم يتدبره ابن ابي عمير احمد المرزوق
 بالاسام المتعلمة ومنه النسخة التي رويها في غاية العمق والتمام المذكور علم
 في اللغات والادبيات والسيميآت والتفوق حتى انه تكلم به فان
 معاصر المسلمين فما عهدا نطقا واخذ عنه المصنفون
 والحدوث لانه قد روي من كبار المحدثين كما انه من كبار المعرفين
 وانما الهندي الاسد الذي عبدوس بن عثمان ابن محبوب
 الملقب بـ **قسبي** زاد ناله الحسين وزياد
 منه ذكره

من نسخة بخطه
من نسخة بخطه



عزله الى آخر سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل القرآن منتهى الحكمة وتمام العلم

وقد علمت ان الفرائض التي في كتابه من الله من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره

فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره

فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره

فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره

فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره

فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره
فانما هي التي جعلها الله في كتابه من شئ من غيره

العينة من هذا السببه فلم يتولوا بابه الله ذمته اذ اول من تولى في هذا الاسم سببه حتى صحت عن ابن ابي عمير
 انه واخلاقه وقال للثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 لمصرنا تلك الصفة لو بعضها قال الله من علم له سببنا الله لكم بوضع عنه دعوى لا يشركه في هذا قل الله تعالى من
 يعني ان كل كليم لله تعالى شركه بنه ومن جرحه له على التمسيد واخبر على الجواز للاصلا الاسم فانه يحسن في حق من
 واهى كتابه الذي انك اذا سقطت منه الخلف على الله واذا سقطت منه الخلف على الله واذا سقطت منه
 له الاسم على من قالوا واذا اطلق هذا الاسم على غيره به فانها تنقلب بالضافة كما يقال كذا اولكم قتله كما قال تعالى
 لخالق علمه موسى عليه السلام لنا الله كما لم لغة واما الله واوله فمن حبان لله تعالى وماك نعم اصله لا را بالشرية وذلك
 ان في آخر سورة بقره كقولهم لا تتحرجوا ولما في القدر وساد السبع وسما والابن ابا فلما هو اللذة وقوله في قوله في قوله
 وما شاق قلبه واكثر العلماء على انه مشتق واختلفوا في اشتقاقه فقال ابن كثير من سبيل من بين لسانه وهو اشك والقيت قوله
 سببه وهو قوله انما انت لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 وينك والفتك انما هو كذا معناه جادك المعبود الذي يحق له العلق وقول قوله من بين اللذة وهو قوله انما انت لثعلبي بن
 ال ثلاث اية لها اي نعمت اليه ونعمت عليه وقول انما انت لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي
 يتخبرون الله في الموحدين والموحدين في الموحدين اي مجرمهم فتم لها كما يقال انما انت لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي
 للقب انما انت لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 فله لم يتدليه قلت زهير وبنو ثعلبه باله العين وشعبا محقة غير الصبا سملن وقوله ادخلت في قوله
 لادب غضيف نصفها لانا ونراي انما نحن لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 معناه ان الثعلبي خصم في كنه صفته وهنقه والاحاطة بكيفية قوله كما قيل للكوكب كتاب وللحجر حساب وذلك المراد
 من قوله العرب لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 على ثوبت بذكره قال الله تعالى انما انت لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 بذلك احد من قوله وهو تعاب الغدال لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 وقا حان ذو ظم الطعام وكما يسمى بذلك لان الثعلبي قوله تحيته وحطرت وشان بذكره وقيل معناه
 ذات العباد لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 وقت لا تعرفت يوما بحارجه مما فيها حوض حتى قاتلها احبته من الملقا باربوة بن ابي ذر بن ابي اسلمة
 المحب من جبه الكعبة عن الدرهم ووقيل معناه المشايخ فقال لاه اى اربع ودرهم وسبب ذلك
 برفق ان تقبلا اخترا وانما لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 رانه وهي مدره على درهم ووقيل لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 في لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 وحلته بعد الغدال من قوله انما هو طلق الانسان في لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 ال من ابن حنبل قال ثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 ورتبه لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 سببه وعلى هذا القول منه فعل كقولهم لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 منى اذن من سببه ودرهم ووقيل اخره والقي قولها كان باربوة بن ابي ذر بن ابي اسلمة
 فعلهم وسواهم اذ على ما لغة الفعل هو تركك لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 منه كل شيء مما لثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 ومحقق وسبب كل شيء والرحيم المسمى خاصة للدارية والتحقق في الدنيا والجنة والرفق في المعنى قال ثعلبي
 وكان بالمؤمن رجيا وقال ثعلبي بن لهند وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 يسمى به بعد ان الله تعالى حام من حيث انه يسبل الموحدين من طريق الحق والبرق والشفق والذمغ وجملة ما علم من علم من جرحه من وجهه ويكفي سقا من سببه
 حيث تسلك الموحدين في المشيخه خاص من طريق اللذني لانه يجمع الى اللذني والتزوير ولما اخرج في صحيحه ما روى

وله من انشدت نك ما عفتنا من الاضلال ولعمري ان الاضلال ولعمري ان الاضلال ولعمري ان الاضلال
 الصغار والفتنة الكبار ولعمري ان الاضلال مع افلاسه وتيل لعفتنا في سكرات الرب ولم يقلنا في
 التفسير ولعمري ان قوله **انك هو كذا** اي ذكرنا بها نفسا ودولتها واولنا **فانصرتنا على**
القوم الكافرين عطا من سيد من ابن عباس عن قول الله تعالى من الرسول الى قوله انك حبيب
 قال فيكبرت لكم لا تكف الله نفسا الا ذمها لها ما كسب وعليها ما اكتسب ما لم ينزلنا ان نساوا نحننا بال
 الاثام انهم دنيا ولا نعلم طنا الصرا والاذل حليكم ولا نعلمنا الملائكة ليا به مال الا حلكم ولعفتنا واعرفنا
 لمرحبا انت برمانا فانصرنا على القوم الكافرين قال كثر من علم وعفرت لكم ورحمتكم ونصرتم على القوم الكافرين
 ونصرتهم من الحق من رجل من معاذ بن جبل انه كان يناديهم للبره **يا ايها**

قلوه سورة **ال عمران**
 والحمد لله رب العالمين صلى الله على محمد خير الالين والآخرين وعلى اله الطيبين والقاهرين اجمعين وسلم
 ان تسرق نعم كنت الصليك سورة القدره وال عمران بقرا ما من آخر الليل وقال وجب ربه من قرا
 به الحمد سورة البقرة وال حملت كان له نور ما من عجايب الى اخرها به رحمة الارض لبايعة وغيا العرش
 وقال سرفق من فاسحه البقرة في ليله توج بها وفي الحديث سورة التي تذكر فيها البقرة فسطط العراة
سؤال فان قيل ايجدان حمل الله احد الملائكة قال النجاج قيل هل ان ارتب الملائكة في منز
 فوجها وان ارتب ما ينقل حلة فقه تعالى ان ينقل من ذلك ما شاء ان يخلق كقوله في اسرائيل من اول
 شغل علمه ومثله كقوله ما اطيعن كلام فلان طيس الذي ليس على فتركه ولكن معناه انه خلق على فان قال
 هذا الطائر ان كلفه نورا الوضوح قبل ان يخلق من معدرجه وحلقة على حلقه كما في الطائر نفسه وان كان
 منهم من الطير على وقال هم لو كلفه نورا الوضوح كان له لان خلق خلقه بالامر امره بكنه الجاهل والبقعة

سورة **ال عمران** سورة القدره وال عمران بقرا ما من آخر الليل وقال وجب ربه من قرا
 به الحمد سورة البقرة وال حملت كان له نور ما من عجايب الى اخرها به رحمة الارض لبايعة وغيا العرش
 وقال سرفق من فاسحه البقرة في ليله توج بها وفي الحديث سورة التي تذكر فيها البقرة فسطط العراة
سؤال فان قيل ايجدان حمل الله احد الملائكة قال النجاج قيل هل ان ارتب الملائكة في منز
 فوجها وان ارتب ما ينقل حلة فقه تعالى ان ينقل من ذلك ما شاء ان يخلق كقوله في اسرائيل من اول
 شغل علمه ومثله كقوله ما اطيعن كلام فلان طيس الذي ليس على فتركه ولكن معناه انه خلق على فان قال
 هذا الطائر ان كلفه نورا الوضوح قبل ان يخلق من معدرجه وحلقة على حلقه كما في الطائر نفسه وان كان
 منهم من الطير على وقال هم لو كلفه نورا الوضوح كان له لان خلق خلقه بالامر امره بكنه الجاهل والبقعة
 سورة **ال عمران** سورة القدره وال عمران بقرا ما من آخر الليل وقال وجب ربه من قرا
 به الحمد سورة البقرة وال حملت كان له نور ما من عجايب الى اخرها به رحمة الارض لبايعة وغيا العرش
 وقال سرفق من فاسحه البقرة في ليله توج بها وفي الحديث سورة التي تذكر فيها البقرة فسطط العراة
سؤال فان قيل ايجدان حمل الله احد الملائكة قال النجاج قيل هل ان ارتب الملائكة في منز
 فوجها وان ارتب ما ينقل حلة فقه تعالى ان ينقل من ذلك ما شاء ان يخلق كقوله في اسرائيل من اول
 شغل علمه ومثله كقوله ما اطيعن كلام فلان طيس الذي ليس على فتركه ولكن معناه انه خلق على فان قال
 هذا الطائر ان كلفه نورا الوضوح قبل ان يخلق من معدرجه وحلقة على حلقه كما في الطائر نفسه وان كان
 منهم من الطير على وقال هم لو كلفه نورا الوضوح كان له لان خلق خلقه بالامر امره بكنه الجاهل والبقعة

مقدمة المصنف

كتاب الكشف والبيان للإمام الهمام استاذ الأساتذة أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي . وهذه النسخة الشريفة في غاية الصحة، والإمام المذكور علم في اللغات والأدبيات والسمعيات والتصوّف حتى إنّه (قدس سره) كان معاصراً للسلمي صاحب الطبقات وأخذ عنه التصوّف والحديث ؛ لأنّه (قدس سره) كان من كبار المحدّثين، كما أنّه من كبار الصوفيّة .

وأنا الفقير إلى الله الغني عبد الله بن عثمان بن موسى المعروف بمسنجر زاده ناله الحسنى وزاده بمته وكرمه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَعْيُنٍ وَتَمِّمُ

قال الإستاذ الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (رضي الله عنه): بحمد الله يفتح الكلام، ويتوفيقه يُستنجز المطلب والمرام ، ونسأله أن يصليّ على محمد خير الأنام، وعلى آله الكرام وأصحابه نجم الظلام [بحقّ] الملك السلام .

أما بعد :

فإنّ الله عزّ وجلّ أكرمنا بكريم كتابه وأنعم علينا بعظيم [مطلبه] في القرآن، وجعله مهيمناً على الكتب والأديان، أمر فيه بالحكمة وزجر وأعذر الحجّة وأنذر . ثم لم يرض منا [نسخه] ولا إقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا تلاوته وقراءته دون تدبّر آياته والتفكر في بيناته، وتعلّم حقائقه ومعانيه، وتفهم دقائقه ومبانيه فقيض له رجالاً موفقين حتّى صنّفوا فيه المصنّفات، وجمعوا علومه المتفرّعات .

وإني مذ فارقت المهد إلى أن بلغت الأشدّ اختلفت إلى ثقات الناس، واجتهدت في الإقتباس من هذا العلم الذي من الدين أساس والعلوم الشرعية الرأس . . . (١) الظلام بالضياء

(١) بياض في المخطوط .

والصباح ... العزم^(١) حتى رزقني الله تعالى - وله الحمد - من ذلك ما عرفت به الحق من الباطل، والمفضول من الفاضل، والصحيح من السقيم، والحديث من القديم، والبدعة من السنة، والحجة من الشبهة. فألفت المصنفين في هذا الباب فرقا على طرق: فرقة منهم أهل البدع والأهواء وفرقة المسالك والآراء مثل البلخي والجبائي والأصفهاني والرماني، وقد أمرنا بمجانبتهم وترك مخالطتهم، ونهينا عن الاقتداء بأقوالهم وأفعالهم فاخترنا ممن تأخذون دينكم، وفرقة ألقوا وقد أحسنوا غير أنهم خلطوا بأباطيل المبتدعين بأقاويل السلف الصالحين كما جمع بين^(٢) لاسفدوانية مثل أبي بكر القفال وأبي حامد المقرئ. وهما من الفقهاء الكبار، والعلماء الخيار، ولكن لم يكن التفسير حرفتهم، ولا علم التأويل صنعتهم؛ ولكل عمل رجال، ولكل مقام مقال.

وفرقة اقتصروا على الرواة والنقل دون الدراية والنقد مثل الشيخين أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الأنطاقي. وبياع الدواء محتاج إلى الأطباء. وفرقة حرّموا الأسناد الذي هو الركن والعماد، وتملّكوا الصحف والدفاتر وجهدوا على ما هو بين الخواطر، وذكروا الغث والسمين، والريك والمتين، وليسوا في عداد العلماء فصنت الكتاب عن فكرهم، والقراءة والعلم سنة يأخذها الأصاغر عن الأكابر. ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء.

وفرقة حازوا قصب السبق في عمدة التصنيف والحدق، غير أنهم طوّلوا كتبهم بالمعادات، وكثرة الطرق والروايات، وحشوها بما منه بدّ، فقطعوا عنها طمع المسترشد مثل الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وشيخنا أبي محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني. وازدحام العلوم مضلة للفهوم.

وفرقة جرّدوا التفسير دون الأحكام، وبيان الحلال من الحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات كمشايع السلف الصالحين، والعلماء القدماء من التابعين وأتباعهم مثل مجاهد ومقاتل، والكلبي والسدي، ولكل من أهل الحق فيه غرض محمود وسعي مشكور.

فلما لم أعثر في هذا الشأن على كتاب جامع مهذب يُعتمد في علم القرآن عليه^(٣)، ورأيت رغبة الناس عن هذا العلم ظاهرة، وهمهم عن البحث فيه قاصرة، وطباعهم عن النظر في البسائط نافرة، وانضاف إلى ذلك سؤال قوم من المبرزين، والعلماء المحصلين، والرؤساء

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

المحشمين، أردت إسعافهم . . . بهم ورعاية معرفتهم فصرنا إلى الله عزّ وجلّ . . . لبعض موجبات شكره، فإن شكر العلم نشره، وزكاته إنفاقه [ف] استخرت الله تعالى في تصنيف كتاب شامل كامل، مهذب ملخّص، مفهوم منظوم، مستخرج من [نيف و] مائة كتاب مجرّبات مسموعات، سوى ما التقطته من التطبيقات، والأجزاء المتفرّقات وتلقّفته عن أقوام من المشايخ، وهم قريب من ثلاثمائة مستمع فسقته بأبلغ ما صرت عليه من^(١) والترتيب، وسعة الإثبات بغاية التنسيق والترتيب وسيبقى لكلّ مؤلّف كتاباً في فن قد سبق إليه أن لا يعدم كتابة بعض الخلال التي أنا ذاكرها ؛ إمّا استنباط شيء إن كان مقفلاً أو جمعه إن كان متفرّقاً، أو شرحه إن كان غامضاً، أو حسن نظم تأليفه، أو إسقاط شيء وتطويل.

وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرتها والله الموفّق لما نويت وقصدت .

وخرّجت الكلام فيه على أربعة وعشرين نحواً: البسائط، والمقدّمات، والعدد، والترتيلات، والقصص، والروايات، والوجوه والقراءات، والعلل، والإحتجاجات، والعربية، واللغات، والإعراب، والموازنات، والتفسير، والتأويلات والمعاني، والجهات، والغوامض، والمشكلات، والأحكام، والفقهيات، والإشارات، والفضائل، والكرامات، والأخبار والمتعلقات أدرجتها في أثناء الكتاب، بحذف الأبواب، وسمّيته «كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، والله المستعان، وعليه التكلان.

وهذه أسماء الكتب التي عليها مباني كتابنا هذا [أذكرها]^(٢) لئلاّ نحتاج إلى تكرار الأسانيد وبالله التوفيق.

[تفسير ابن عباس]

التفسيران المنصوصان عن ابن عباس (رضي الله عنه) وهو الجفر والنقاب، والإمام والقدوة في علم الكتاب، وهو ترجمان القرآن، وحبر هذه الأمة وربانيهم [وقد] دعا [له] رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم علّمه التأويل، وفقّهه في الدين»^(٣) [١].

فأجاب الله تعالى فيه دعاءه حتى صار علماً في العلم (رضي الله عنه).

.^(٤) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الطيّب، وأبو محمد عبد الله بن حامد، وأبو القاسم الحسن ابن محمد قالوا: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمّد بن عبدوس الطرائفي قال: حدّثنا عثمان بن سعيد الدارمي قال: حدّثنا عبد الله بن صالح حدّثه عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس (رضي الله عنه)

(٢) كذا الظاهر من المخطوط.

(١) بياض في المخطوط.

(٤) بياض في المخطوط.

(٣) المعجم الكبير: ١٠ / ٢٣٨.

أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بقراءته عليّ قال: حدّثنا عبد الله بن محمد الثقفي قال: حدّثنا أبو جعفر المزني قال: حدّثنا محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي، قال: حدّثنا عمي الحسين بن الحسن بن عطية العوفي الكوفي عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وأخبرنا محمد بن نعيم إجازة قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن كامل ببغداد، قال: حدّثنا محمد بن سعد العوفي، قال: حدّثني عمّي، قال: حدّثني أبي عن الحسن بن عطية عن ابن عباس (رضي الله عنه).

أخبرنا ابن فنجويه بقراءتي عليه في داري سنة ثمان وأربعمائة قال: أخبرنا أبو القاسم سليمان بن محمد بن أحمد الطبراني قال: حدّثنا أبو محمّد عبدالله بن محمد قال: حدّثنا عبد العزيز بن سعيد البرقي عن أبي محمد موسى بن عبد الرّحمن الصنعاني عن عبد الملك بن جريح ابن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وعن موسى بن عبد الرّحمن عن مقاتل بن سليمان عن الضحّاك عن ابن عباس (رضي الله عنه).

تفسير عكرمة:

حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري لفظاً قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الصريمي المروزي قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن جعفر الصيرفي قال: حدّثنا أبو داود سليمان بن معبد المنجي قال: حدّثني علي بن الحسين بن وافد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنه).

طريق محمد بن الفضل: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن أيوب، قال: حدّثنا الحسن بن علي بن زياد قال: حدّثنا عبيد بن يعيـش عن محمد بن الفضيل عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح المؤدّن مولى أمّ هانئ عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وحدّثنا أبو القاسم الحسين قال: حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب البوشنجي قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن معاذ المروزي، قال: حدّثنا عليّ بن الحسن بن عيسى عن محمد بن فضيل عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

طريق يوسف بن بلال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن أحمد الشعبي المقري بقراءتي عليه قال: أخبرنا أبو الحسن بن محمد الوراق سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة قال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد اللباد.

إسناد آخر: وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد قال: أخبرنا أبو بكر عبد الله ابن محمد بن الحسين المعلم قال: حدّثنا أحمد بن محمد القصار.

وحدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن هارون قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن اللبّاد قال: حدّثنا يوسف بن بلال السعدي قال: حدّثنا محمد بن مروان بن السدي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

طريق الحسن: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر المفسّر لفظاً: حدّثنا أبو سعيد نافع ابن محمد بن نافع بمرو الروذ، حدّثنا محمد بن عمران، حدّثنا محمّد بن المغيرة عن عمّار ابن عبد الجبار عن حيّان بن عليّ العبدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

تفسير الكلبي:

أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني بقراءتي عليه قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد بن شاذان البلخي، حدّثنا حيويه بن محمد حدّثنا صالح بن محمد النهدي من أوّل القرآن إلى سورة المجادلة: ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى﴾^(١)، ومنها إلى آخر القرآن.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي البلخي قال: حدّثنا القاسم بن عبّاد قال: حدّثنا صالح بن محمد بإسناده سواء عن محمد بن هارون عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

حدّثنا وأخبرنا علي بن محمد بن سعيد الخطيب كتابة قال: حدّثنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين السرخسي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، حدّثنا أبو بكر محمد بن علي المفسر المروزي، حدّثنا صالح بن محمد النهدي، وقد زاد فيه صالح أربعة آلاف حديث.

تفسير مجاهد:

طريق ابن أبي نجيج: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن طه، حدّثنا عبد الله بن زكريا، حدّثنا سعيد بن يحيى بن سعد الأموي، حدّثنا مسلم بن خالد الزنجي عن أبي نجيج عن مجاهد.

قال: وحدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر لفظاً: حدّثنا أبو زكريا يحيى بن محمد ابن عبد الله العنبري: حدّثنا محمد بن عبد السلام الوراق: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن ورقاء بن أبي نجيج عن مجاهد.

طريق ابن جريج: أخبرنا القاسم بن أبي بكر المكتب، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد ابن محمّد البغدادي، حدّثنا المأمون بن أحمد، حدّثنا عبدالله بن الرماح عن الحجّاج بن محمد الجزري عن ابن جريج عن مجاهد.

طريق ليث: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، حدّثنا أبو جعفر محمد بن سليمان ابن منصور.

نا جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، نا محمد بن حميد، نا جرير عن ليث عن مجاهد المكي (١).

طريق جوير - وهو الكتاب الكبير المبسوط -: أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد ابن جعفر قراءة، أنا أبو بكر جعفر بن محمد الزعفراني، نا إبراهيم بن عبد المؤمن عن محمد بن أبان بن علي بن أبان عن عبد الرّحمن بن جابر ويحيى بن آدم الأحول عن نصر بن مساور ابن أخي مصلح عن جوير عن الضحاك بن مزاحم الهلالي.

طريق ابن الحكم: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهاني قال: وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقي قال: نا عبد الله بن محمد بن الحسين الشريفي، نا أبو الأزهرى، نا وهب بن جرير حدّثني شعبة قال: قرأ عليّ بن الحكم عن الضحاك.

طريق عبيد: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي لفظاً، نا أبو عمر أحمد بن محمّد، بسرخس، نا جعفر بن محمد بن سوار، نا أحمد بن جميل المروزي، نا أبو معاذ عن عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحاك.

طريق أبي روق: نا الحسن بن محمد بن جعفر، نا أبو موسى عمران بن موسى بن الحسين، أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق المهرجاني، نا يوسف (٢)، أنا عمرو بن طلحة القناد عن أبيه عن أبي روق عن الضحاك.

طريق عطاء بن أبي رباح قال: نا أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري بقراءته عليه، أنا أبو عبد الله أحمد بن ياسين الجراح الطبري، وأبو الفرج أحمد بن محمد بن سنان النهاوندي قالوا: أخبرنا بكر بن سهل بن إسماعيل الدميّاطي، نا عبد الغني بن سعيد الثقفي عن أبي محمد موسى ابن عبد الرّحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء عن السدي.

تفسير عطاء الخراساني: نا الحسين بن محمد بن الحسن، نا أبو الحسن محمد بن الحسين ابن نجد البغوي، نا أبو نعيم عبدالملك بن محمّد بن عديّ ببخارى، نا العباس بن الوليد بن

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

مزيد البيروني، نا محمد بن شعيب بن سابور، أخبرني عطاء بن أبي مسلم الخراساني.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي فيما أجاز لي روايته عنه، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله البغدادي، أخبرنا يحيى بن عثمان بن صالح عن يحيى بن بكر عن عبد الله بن لهيعة عن عطاء بن دينار.

تفسير الحسن بن أبي الحسن: نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن عبد الله المكتب، نا أبي، نا أبو الحسن بن أحمد بن الصلت المعروف بابن شنبود المقرئ، نا سعيد بن محمد، نا السهل بن واصل عن أبي صالح عن محمد بن عبيد عن الحسن بن أبي الحسن البصري.

طريق خارجة: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، نا أبي، حدّثنا إبراهيم بن عليّ الذهلي، نا أبو خالد عن أبي صالح الإشكري عن أبي الحجّاج خارجة بن مصعب السرخسي عن سعيد بن عروبة عن قتادة بن دعامة السدوسي، وأخبرنا أبو الحسن علي بن أبي عبيد السرخسي الخطيب فيما كتب إليّ بخط يده: عبدالله بن محمد بن همام، نا أبو جعفر أحمد ابن محمد بن هاشم المروزي، نا المغيث بن بديل ابن أخت خارجة وختنه على ابنته، نا خارجة ابن مصعب، أنا سعيد بن عروبة عن قتادة، وزاد فيه خارجة: جهته مقدار ألف حديث.

طريق شيان: أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن حامد بن محمّد الأصفهاني بقراءتي عليه: أخبرنا أبو علي حامد بن محمد الهروي: حدّثنا أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن ميمون الحربي، أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد المروزي، نا شيان بن عبد الرّحمن النحوي عن قتادة.

طريق معمر: نا أبو القاسم الحبيبي، أخبرنا أبو زكريا العنبري، نا جعفر بن محمد بن سواد نا محمّد بن نافع عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

تفسير أبي العالية والربيع: نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسّر، نا أبو عمرو أحمد بن محمد بن أبي منصور [السرخسي] بسرخس، نا أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم ابن مزين، نا أبو علي الحسن بن محمد بن موسى الأزدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمداني عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أنس عن أبي العالية الرياحي، أخبرنا عبد الله ابن حامد الوزان، أخبرنا محمد بن جعفر السخيتاني، نا أبو العباس أحمد بن جعفر بن نصر الرازي، نا أحمد بن عبد الرّحمن، نا عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه.

تفسير القرظي: نا الحسن بن محمد بن حبيب، نا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي، نا رجاء بن عبد الله، أخبرنا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي.

تفسير مقاتل بن حيّان: أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان بقراءتي عليه، وأبو عبد الله محمد

ابن عبد الله الحافظ قالاً: نا أحمد بن محمد بن عبدوس، نا إسماعيل بن قتيبة، وأبو خالد يزيد ابن صالح الفراء نا بكر بن معروف البلخي الأزدي: نا أبو معاذ عن مقاتل بن حيان.

وحدثنا أبو الحسن محمد بن جعفر لفظاً، نا علي بن محمد بن أحمد بن دلويه، نا أحمد ابن محمد بن يحيى الدهان، نا محمد بن يزيد السلمي، نا حماد بن قيراط، وإبراهيم بن سليمان، وعمرو بن عبد الله بن رضين عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان.

تفسير مقاتل بن سليمان: أخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المهرجاني، أخبرنا أبو محمّد عبد الخالق بن محمد بن الحسين الثقفي المعروف بابن أبي روبة من كتبه، نا عبد الله بن ثابت ابن يعقوب المقرئ أبو محمد، نا أبي، نا الهذيل بن حبيب أبو صالح بن بديل عن مقاتل بن سليمان عن ثلاثين رجلاً منهم إثنان من التابعين.

طريق التعلبي: أخبرنا أبو القاسم الجيلي، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن المأمون، نا أبو ياسين عمّار بن عبد المجيد [...] (١): نا إسحاق بن إبراهيم التعلبي عن مقاتل بن سليمان.

طريق أبي عصمة، نا أبو القاسم الحبيبي، نا عبد الله بن أحمد بن الصديق، أخبرنا ابن أبي روبة، نا أحمد بن جميل عن علي بن الحسين بن واقد عن أبي عصمة عن مقاتل بن سليمان.

طريق السدي: أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن المفسر حدثنا أبو محمّد عبد الله بن المبارك الشجري، أنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد، نا عمرو بن طلحة القنّاد عن أسباط عن السدي عن مقاتل.

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ فيما أجاز لي لفظاً وخطاً: أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب [السوسقاني المروزي، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم] (٢) ابن هلال، نا علي بن الحسن بن شقيق عن الحسين بن واقد.

تفسير ابن جريح: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ إجازة، أخبرنا محمد بن خلف الصنعاني، نا علي بن محمّد المبارك الصنعاني، نا زيد (٣) بن المبارك الصنعاني عن محمد بن ثور الصنعاني عن ابن جريح.

تفسير سفيان: أخبرنا محمد بن حمويه فيما أذن لي عنه، نا أبو بكر الشافعي، نا إسحاق ابن الحسن الحربي عن أبي حذيفة عن سفيان الثوري.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) زيادة عن تاريخ بغداد: ٦ / ١٦٩ ترجمة ٣٢٢٤.

(٣) هي نسخة أصفهان: يزيد.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قراءة عليه، أخبرنا محمد بن علي الطوسي أبو الحسن، نا أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديلي، نا أبو عبد الله سعد بن عبد الرحمن المخزومي، نا سفيان ابن عيينة.

تفسير وكيع: أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد بقراءتي عليه، أخبرنا يحيى بن محمد بن عبد الله بن العنبري نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد بن خالد المروزي، نا أبو يعقوب يوسف بن عيسى المروزي مولى بني زهرة، نا وكيع بن الجراح.

تفسير هشام بن بشير: أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا محمد بن بطة، نا عبد الله بن أحمد بن أسيد الأصفهاني، نا زناد^(١) بن أيوب عن هشام بن بشير.

تفسير شبيل: أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا أبو سعد^(٢) بن مصعب الثقفي، نا الحسن بن المثنى، حدّثنا أبو حذيفة عن شبيل بن عباد المكي.

تفسير ورقاء: أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي، أخبرنا^(٣) أبو القاسم بن أحمد بهمدان، أخبرنا إبراهيم بن الهيثم البلوي، نا آدم بن أبي إياس عن ورقاء بن عمر.

تفسير زيد بن أسلم: أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن قراءة أخبرنا أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن سخيرة أنّ محمد بن جرير الطبري حدّثهم: نا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

تفسير روح بن عبادة: أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد بن شعيب البيهقي، وأبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني بقراءتي عليه، حدّثنا أبو حاتم مكي بن عبدان بن محمد التميمي، نا أبو الأزهر الأزهر بن منيع العبدي، نا روح بن عبادة العنسي.

وأخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السمري، أخبرنا أحمد بن محمد ابن الحسن الشرقي، نا أبو الأزهر روح بن عبادة.

تفسير الفراتي: أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه النيسابوري وعبد الله بن حامد بن محمد بقراءتي عليهما قالوا: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين ابن الحسن بن الخليل القطان، نا أحمد بن يوسف السلمى حمدان، نا محمد بن يوسف الفراتي.

(٢) بياض في المخطوط.

(١) كذا الظاهر ولعله: زياد.

(٣) بياض في المخطوط.

تفسير قبيصة: أخبرنا أبو عمرو سعيد بن عبد الله بن سعد بن إسماعيل الحيري، وأبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني قراءة عليهما قالا: أخبرنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري: نا أبو أحمد محمد بن عبد الوهّاب العبدي، نا أبو عامر قبيصة بن عقبة الكوفي.

تفسير سعيد بن منصور: أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني، نا أحمد بن نجدة بن العريان، حدّثنا سعيد بن منصور.

تفسير النهدي: أخبرنا أبو محمّد عبد الله بن حامد الوزّان بقراءتي عليه في داره، أخبرنا محمد بن جعفر بن مضر [الميطري]^(١): أخبرنا جعفر بن محمد بن الليث أبو عبد الله الزيايدي الجوهري بالبصرة، نا أبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي.

تفسير ابن وهب: أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا محمد بن عبيد، نا عبد الله بن مسلم، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى عن عبد الله بن وهب القرشي.

تفسير عبد الحميد: أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن، حدّثنا داود بن سليمان، نا عبد الحميد بن حميد إلى سورة (المطفّفين)، ومنها إلى آخر القرآن، قال: أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن يوسف، حدّثنا عمر بن محمد ابن نجير، نا عبد الحميد بن حميد الكشي.

تفسير محمد بن أيوب: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إجازة، أخبرنا أبو عبد الله الخازن، نا محمد بن أيوب الرازي.

تفسير ابن كيسان: نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري لفظاً، أخبرنا أبو سهل محمد بن محمد بن الأشعث الطالقاني الأنماري، حدّثنا عبيد الله بن محمد القاضي، حدّثنا الفضل بن عباس بن مهران عن علي بن مسلم الطوسي قال: قرأت على أصحاب عبد الرّحمن بن كيسان أبي بكر الأهتم، ثم عدّ تفسيره بالتمام.

تفسير أبي حمزة الثمالي: نا أبو أحمد محمد بن أحمد بن شاذان الرازي بقراءتي عليه في مرو سنتي ثمان وتسع وثمانين وثلاثمائة فأقرأنيه قال: أخبرنا أبو محمد عبد الرّحمن بن أبي حاتم الرازي، حدّثنا أبو سعيد عبد الله بن سعيد الكندي الأشج، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي بعض الكتاب بقراءتي عليه، فأجاز لي بالباقي لفظاً وخطاً، حدّثنا محمد بن خلف ابن حيّان ببغداد، حدّثنا إسحاق بن محمد، حدّثني أبي، حدّثنا إبراهيم بن عيسى، حدّثنا علي ابن خليّ عن أبي حمزة الثمالي.

تفسير المسيّب: قرأت على الحسين بن محمد بن الحسن بن عبد الله الدينوري بعض

(١) زيادة عن أسباب النزول للواحد: ٦٤.

الكتاب وأجاز لي بالباقي لفظاً وخطاً، حدّثنا محمد بن علي بن حريز، حدّثنا الحسين بن علوية القطان، حدّثنا إسماعيل بن عيسى حدّثنا المسيب بن شريك.

مصنفات [علماء] العصر :

تفسير عبدالله بن حامد: قرأته عليه، تفسير أبي بكر بن فورك: أملاه علينا الى رأس خمسين آية من سورة البقرة في ثلاثة وأربعين جزءاً ما حزم دونه (رحمه الله).

تفسير أبي عمرو الفراتي الملقّب بالبستاني: أجاز لي بجميعة لفظاً وخطاً.

تفسير أبي بكر ابن فورك: أملى علينا صدراً^(١) من أوله الى آخره ثم استأنف ولحق واقتصر على الأسئلة والأجوبة حتى فرغ منه.

تفسير أبي القاسم بن حبيب: سمعته غير مرّة.

تفسير جبريل: قرأته كلّ على مصنفه.

تفسير النبي ﷺ: سمعت بعضه من مصنفه وأجاز لي بالباقي،^(٢) قرأته كلّ على مصنفه، صنّفها جميعاً أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه [الصيدلاني].

كتاب [ابن المبارك]^(٣): أخبرنا أبو حنيفة القزويني: أخبرنا أبو بكر محمد بن يعقوب الاستواني عن أبي محمد عبد الله بن المبارك الدينوري.

حقائق التفسير على لسان أهل الإمارة: قرأته كلّ على مصنفه أبي عبد الرّحمن محمد بن الحسن السلمي فأقرّ لي به.

كتاب عروة: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن علي، أخبرنا أبو يحيى عمّار بن محمد ابن مسعود، أخبرنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن الخليل، أخبرنا محمد بن هانيء، حدّثنا الحسين بن معين، حدّثنا الهذيل عن مقاتل بن سليمان بكتاب الوجوه، وأخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني بقراءتي عليه في مجلس واحد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الحنبلي البغدادي، حدّثنا أبو يعلى محمد بن أحمد بن عبد الله بن مروان الأقطع^(٤) بملطية: حدّثنا أبو عبد الرّحمن^(٥) بن حسان الملطي: حدّثني أبو صالح إسحاق بن نجيع عن جدّ السلم بن سامة الجشطيني^(٦) عن عكرمة عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه).

(٢) بياض في المخطوط.

(٤) في تاريخ دمشق (١٩ / ١١٥) عبيد الأقطع.

(١) بياض في المخطوط.

(٣) كذا الظاهر.

(٥) بياض في المخطوط.

(٦) في تاريخ بغداد (٦ / ٣١٩): حدث عن هشام بن حسان وعطاء الخراساني وابن جريج وأبي المنيب العتكي

وعبدالعزيز بن أبي رواد.

كتاب مالك بن^(١): أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، حدّثنا عبد الله ابن أحمد بن الصديق، أخبرنا عبد الله بن محمد السعدي، أخبرنا المطهر بن الحكم الكرابيسي عن علي بن الحسين بن واقد.

كتب المعاني:

معاني الفراء: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزني، وأبو محمد عبد الله بن حامد الوزان، وأبو القاسم الحسن بن محمد المفسر، قالوا: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأموي، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن جهم بن هارون السمري، حدّثنا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء.

معاني الكسائي: سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن يقول: سمعت أبو بكر أحمد بن محمد بن عبيد الله الطاهري يقول: سمعت علي بن أحمد المدبر يقول: سمعت أبا عبيد يحدث عن علي بن حمزة الكسائي.

معاني عبيد: أخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتي عليه هو أبي القاسم الحبيبي علينا قالوا: أخبرنا محمد بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز المكي، أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام.

معاني الزجاج: قرأت على أبي عثمان سعد بن محمد بن إبراهيم الحيري - وأخبرنا بالجملة -: أخبرنا أبو علي الفسوي وابن مقسم قالوا: أخبرنا الزجاج.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري بها يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن مسعود الفسوي بها يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن السدي الزجاج.

كتاب النظم: قرأ علينا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بلفظه قال: قرأت على أبي نصر محمد بن محمد بن يوسف بطوس عن الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني.

كتاب الغرائب: سمعت أبا القاسم الحسن بن أحمد السدوسي يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد الماداني يقول: سمعت أحمد بن محمد بن المغيرة يقول: سمعت أحمد بن سهل بن يحيى النيسابوري يقول: سمعت سلمة بن رفيع، أخبرنا غسان البصري عن أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي.

غريب الأخفش: سمعت أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر يقول: سمعت أبا سهل محمد بن محمد بن الأشعث الطالقاني يقول: سمعت علي بن فارس الدينوري يقول: سمعت

(١) بياض في المخطوط.

شمر بن حمدويه والحسن بن سفيان، حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا الفضل بن دكين، حدّثنا بشير بن المهاجرة، حدّثنا عبد الله بن يزيد عن أبيه قال: كنت عند النبي ﷺ فسمعتة يقول: «إنّ القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينفلق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كلّ تاجر من وراء تجارته؛ فإنك اليوم من وراء كل تجارة»^(١) [٢].

قال: «فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والديه حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها. فهو في صعود ما دام يقرأ هذاً كان أو ترتيلاً»^(٢) [٣].

وقال معاذ بن جبل: كنت في سفر مع النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، حدّثنا بحديث ننتفع به، فقال: «إن أردت عيش السعداء، وميتة الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والأمن يوم الخوف والنور يوم الظلمات والظل يوم الحرور، والري يوم العطش والوزن يوم الخفة والهدى يوم الضلالة، فادرس القرآن؛ فإنه ذكر الرّحمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان»^(٣) [٤].

باب [علم القرآن] والترتيب فيه: حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري لفظاً: حدّثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبدان بن حيلة، نا أبو فراس محمد بن جمعة، حدّثنا محمد بن زينون المكي، حدّثنا حمّاد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرّحمن السلمي قال: حدثني الذين كانوا يقرؤوننا عن عثمان بن عفّان (رضي الله عنه)، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب أن النبي ﷺ كان يقرئهم عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قال: فتعلّموا القرآن والعلم^(٤) جميعاً^(٥).

وحدّثنا الحسن بن محمد: أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري، أخبرنا محمد بن عبد السلام الورّاق، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، حدّثنا جرير عن الأشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: «ما من قرأ القرآن ولم يعلم تفسيره إلاّ بمنزلة الأعرابي يقرأ ولا يدري ما هو».

وأخبرنا الحسن بن محمد، حدّثني أبي: حدّثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدّثنا يزيد بن

(١) سنن الدارمي: ٢ / ٤٥١.

(٢) سنن الدارمي: ٢ / ٤٥١.

(٣) كنز العمال: ١ / ٥٤٥.

(٤) في المصادر: العلم والعمل.

(٥) الدر المنثور: ١ / ٣٤٩، ومسند أحمد: ٥ / ٤١٠.

صالح، أخبرنا خارجة عن سعيد عن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال: «والله، ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن نعلم فيم أنزلت، وما معناها».

وقال الحسن: «علم القرآن لم يعلمه إلا الذكور من الرجال».

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت ابن أبي الجوزي يقول: حدثنا أبو نصر سعيد الرملي قال: أتينا الفضيل بن العياض بمكة، فسألناه أن يملي علينا فقال: «ضيعتم كتاب الله وطلبتم كلام فضيل وابن عيينة؟! ولو تفرغتم لكتاب الله تعالى لوجدتم فيه شفاءً لما تريدون». قلنا: قد تعلمنا القرآن! قال: «إن في تعلم القرآن شغلا لأعماركم وأعمار أولادكم وأولادكم»^(١). قلنا: كيف؟ قال: «لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه. فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين»^(٢).

وروى مؤمل بن إسماعيل عن سفيان الثوري أنه قال: «أفئنا عمرنا في الإيلاء والظهار ونبذنا كتاب الله وراء ظهورنا فماذا نقول لربنا في المعاد؟».

[لغة] التفسير: سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر يقول: سمعت أبا بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال يقول: سمعت أبا بكر محمد بن الحسن البريدي يقول: [أما التفسير في اللغة فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة، وهي القليل]^(٣) من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن بيان موطنها وشأن الآية وقصصها، ومعناها والسبب الذي نزلت فيه».

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا سعد محمد بن سعيد الفارسي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن محمد بن محمد بن القاسم الأنباري يقول: سمعت أحمد بن محمد [الخارزنجي] يقول: هو من قول العرب: فسرت الفرس إذا ركضتها مصورة لينطلق حصيرها، وهو يؤول إلى أنما قد سمعته يقول: سمعت أبا حامد أحمد بن محمد الخارزنجي يقول: من [علوت]^(٤) من سفر مثل جذب وحيد وبيت الماء وبصق ووسع لفحل الناقة وبغاها. تقول العرب: فسرت الناقة، إذا سيرتها حتى زال شعرها، وظهر جلدتها. وأنشدوا فيه لبعض الهذليين:

(١) الخبر في تفسير القرطبي ١ / ٢٢، والمصنف اختصره.

(٢) سورة يونس: ٥٧.

(٣) زيادة من البرهان للزركشي لتقويم النص: ٢ / ١٤٧.

(٤) الموجود في الأصل: عادت.

(١)

فيكون معنى التفسير: كشف المنغلق من المراد بلفظه وإطلاق المحتبس عن فهمه .
 والتأويل: بكون الأول معنى مجمله موافق لما قبلها وما بعدها، وأصله من الأول، وهو من
 الرجوع، تقول العرب: أولته. قال: أي صرفته فانصرف.

وسمعت أبا القاسم بن أبي بكر السدوسي يقول: سمعت رافع بن عبد الله يقول: سمعت
 أبا حبيب زيد بن المهدي يقول: سمعت الحسن بن محمد بن البصري يقول: . . (٢). عن جدّه
 النضر أنه قال: «أصله من الإيالة، وهي السياسة، تقول العرب: قد ألنا، وإيل علينا، أي سسنا،
 وساسنا غيرنا، فكأنّ المؤول للكلام [يسوى الكلام ويضع المعنى فيه موضعه] (٣) القادر عليه،
 وواضعه موضعه. وإنما بنوهما على التفعيل؛ لأنه يدلّ على التكثير، وكأنه تتبع سورة بعد سورة
 وآية بعد آية، وأمّا الفرق بينهما:

قالت العلماء: التفسير: علم نزول الآية وشأنها وقصّتها، والأسباب التي نزلت فيها. فهذا
 وأضرابه [محظورة] على الناس القول إلا باستماع الأثر. فأما التأويل فالأمر فيه أسهل؛ لأنه
 صرف الآية إلى معنى يحتمله، وليس بمحظور على العلماء استنباطه والقول فيه وإنّما يكون مرآتنا
 الكتاب والسنة.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) زيادة عن البرهان للزركشي: ٢ / ١٤٩.

تفسير فاتحة الكتاب

[أسمائها]

أخبرنا عبد الرَّحْمَن بن إبراهيم بن محمّد بن يحيى، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القَطَّان، وأخبرنا محمد بن أحمد بن عبدوس، أخبرنا محمد بن المؤمّل بن الحسن بن عيسى، حدّثنا الفضل بن محمد بن المسيّب، حدّثنا خلف بن هشام، حدّثنا محمد بن حسان عن المعافى ابن عمران عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله ربّ العالمين، سبع آيات أولهنّ (بسم الله الرَّحْمَن الرحيم)، وهي السبع المثاني، وهي أمّ القرآن، وهي فاتحة الكتاب»^(١) [٥].

نزولها:

واختلفوا في نزولها؛ أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر قراءة، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله المروزي قال: حدّثنا عبد الله بن محمود السعدي، حدّثنا أبو يحيى القصريّ، حدّثنا مروان بن معاوية عن الولاء بن المسيّب عن الفضل بن عمرو عن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: «نزلت فاتحة الكتاب بمكّة من كنز تحت العرش»^(٢). وعلى هذا أكثر العلماء.

يدلّ عليه ما أخبرنا الحسن بن محمد بن جعفر، حدّثنا محمد بن محمود، حدّثنا أبو لبابة محمد بن مهدي، حدّثنا أبي عن صدقة بن عبد الرَّحْمَن عن روح بن القاسم [العبري] عن عمر ابن شريحيل قال: إن أوّل ما نزل من القرآن ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ أسرّ إلى خديجة (رض) وقال: «لقد خشيت أن يكون خالطني شيء». فقالت: وما ذلك؟ قال: «إني إذا خلوت سمعت النداء فأفرّ». قال: فانطلق به أبو بكر إلى ورقة بن نوفل، فقال له ورقة: إذا أتاك فاجت له. فاتاه جبريل فقال له: «قل: ﴿بسم الله الرَّحْمَن الرحيم﴾ * الحمد لله رب العالمين»^(٣) [٦].

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ١٠ بتفاوت.

(٢) أسباب النزول للواحدى: ١١.

(٣) بتفاوت في أسباب النزول للواحدى: ١١.

وحدَّثنا الحسن بن جعفر، حدَّثنا محمد بن محمود، حدَّثنا عمرو بن صالح عن ابن عباس، حدَّثنا أبي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ بمكة فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. فقالت قريش: دق^(١) الله فاك.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب، حدَّثنا أبو زيد، حدَّثنا أبو حاتم بن محبوب الشامي، أخبرنا عبد الجبار العلاء عن معن عن منصور عن مجاهد قال: «فاتحة الكتاب أنزلت في المدينة».

وقال الحسن بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذه منكرة من مجاهد لأنه تفرّد بها، والعلماء على خلافه. وصح الخبر عن النبي ﷺ في حديث أبي بن كعب أنها من: «أول ما نزل من القرآن»^(٢) [٧] وأنها: «السبع المثاني»^(٣) [٨]، وسورة الحجر مكية بلا اختلاف. ومعلوم أن الله تعالى لم يمتنّ عليه بإتيانه السبع المثاني وهو بمكة، ثم أنزلها بالمدينة، ولا يسعنا القول بأن رسول الله ﷺ كان بمكة يصلي عشر [سنوات]^(٤) بلا فاتحة الكتاب، هذا ممّا لا تقبله العقول.

قال الأستاذ: وقلت: قال بعض العلماء وقد لفق بين هذين القولين: أنها مكية ومدنية، نزل بها جبرئيل مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة حين حلّها رسول الله ﷺ تعظيماً وتفضيلاً لهذه السورة على ما سواها ولذلك سميت مثاني، والله أعلم.

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفرات، أخبرنا أبو موسى عمران بن موسى، حدَّثنا جعفر ابن محمد بن سوار، أخبرنا أحمد بن نصر، أخبرنا سعيد بن منصور، حدَّثنا سلام عن زيد العمّي عن ابن سيرين عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «فاتحة الكتاب شفاء من السم»^(٥) [٩].

وأخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد، حدَّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أيوب، حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن صاحب، حدَّثنا المأمون بن أحمد، حدَّثنا أحمد بن عبد الله، حدَّثنا أبو معاوية الضرير عن أبي مالك الأشجعي عن ابن حمران عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيسمعه الله عزّ وجلّ فيرفع عنهم ذلك العذاب أربعين سنة»^(٦) [١٠].

(١) في الأصل موجود فوقها: رق.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٠ / ١١٧.

(٣) سنن الدارمي: ٢ / ٤٤٥.

(٤) في المخطوط: سنة.

(٥) الجامع الصغير: ٢ / ٢٠٧.

(٦) كشف الخفاء: ١ / ٢٢١.

وحدَّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد قال: حدَّثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن هاني، حدَّثنا الحسين بن الفضل، حدَّثنا عفان بن مسلم الصَّفَّار عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال: أنزل الله عزَّ وجلَّ مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم هذه الأربعة الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصَّل، ثم أودع علوم المفصَّل فاتحة الكتاب. فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة، ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

في فضل التسمية:

حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن علي، حدَّثنا أحمد بن سعيد، حدَّثنا جعفر بن محمد بن صالح، وحدَّثنا محمد بن القاسم الفارسي، حدَّثنا أبو محمَّد عبد الله بن أحمد الشيباني، أخبرنا أحمد بن كامل بن خلف، حدَّثنا علي بن حماد بن السكن، أخبرنا أحمد بن عبد الله الهروي حسام بن سليمان المخزومي عن أبي مليكة عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خير الناس وخير من يمشي على جديد الأرض المعلِّمون؛ فكلما خلق الدين جدِّدوه. أعطوهم ولا تستأجروهم، فتخرجوهم فإن المعلِّم إذا قال للصبي: قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال الصبي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كتب الله براءة للصبي، وبراءة لأبويه وبراءة للمعلِّم من النار»^(١) [١١].

وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الفضل المولى، أخبرنا أبو علي الأسفرائيني الحافظ، حدَّثنا ابن الحسن البصري، حدَّثنا محمد بن مروان أبو جعفر، حدَّثنا أبي، حدَّثنا عمر بن ذر، عن عطاء عن جابر قال: (لما نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بأذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله بعزته أن لا يسمَّى اسمه على شيء إلا شفاه ولا يسمَّى اسمه على شيء إلا بارك عليه، ومن قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ دخل الجنة)^(٢).

وأخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن، حدَّثنا محمد بن محمد بن الحسن، أخبرنا الحسن بن علي بن نصر، حدَّثنا عبد الله بن هاشم، أخبرنا وكيع بن الجراح، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: (من أراد أن يُنجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد)^(٣). [١٢].

(١) تفسير القرطبي: ١ / ٣٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ١٩ بتفاوت.

(٣) تفسير ابن كثير: ١ / ١٩.

التفسير وبالله التوفيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

إعلم أنّ هذه الباء زائدة، وهي تسمى باء التضمين أو باء الإلصاق، كقولك: كتبت بالقلم، فالكتابة لاصقة بالقلم. وهي مكسورة أبدأ؛ والعلة في ذلك أن الباء حرف ناقص ممال. والإمالة من دلائل الكسر، قال سيبويه: لما لم يكن للباء عمل إلا الكسر كسرت.

وقال المبرد: العلة في كسرها ردّها إلى الأصل، ألا ترى أنك إذا أخبرت عن نفسك فإنك قلت: بَيَّبْتُ، فرددتها إلى الياء والياء أخت الكسرة كما أن الواو أخت الضمة والألف أخت الفتحة، وهي خافضة لما بعدها فلذلك كسرت ميم الاسم.

وطوّلت هاهنا وشبهت بالألف واللام؛ لأنهم لم يريدوا أن يفتتحوا كتاب الله إلا بحرف مفتوح معظّم. قاله القيسي.

قال: وكان عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) يقول لكتّابه: (طوّلوا الباء، وأظهروا السين، وفرّجوا بينهما، ودوّروا الميم تعظيماً لكلام الله تعالى).

وقال أبو (١) خالد بن يزيد المرادي: العلة فيها إسقاط الألف من الاسم، فلما أسقطوا الألف ردّوا طول الألف الى الباء ليكون دالاً على سقوط الألف منها. ألا ترى أنهم لمّا كتبوا: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (٢) بالألف ردّوا الباء إلى صيغتها، فإنما حذفوا الألف من (اسم) هنا فالكثرة دورها على الألسن عملاً بالخفة، ولما لم يكثر أضرابها كثرتها أثبتوا الألف بها.

وفي الكلام إضمار واختصار تقديره: قل، أو ابدأ بسم الله.

وقال آدم: الاسم فيه صلة، مجازة: (٣) بالله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هو، واحتجوا بقول لبيد:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر^(٤)
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر^(٥)

(١) بياض في المخطوط.

(٢) سورة العلق: ١.

(٣) أو معناه. (هامش المخطوط).

(٤) شرح الرضي على الكافية: ٢ / ٢٤٢.

(٥) الصحاح: ٢ / ٧٣٨.

أي ثم السلام عليكما .

ومعناه: بالله تكوّنت الموجودات، وبه قامت المخلوقات . وأدخلوا الاسم فيه ليكون فرقاً بين المتيّمّن والتميّنّ به . فأما معنى الاسم، فهو المسمى وحقيقة الموجود، وذات الشيء وعينه ونفسه واسمه، وكلها تفيد معنى واحداً . والدليل على أن الاسم عين المسمى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾^(١)، فأخبر أنّ اسمه يحيى، ثم نادى الاسم وخاطبه فقال: ﴿يَا يَحْيَى﴾^(٢) . فيحى هو الاسم، والإسم هو يحيى .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾^(٣) وأراد الأشخاص المعبودة؛ لأنهم كانوا يعبدون المسميات .

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٤)، و ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾^(٥) .

وقوله ﷺ: «لَتَضْرِبَنَّ مُضْرُ عِبَادَ اللَّهِ حَتَّى لَا يُعْبَدَ لَهُ إِسْمٌ»^(٦) [١٣] أي حتى لا يعبد هو .

ثم يقال: رأينا للتسمية اسم، واستعمالها في التسمية أشهر وأكثر من استعمالها في المسمى، ولعل الاسم أشهر، وجمعه: أسماء، مثل قنو وأقناء، وحنو وأحناء، فحذفت الواو للاستئصال، ونقلت حركة الواو إلى الميم فأعربت الميم، ونقل سكون الميم إلى السين فسكنت، ثم أدخلت ألف ميموزة لسكون السين؛ لأجل الابتداء بذلك عليه التصغير والتصريف يقال: سُمِّيَ وسميّة؛ لأن كل ما سقط في التصغير والتصريف فهو غير أصلي . واشتقاقه من (سما) (يسمو)، فكأن المخبر عنه بأنه معدوم ما دام معدوماً فهو في درجة يرتفع عنها إذ وجد، ويعلو بدرجة وجوده على درجة عدمه . والإسم الذي هو العبارة والتسمية للمخبر والصفة للمنظر . وأصل الصفة ظهور الشيء وبروزه، والله أعلم .

فأما ما ورد في تفسيرها بتفصيلها فكثير، ذكرت جلّ أقاويلها في حديث وحكاية .

أخبرنا الأستاذ أبو القاسم بن محمد بن الحسن المفسّر، حدّثنا أبو الطيّب محمد بن أحمد ابن حمدون المذكور، أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد، حدّثنا أحمد بن هشام الأنطاكي، حدّثنا الحكم بن نافع عن إسماعيل بن عباس عن إسماعيل عن يحيى عن أبي مليكة عن مسعود بن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى بن

(١) سورة مريم: ٧ .

(٢) سورة مريم: ١٣ .

(٣) سورة يوسف: ٤٨ .

(٤) الأعلى: ١ .

(٥) الرّحمن: ٧٨ .

(٦) مجمع الزوائد: ٧ / ٣١٣ .

مريم أسلمته أمّه إلى الكُتّاب ليتعلّم، فقال له المعلم: قل^(١) باسم الله. قال عيسى: وما باسم الله؟ فقال له المعلم: ما أدري. قال: الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم: مملكة الله^(٢) [١٤].

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا إسحاق بن ميثم بن محمد بن يزيد النسفي بمرور يقول: سمعت أبا عبد الله ختن أبي بكر الوراق يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عمر الوراق يقول في ﴿بِسْمِ اللّهِ﴾: إنها روضة من رياض الجنة لكل حرف منها تفسير على حدة:

فالباء على ستة أوجه:

بارى خلقه من العرش الى الثرى، بيان قوله:

﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

بصير بعباده من العرش الى الثرى، بيانه: ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾^(٤).

باسط الرزق من العرش الى الثرى، بيانه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(٥).

وباق بعد فناء خلقه من العرش إلى الثرى: بيانه: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٦).

باعث الخلق بعد الموت للثواب والعقاب، بيانه: ﴿وَأَنَّ اللّٰهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾^(٧).

بارّ بالمؤمنين من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾^(٨).

والسين على خمسة أوجه:

سميع لأصوات خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُّهُمَ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾^(٩).

سيّد قد بلغ سؤدده من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(١٠).

سريع الحساب مع خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١١).

سلم خلقه من ظلمه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنِ﴾^(١٢).

(٧) سورة الحج: ٧.

(٨) سورة الطور: ٢٨.

(٩) سورة الزخرف: ٨٨.

(١٠) سورة الإخلاص: ٢.

(١١) سورة البقرة: ٢٠٢.

(١٢) سورة الحشر: ٢٤.

(١) في المصدر: أكتب.

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٨١.

(٣) سورة الطور: ٢٨.

(٤) سورة الملك: ١٩.

(٥) سورة الرعد: ٢٦.

(٦) سورة الرّحْمَن: ٢٦.

- غافر ذنوب عباده من العرش إلى الثرى، بيانه: قوله: ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾^(١) والميم على اثني عشر وجهاً :
- ملك الخلق من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿الملك القدوس﴾^(٢).
- مالك خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾^(٣).
- مآن على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿بل الله يمتن عليكم﴾^(٤).
- مجيد على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿ذو العرش المجيد﴾^(٥).
- مؤمن آمن خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿وآمنهم من خوف﴾^(٦).
- مهيمن أطلع على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿المؤمن المهيمن﴾^(٧).
- مقتدر على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾^(٨).
- مقيت على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾^(٩).
- متكرم على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾^(١٠).
- منعم على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾^(١١).
- متفضل على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾^(١٢).
- مصور خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿الخالق البارئ المصور﴾^(١٣).
- وقال أهل الحقائق:^(١٤) في ﴿بسم الله﴾ التيمّن والتبرك وحثّ الناس على الابتداء في أقوالهم وأفعالهم بـ ﴿بسم الله﴾ لما افتتح الله عزّ وجلّ كتابه به، والله أعلم.
- ﴿الله﴾، اعلم أن أصل هذه الكلمة (إله) في قول أهل الكوفة، فأدخلت الألف واللام فيها تفخيماً وتعظيماً لما كان اسم الله عزّ وجلّ، فصار (الإله)، فحذفت الهمزة استثقالا لكثرة جريانها على الألسن، وحوّلت هويتها إلى لام التعظيم فالتقى لآمان، فأدغمت الأولى في الثانية، فقالوا (الله).

- | | |
|------------------------|------------------------|
| (١) سورة غافر: ٣. | (٨) سورة القمر: ٥٥. |
| (٢) سورة الحشر: ٢٣. | (٩) سورة النساء: ٨٥. |
| (٣) سورة آل عمران: ٢٦. | (١٠) سورة الإسراء: ٧٠. |
| (٤) سورة الحجرات: ١٧. | (١١) سورة لقمان: ٢٠. |
| (٥) سورة البروج: ١٥. | (١٢) سورة البقرة: ٢٥١. |
| (٦) سورة قريش: ٤. | (١٣) سورة الحشر: ٢٤. |
| (٧) سورة الحشر: ٢٣. | (١٤) بياض في المخطوط. |

وقال أهل البصرة: أصلها (لاه)، فألحقت بها الألف واللام، فقالوا: (الله). وأنشدوا:

كحلفة من أبي رباح يسمعها الآهه الكبار^(١)
فأخرجه على الأصل.

وقال بعضهم: أدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة المحذوفة في (إله)، فلزمتا الكلمة لزوم تلك الهمزة لو أجزيت على الأصل، ولهذا لم يدخل عليه في النداء ما يدخل على الأسماء المعروفة من حروف التشبيه، فلم يقولوا: يا أيها الله.

دفع أقاويل أهل التأويل في هذا الاسم مبنية على هذين القولين...^(٢) ثمة، واختلفوا فيه؛ فقال الخليل بن أحمد وجماعة: (الله) اسم علم موضوع غير مشتق بوجه، ولو كان مشتقا من صفة كما لو كان موصوفاً بتلك الصفة أو بعضها، قال الله: ﴿هل تعلم له سمياً﴾^(٣).

(الله): اسم موضوع لله تعالى لا يشركه فيه أحد، قال الله تعالى: ﴿هل تعلم له سمياً﴾، يعني: أن كل اسم مشترك بينه وبين غيره؛ له على الحقيقة ولغيره على المجاز إلا هذا الاسم فإنه مختص به لأن فيه معنى الربوبية. والمعاني كلها تحته، ألا ترى أنك إذا أسقطت منه الألف بقي لله، وإذا أسقطت من الله اللام الأولى بقي (له)، وإذا أسقطت من (له) اللام بقي هو.

قالوا: وإذا أطلق هذا الاسم على غير الله فإنما يقال بالإضافة كما يقال: لاه كذا أو ينكر فيقال: لله كما قال تعالى إخباراً عن قوم موسى ﷺ: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾^(٤). وأما (الله)، و (الإله) فمخصوصان لله تعالى.

وقال قوم: أصله (لاها) بالسريانية، وذلك أن في آخر أسمائهم مدة، كقولهم للروح: (روحا)، وللقدس: (قدسا)، ولل مسيح: (مسيحا)، وللابن: (ابنا)، فلما طرحوا المدة بقي (لاه)، فعرّب العرب وأقرّوه.

ولا اشتقاق له، وأكثر العلماء على أنه مشتق؛ واختلفوا في اشتقاقه، فقال النضر بن إسماعيل: هو من التأله، وهو التنسك والتعبّد، قال رؤية:

لله در الغانيات المدّه سبحن واسترجعن من تألهي^(٥)
ويقال: أله إلهة، كما يقال: عبد عبادة. وقرأ ابن عباس: (ويذكر وإلهتك) أي عبادتك؛ فمعناه عبادتك المعبود الذي تحقّق له العبادة.

(١) الصحاح: ٦٧ / ٢٢٤٨.

(٢) سورة مريم: ٦٥.

(٤) سورة الأعراف: ١٣٨.

(٥) الصحاح: ٦ / ٢٢٤٩.

(٢) بياض في المخطوط.

وقال قوم هو من (الإله)، وهو الاعتماد، يقال: ألهت إلى فلان، آلهُ إلهاً، أي فزعت إليه واعتمدت عليه، قال الشاعر:

ألَهت إليها والركائب وقَف^(١)

ومعناه: أن الخلق يفرعون ويتضرعون إليه في الحوادث والحوائج، فهو يألههم، أي يجيرهم، فسمي إلهاً، كما يقال: إمام للذي يؤتم به، ولحاف ورداء وإزار وكساء للشوب الذي يلتحف به، ويرتدى به^(٢)، وهذا معنى قول ابن عباس والضحاك.

وقال أبو عمرو بن العلاء: هو من (ألَهت في الشيء)^(٣) إذا تحيرت فيه فلم تهتد إليه، قال زهير:

..... يألُه العين وسطها

مخففة

وقال الأخطل:

ونحن قسمنا الأرض نصفين نصفها لنا ونرامي أن تكون لنا معا
بتسعين ألفاً تأله العين وسطها متى ترها عين الطرامة تدمعا^(٤)
ومعناه: أن العقول تتحير في كنه صفته وعظمته والإحاطة بكيفيته، فهو إله كما قيل للمكتوب: كتاب، وللمحسوب: حساب^(٥).

وقال المبرّد: هو من قول العرب: (ألَهت إلى فلان) أي سكنت إليه، قال الشاعر:

ألَهت إليها والحوادث جمّة

فكان الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره، قال الله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾^(٦).

وسمعت أبا القاسم الحسن: سمعت أبا الحسن علي بن عبد الرحيم القناد يقول: أصله من (الولة)، وهو ذهاب العقل لفقدان من يعزّ عليك. وأصله (أله) - بالهمزة - فأبدل من الألف واو فقبل الولة، مثل (إشاح، ووشاح) و (وكاف، وإكاف) و (أزّخت الكتاب، وورّخته) و (ووقّت، وأقّت). قال الكميّ:

(١) لسان العرب: ١٣ / ٤٦٩.

(٢) يكون مشتق من: الولة، وهو التحير.

(٣) غريب الحديث: ٢ / ٣٤٧.

(٤) لسان العرب: ١٣ / ٤٦٩.

(٥) سورة الرعد: ٢٨.

(٢) كذا في المخطوط.

(٤) بياض في المخطوط.

ولهمت نفسي الطروب إليهم ولها حال دون طعم الطعام^(١)
فكأنه سمّي بذلك؛ لأن القلوب تولّه لمحبتّه وتضطرب وتشتاق عند ذكره.

وقيل: معناه: محتجب؛ لأن العرب إذا عرفت شيئاً، ثم حجب عن أبصارها سمّته إلهاً،
قال: لاهت العروس تلوه لوهماً، إذ حُجبت.

قال الشاعر:

لاهت فما عرفت يوماً بخارجة يا ليتهما خرجت حتى رأيناها^(٢)
والله تعالى هو الظاهر بالزبويّة [بالدلائل والأعلام] وهو المحتجب من جهة الكيفيّة عن
الأوهام.

وقيل: معناه المتعالي، يقال: (لاه) أي ارتفع.

وقد قيل: من [إلاهتك]، فهو كما قال الشاعر:

تروّحنا من اللعباء قصرأ^(٣) وأعجلنا الألاهة أن تؤوبا^(٤)
وقيل: هو مأخوذ من قول العرب: ألّهت بالمكان، إذا أقمت فيه، قال الشاعر:

ألّهنّا بدار ما تبين رسومها كأن بقاياها وشام على اليد^(٥)
فكأن معناه: الدائم الثابت الباقي.

وقال قوم: [ان يقال]^(٦) ذاته وهي قدرته على الإخضاع.

وقال الحارث بن أسد المجلسي، أبو عبد الله البغدادي: الله من (ألهم) أي أحوجهم،
فالعباد مولوهون إلى بارئهم أي محتاجون إليه في المنافع والمضارّ، كالواله المضطرّ المغلوب.

وقال شهر بن حوشب: الله خالق كل شيء، وقال أبو بكر الوراق: هو.

وغلّظ بعض بقراءة اللام من قوله: (الله) حتى طبقوا اللسان به الحنك لفخامة ذكره،
وليصرف عند الابتداء بذكره وهو الرب.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قال قوم: هما بمعنى واحد مثل (ندمان، ونديم) و (سلمان،

(١) لسان العرب: ١٣ / ٥٦١.

(٢) تفسير القرطبي: ١٧ / ١٠١.

(٣) في اللسان: عصرأ.

(٤) تفسير الطبري: ٩ / ٣٥ ، لسان العرب: ١ / ٢١٩.

(٥) تاج العروس: ٩ / ٣٧٥.

(٦) كذا في المخطوط.

وسليم)، وهوان وهوين. ومعناهما: ذو الرحمة، والرحمة: إرادة الله الخير بأهله، وهي على هذا القول صفة ذات. وقيل: هي ترك عقوبة من يستحق العقوبة، [وفعل] الخير إلى من لم يستحق، وعلى هذا القول صفة فعل، يجمع بينهما للاتساع، كقول العرب: جاد مجد. قال طرفة:

فما لي أراني وابن عمي مالكا متى أدنُّ منه ينأ عني ويبعد^(١)
وقال آخر:

وألفى قولها كذباً ومينا^(٢)

وفرق الآخرون بينهما فقال: بعضهم الرَّحْمَنُ على زنة فعلان، وهو لا يقع إلا على مبالغة القول. وقولك: رجل غضبان للممتلئ غضباً، وسكران لمن غلب عليه الشراب. فمعنى (الرَّحْمَن): الذي وسعت رحمته كل شيء.

وقال بعضهم: (الرَّحْمَن) العاطف على جميع خلقه؛ كافرهم ومؤمنهم، برّهم وفاجرهم بأن خلقهم ورزقهم، قال الله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾^(٣)، و(الرحيم) بالمؤمنين خاصة بالهداية والتوفيق في الدنيا، والجنة والرؤية في العقبى، قال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾^(٤). ف (الرَّحْمَن) خاصّ اللفظ عامّ المعنى، و (الرحيم) عامّ اللفظ خاصّ المعنى. و (الرَّحْمَن) خاص من حيث إنه لا يجوز أن يسمى به أحد إلا الله تعالى، عامّ من حيث إنه يشمل الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع والدفع. و (الرحيم) عامّ من حيث اشتراك المخلوقين في المسمّى به، خاص من طريق المعنى؛ لأنه يرجع إلى اللطف والتوفيق. وهذا قول جعفر بن محمد الصادق (رضي الله عنه).

الرَّحْمَن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة، وقول ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد المفسّر، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الدقاق، حدّثنا الحسن بن محمد بن جابر، حدّثنا عبد الله بن هاشم، أخبرنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال: الرَّحْمَن بأهل الدنيا، والرحيم بأهل الآخرة. وجاء في الدعاء: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

وقال الضحاك: الرَّحْمَن بأهل السماء حين أسكنهم السماوات، وطوّقهم الطاعات،

(١) الفروق اللغوية: ١١٨.

(٢) الصحاح: ٦ / ٢٢١٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٦.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٣.

وجنَّبهم الآفات، وقطع عنهم المطاعم واللذات. والرحيم بأهل الأرض حين أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وأعذر إليهم في النصيحة وصرف عنهم البلايا.

وقال عكرمة: الرَّحْمَنُ برحمة واحدة، والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبسه من قول النبي ﷺ الذي حدَّثناه أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري، حدَّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد النسفي بمرور، حدَّثنا أبو هريرة وأحمد بن محمد بن شاردة الكشي، حدَّثنا جارود ابن معاذ، أخبرنا عمير بن مروان عن عبد الملك أبي سليمان عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خلقه، فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وأخر تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة»^(١) [١٥].

وفي رواية أخرى: «إن الله تعالى قابض هذه إلى تلك فمكملها مائة يوم القيامة، يرحم بها عباده»^(٢) [١٦].

وقال ابن المبارك: (الرَّحْمَنُ: الذي إذا سُئِلَ أعطى، والرحيم إذا لم يُسأل غضب. يدلُّ عليه ما حدَّثنا أبو القاسم المفسر، حدَّثنا أبو يوسف رافع بن عبد الله بمرور، حدَّثنا خلف ابن موسى: حدَّثنا محمود بن خدّاش، حدَّثنا هارون بن معاوية، حدَّثنا أبو الملقح وليس الرقي عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: من لم يسأل الله يغضب عليه^(٣)، نضمه الشاعر فقال:

إن الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب^(٤) [١٧]

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت إبراهيم بن محمد النسفي يقول: سمعت أبا عبد الله - وهو ختن أبي بكر الوراق - يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عمر الوراق يقول: (الرَّحْمَنُ: بالنعماء وهي ما أعطي وحبا، والرحيم بالآلاء وهي ما صرف وزوى).

وقال محمد بن علي المزدي: الرَّحْمَنُ بالإنقاذ من النيران، وبيانه قوله تعالى: ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾^(٥)، والرحيم بإدخالهم الجنان، بيانه: ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾^(٦).

وقال المحاسبي: (الرَّحْمَنُ: برحمة النفوس، والرحيم برحمة القلوب).

(١) صحيح مسلم: ٨ / ٩٦، سنن ابن ماجه: ٢ / ١٤٣٥ بتفاوت.

(٢) المستدرک: ٤ / ٢٤٨، بتفاوت.

(٣) فتح الباري: ١١ / ٧٩.

(٤) تفسير القرطبي: ٥ / ١٦٤.

(٥) سورة الحجر: ٤٦.

(٦) سورة آل عمران: ١٠٣.

- وقال السريّ بن مغلس: (الرَّحْمَنُ بكشف الكروب، والرحيم بغفران الذنوب).
- وقال عبد الله بن الجراح: (الرَّحْمَنُ بـ... (١) الطريق، والرحيم بالعصمة والتوفيق).
- وقال مطهر بن الوراق: (الرَّحْمَنُ بغفران السيئات وإن كن عظيمات، والرحيم بقبول الطاعات وإن كنّ [قليلات] (٢)).
- وقال يحيى بن معاذ الرازي: (الرَّحْمَنُ بمصالح معاشهم، والرحيم بمصالح معادهم).
- وقال الحسين بن الفضل: (الرَّحْمَنُ الذي يرحم العبد على كشف الضر ودفع الشر، والرحيم الذي يرقّ وربما لا يقدر على الكشف).
- وقال أبو بكر الوراق أيضاً: (الرَّحْمَنُ بمن جحدته والرحيم بمن وحده، والرَّحْمَنُ بمن كفر والرحيم بمن شكر، والرَّحْمَنُ بمن قال ندأ والرحيم بمن قال فردا).

في أن التسمية من الفاتحة أو لا؟

واختلف الناس في أن التسمية؛ هل هي من الفاتحة؟ فقال قرّاء المدينة والبصرة وقرّاء الكوفة: إنها افتتاح التيمّن والتبرّك بذكره، وليست من الفاتحة ولا من غيرها من السور، ولا تجب قراءتها وأن الآية السادسة قوله تعالى: ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وهو قول مالك بن أنس والأوزاعي وأبي حنيفة - رحمهم الله - ورووا ذلك عن أبي هريرة.

أخبرنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن النيسابوري، حدّثنا أبو الحسن محمد بن الحسن الكابلي، أخبرنا علي بن عبد العزيز الحلّي، حدّثنا أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، حدّثنا الحجّاج عن أبي سعيد الهذلي عن (٣) عن أبي هريرة قال (أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ) الآية السادسة، فزعمت فرقة أنها آية من أمّ القرآن، وفي سائر السور فصل، فليست هاهنا أنها يجب قراءتها.

[وقال قوم: إنها آية من فاتحة الكتاب] (٤) رروا ذلك عن سعيد بن المسيب، وبه قال قرّاء مكة والكوفة وأكثر قرّاء الحجاز، ولم يعدّوا ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية.

وقال الشافعي والشعبي وهو رأي عبد الله أنها نزلت في الآية الأولى من فاتحة الكتاب،

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط، وما ذكرناه هو الظاهر.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) كلام غير مقروء والظاهر ما أثبتناه.

وهي من كل سورة آية إلا التوبة. والدليل عليه الكتاب والسنة؛ أما الكتاب سمعت أبا عثمان بن أبي بكر الزعفراني يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن موسى يقول: سمعت الحسن بن المفضل يقول: رأيت الناس^(١) في النمل أن ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فيها من القرآن فوجدتها بخطها ولو أنها مكررات في القرآن، فعرفنا أماكنها منه بل حتى ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٢)، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^(٣) لما كانا في القرآن كانت مكرراتهما من القرآن.

وبلغنا أن رسول الله ﷺ كتب في بدء الأمر على رسم قريش: «باسمك اللهم» حتى نزلت: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللّهِ مَجْرِبَهَا وَمِرْسَاهَا﴾^(٤) فكتب: ﴿بِسْمِ اللّهِ﴾ حتى نزلت: ﴿قُلْ ادْعُوا اللّهِ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾^(٥)، فكتب: «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنَ»، حتى نزلت: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٦)، فكتب مثلها فلمّا كانت هذه وحيث أن يكون^(٧) منه ثم افتخر النبي ﷺ بهذه الآية، وحق له ذلك.

حدّثنا عبد الله بن حامد بن محمد الوراق: أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه حدّثنا محمد ابن يحيى بن سهل، حدّثنا آدم بن أبي إياس، حدّثنا سلمة بن الأحمر عن يزيد بن أبي خالد عن عبد الكريم بن أمية عن أبي بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داود غيري؟». فقلت: بلى. قال: «بأي شيء تفتتح إذا افتتحت القرآن؟». قلت: ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: «هي هي»^(٨) [١٨].

وفي هذا الحديث دلّ دليل على كون التسمية آية تامّة من الفاتحة وفواتح السور؛ لأن النبي ﷺ حين لفظ الآية كلها، والتي في سورة النمل ليست بآية وإنما هي بعض الآية، وبالله التوفيق.

وأما الأخبار الواردة فيه، فأخبرنا أبو القاسم السدوسي، حدّثنا أبو زكريا يحيى بن محمد ابن عبد الله العنبري، حدّثنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي حدّثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدّثنا أبو سفيان المعمرى عن إبراهيم بن يزيد قال: قلت لعمر بن دينار: إن الفضل الرقاشي زعم أن ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ليس من القرآن؟ قال: سبحان الله! ما أجرأ هذا الرجل! سمعت سعيد بن جبير يقول: سمعت ابن عباس يقول: كان رسول الله ﷺ إذا نزلت آية ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ علم أن السورة قد ختمت وفتح غيرها.

- | | |
|------------------------|-----------------------------------|
| (١) بياض في المخطوط. | (٥) سورة الإسراء: ١١٠. |
| (٢) سورة الرّحمن: ١٣. | (٦) سورة النمل: ٣١. |
| (٣) سورة المرسلات: ١٥. | (٧) بياض في المخطوط. |
| (٤) سورة هود: ٤١. | (٨) مجمع الزوائد: ٢ / ١٠٩ بتفاوت. |

وحدَّثنا الحسن بن محمد: حدَّثنا أبو الحسن عيسى بن زيد العقيلي: حدَّثنا أبو محمد إسماعيل ابن عيسى الواسطي: حدَّثنا عبد الله بن نافع عن جهم بن عثمان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «كيف تقول إذا قمت إلى الصلاة؟» [١٩] قال: أقول: الحمد لله رب العالمين. قال: «قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾»^(١).

وحدَّثنا الحسن بن محمد، أخبرنا أبو الحسين...^(٢)، حدَّثنا علي بن عبد العزيز، حدَّثنا أبو عبيد، حدَّثنا عمر بن هارون البلخي عن أبي صالح عن أبي مليكة عن مسلمة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الحمد لله رب العالمين * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مالك يوم الدين﴾ يعني يقطعها آية آية حتى عد سبع آيات عد الأعراب.

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد، حدَّثنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، حدَّثنا محمد ابن جعفر، حدَّثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدَّثنا الحسين بن عبد الله عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) أنه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وكان يقول: «من ترك قراءتها فقد نقص». وكان يقول: «هي تمام السبع المثاني والقرآن العظيم».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن جعفر، حدَّثنا أبو العباس الأصم، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبار الطاردي، حدَّثنا جعفر بن حيّان عن عبد الملك بن جريح عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾^(٣) قال: فاتحة الكتاب.

وقيل لابن عباس: أين السابعة؟ قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وعدّها في يديه ثم قال: أخرجها لكم، وما أجد فيها أمركم.

أخبرنا [محمد بن الحسين] حدَّثنا عبد الله بن محمد بن مسلم، حدَّثنا يزيد بن سنان، حدَّثنا أبو بكر الحنفي، حدَّثنا نوح بن أبي بلال قال: سمعت المقبري عن أبي هريرة أنه قال: إذا قرأتم أم القرآن فلا تبرحوا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنها إحدى آياتها وإنها السبع المثاني.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري، حدَّثنا جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، حدَّثنا أحمد بن نصر، حدَّثنا آدم بن إياس عن أبي سمعان عن العلا، عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يقول الله: قسمت الصلاة

(١) تاريخ جرجان: ٤٩١.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) سورة الحجر: ٨٧.

بيني وبين عبادي نصفين؛ فإذا قال العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله: مجدني عبدي، وإذا قال العبد ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ قال الله: فوّض إليّ أمره عبدي، وإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي، وإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»^(١) [٢٠].

وأخبرنا علي بن محمد بن الحسن المقرئ، أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد القصار، حدّثنا محمد بن بكر البصري، حدّثنا محمد بن علي الجوهري، حدّثنا...^(٢) حدّثني أبو إسماعيل بن يحيى...^(٣)، حدّثنا سفيان الثوري عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كنت مع النبي ﷺ، والنبي ﷺ يحدث أصحابه؛ إذ دخل رجل يصلي، وافتتح الصلاة، وتعوّذ، ثم قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾. فسمع النبي ﷺ فقال: «يا رجل، قطعت على نفسك الصلاة، أما علمت أن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من الحمد؟ فمن تركها فقد ترك آية، ومن ترك آية منه فقد قطعت عليه صلاته»^(٤). لا تكون الصلاة إلاّ بفاتحة الكتاب، ومن ترك آية فقد بطلت صلاته [٢١].

وأخبرنا أبو الحسين علي بن محمد الجرجاني، حدّثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، حدّثنا أبو بكر محمد بن عمر بن هشام، أخبرنا محمد بن يحيى، حدّثنا حكيم بن الحسين، حدّثنا سليمان بن مسلم المكي عن نافع عن أبي مليكة عن طلحة بن عبيدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقد ترك آية من كتاب الله»^(٥) [٢٢].

وقد عدّها علي ﷺ فيما عدّ من أمّ الكتاب.

وأما الإجماع، فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الوراق، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الضبعي، حدّثنا عبد الله بن محمد، حدّثنا محمد بن يحيى، حدّثنا علي بن المديني، حدّثنا عبد الوهاب بن فليح، عن عبدالله بن ميمون عن عبيد بن رفاعه أن معاوية بن أبي سفيان قدم المدينة فصلّى بالناس صلاة يجهر فيها، ولمّا قرأ أمّ القرآن ولم يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقضى صلاته، ناداه المهاجرون والأنصار من كل ناحية: أنسيت! أين ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حين استفتحت القرآن؟ فأعادها لهم معاوية فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

(١) السنن الكبرى: ١ / ٣١٦، أحكام القرآن: ١ / ٨، تفسير ابن كثير: ١ / ١٢، بتفاوت.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) الدر المثور: ١ / ٧، عن الثعلبي.

(٥) الدر المثور: ١ / ٧.

الكلام في جزئية البسمة من باقي السور

هذا في الفاتحة، فأما في غيرها من السور، فأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، حدّثنا أبو العباس الأصبم، حدّثنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز، عن ابن جريج، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، أن أبا بكر بن حفص بن عاصم قال: صلى معاوية بالمدينة صلاة يجهر فيها بالقراءة، وقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لأم القرآن ولم يقرأ للسورة التي بعدها حتى قضى صلاته، فلَمَّا سَلَّمَ ناداه المهاجرون من كل مكان: يا معاوية، أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فصلى بهم صلاة أخرى وقرأ فيها للسورة التي بعدها.

وما... (١) النظر بآيات [السور] (٢) مقاطع القرآن على ضربين متقاربة ومتشاكلة. والمتشاكلة نحو ما في سورة القمر والرّحمن وأمثالهما، والمتقاربة قيل: في سورة ﴿ق﴾ * والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴿٣﴾، وما ضاهاها. ثم نظرنا في قوله: ﴿قبلهم﴾، فلم يكن من المتشاكلة ولا من المتقاربة، ووجدنا أواخر آي القرآن على حرفين: ميم ونون أو حرف صحيح قبلها نا مكسورة فأولها، أو واو مضموم ما قبلها، أو ألف مفتوح ما قبلها، ووجدنا سيبلهم هو هو مخالف لنظم الكتاب.

هذا ولم نر غير مبتدأ آية في كتاب الله... (٤) إذ يقول أيضاً: إن التسمية لا [تخلو] (٥)؛ إما أن تكون مكتوبة للفصل بين السور، أو في آخر السور، أو في أوائلها أو حين نزلت كتبت، وحيث لم تنزل لم تكتب، فلو كتبت للفصل لكتبت... (٦) وتراخ، ولو كتبت في الابتدا لكتبت في (براءة)، ولو كتبت في الانتهاء لكتبت في آخر ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ (٧). فلَمَّا أبطلت هذه الوجوه علمنا أنها كتبت حيث نزلت، وحيث لم تنزل لم تكتب.

يقول أيضاً: إنا وجدناهم كتبوا ما كان غير قرآن من الآي والأخرى، أو خضرة، وكتبوا التسمية بالسواد فعلمنا أنها قرآن، وبالله التوفيق.

حكم الجهر بالبسمة في الصلاة

ثم الجهر بها في الصلاة سنّة لقول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (٨) [فأمر] (٩) رسوله أن يقرأ القرآن بالتسمية، وقال: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلّى﴾ (١٠) فأوجب الفلاح لمن صلّى بالتسمية.

(١) بياض في المخطوط.

(١) بياض في المخطوط.

(٧) سورة الناس: ١.

(٢) بياض في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

(٨) سورة العلق: ٢.

(٣) سورة ق: ١ - ٢.

(٩) بياض في مصورة المخطوط، والظاهر ما أثبتناه.

(٤) بياض في المخطوط.

(١٠) سورة الأعلى: ١٤ و ١٥.

(٥) بياض في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

وأخبرنا أبو القاسم [الحسن بن محمد بن جعفر] حدّثنا أبو صخر محمد بن مالك السعدي بمرور، حدّثنا عبد الصمد بن الفضل الأملي، حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي بغوطة [دمشق]^(١) قال: صليت خلف المهديّ أمير المؤمنين فجهر بـ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فقلت: ما هذه القراءة يا أمير المؤمنين؟ [فقال:] حدّثني أبي عن أبيه عن عبد الله بن عباس أن النبي ﷺ جهر بـ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قلت: أأثرها عنك؟ قال: نعم^(٢).

وحدّثنا الحسن بن محمد بن الحسن قال: حدّثنا أبو أحمد محمد بن قريش بن حابس بمرور الروذ إملاء، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدّيري، حدّثنا عبد الرزاق عن عمر بن دينار، أن ابن عمر وابن عباس كانا يجهران بـ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وحدّثنا الحسن بن محمد بن زكريا العنبري، حدّثنا محمد بن عبد السلام، حدّثنا إسحاق ابن إبراهيم، أخبرنا خَيْثَمَةُ بن سليمان قال: سمعت ليثاً قال: كان عطاء وطاووس ومجاهد يجهرون بـ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وحدّثنا الحسن بن محمد: حدّثنا أبو بكر أحمد بن عبد الرّحمن المروزي، حدّثنا الحسن ابن علي بن نصير الطوسي، حدّثنا أبو ميثم سهل بن محمد، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزاعي، عن عمّار بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، أن العبادلة كانوا يستفتحون القراءة بـ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يجهرون بها: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن صفوان.

وحدّثنا الحسن بن محمد، حدّثنا أبو نصر منصور بن عبد الله الاصفهاني، حدّثنا أبو القاسم الاسكندراني، حدّثنا أبو جعفر الملطي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه قال: «اجتمع آل محمد على الجهر بـ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وعلى أن يقضوا ما فاتهم من صلاة الليل بالنيهار، وعلى أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن القول وفي صاحبهما».

وبهذا الإسناد قال: سئل الصادق عن الجهر بالتسمية، فقال: «الحق الجهر به، وهي التي التي ذكر الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّاْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا﴾^(٣)».

وحدّثنا الحسن، حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن كعب العدل، حدّثنا الحسين ابن أحمد بن الليث، حدّثنا محمد بن المعلّى المرادي، حدّثنا أبو نعيم عن خالد بن

(١) بياض في مصورة المخطوط، والظاهر ما أثبتناه.

(٢) البداية والنهاية: ١٠ / ١٦٢.

(٣) سورة الإسراء: ٤٦.

إياس عن سعيد ابن أبي سعيد المقرئ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فعلمني الصلاة»^(١) [٢٣]، ثم قام رسول الله ﷺ وكبر فجهر بـ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

وحدّثنا الحسن بن محمد، حدّثنا أبو الطيب محمد بن أحمد بن حمدون، حدّثنا الشريقي، حدّثنا محمد بن يحيى، حدّثنا ابن أبي مريم عن يحيى بن أيوب ونافع بن أيوب قالوا: حدّثنا عقيل عن الزهري قال: من سنّة الصلاة أن تقرأ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في فاتحة الكتاب [فإن] لم يقرأ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لم يقرأ السورة. وقال: إن أول من ترك ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عمرو ابن سعيد بن العاص بالمدينة، واحتجّ من أن إتيان التسمية أنها من الفاتحة، والجهر بها في الصلاة بما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل النيسابوري القطان، حدّثنا محمد بن إبراهيم الجرجاني، حدّثنا إبراهيم بن عمّار عن سعيد بن أبي عروبة عن الحجاج بن الحجاج عن قتادة عن أنس بن مالك قال: صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن إسماعيل العماري، حدّثنا يزيد بن أحمد بن يزيد، حدّثنا أبو عمرو، حدّثنا محمد بن عثمان، حدّثنا سعيد بن بشير، عن قتادة عن أنس، أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا لا يجهرون، ويخفون ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

فعلم بهذا الحديث أنه لم ينف كونه هذه الآية من جملة السورة، لكنه تعرّض لترك الجهر فقط، على أنه أراد بقوله: (لا يجهرون): أنهم لا يتكلمون في رفع الصوت ولم يرد الإسراء والتخافت أو تركها أصلاً.

ويدل عليه ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد الحبيبي، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري، حدّثنا محمد بن عبد السلام الوراق وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن قالوا: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا يحيى بن آدم، أخبرنا شريك، عن ياسر، عن سالم الأفتس، عن ابن أبي ليلي، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يجهر بـ ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ جهر بها صوته، فكان المشركون يهزؤون بمكّة ويقولون: يذكر إله اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، ويسمونهم الرّحمن، فأنزل الله: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ فيسمع المشركون فيهزؤون، ﴿ولا تخافت﴾ عن أمك ولا تسمعهم ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾^(٢).

واحتجّوا أيضاً بما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن جعفر المطيري، حدّثنا بشر

(١) كنز العمال: ٧ / ٤٤١.

(٢) سورة الإسراء: ١١٠.

ابن مطر [عن سفيان عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة] عن أبيه عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يستفتحون القراءة بـ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وإنما عنى بها أنهم كانوا يستفتحون الصلاة بسورة (الحمد)، فعبر بهذه الآية عن جميع السورة كما يقول: قرأت ﴿الحمد لله﴾ و (البقرة)، أي سورة ﴿الحمد لله﴾ وسورة (البقرة) . . . (١) أي رويناها نحكم على هذين الحديثين وأمثالهما وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿الحمد لله﴾

. . . (٢) على نفسه، نعيماً منه على خلقه. ولفظه خبر ومعناه أمر، تقريره: قولوا: الحمد لله. قال ابن عباس: يعني: الشكر منه، وهو من الحمد . . . (٣) والحمد لله نقيض الذم. وقال ابن الأنباري: هو مقلوب عن المدح كقوله: جبل وجلب، و: بض وضب.

واختلف العلماء في الفرق بين الحمد والشكر، فقال بعضهم: الحمد: الثناء على الرجل بما فيه من الخصال الحميدة، تقول: حمدت الرجل، إذا أثنت عليه بكرم أو [حلم] أو شجاعة أو سخاوة، ونحو ذلك. والشكر له: الثناء عليه أو لآله.

فالحمد: الثناء عليه بما هو به، والشكر: الثناء عليه بما هو منه.

وقد يوضع الحمد موضع الشكر، فيقال: حمدته على معروفه عندي، كما يقال: شكرته، ولا يوضع الشكر موضع الحمد، [ف] لا يقال: شكرته على علمه وحلمه.

والحمد أعَمّ من الشكر؛ لذلك ذكره الله فأمر به، فمعنى الآية: الحمد لله على صفاته العليا وأسمائه الحسنى، وعلى جميع صنعه وإحسانه إلى خلقه.

وقيل: الحمد باللسان قولاً، قال الله: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ (٤)، وقال: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ (٥) والشكر بالأركان فعلاً، قال الله تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ (٦).

وقيل: الحمد لله على ما حبا وهو النعماء، والشكر على ما زوى وهو اللأواء.

وقيل: الحمد لله على النعماء الظاهرة، والشكر على النعماء الباطنة، قال الله تعالى: ﴿وأسئغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (٧).

(٥) سورة النمل: ٥٩.

(٦) سورة سبأ: ١٣.

(٧) سورة لقمان: ٢٠.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) سورة الإسراء: ١١١.

وقيل: الحمد ابتداء والشكر... (١)

حدّثنا الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري لفظاً، حدّثنا إبراهيم بن محمد بن يزيد النسفي، حدّثنا محمد بن علي الترمذي، حدّثنا عبدالله بن العباس الهاشمي، حدّثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو [بن العاص] قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده» (٢) [٢٤].

وحدّثنا الحسن بن محمد، أخبرنا أبو العباس أحمد بن هارون الفقيه، حدّثنا عبد الله بن محمود السعدي، حدّثنا علي بن حجر، حدّثنا شعيب بن صفوان عن مفضل بن فضالة عن علي بن يزيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه سئل عن ﴿الحمد لله﴾ قال: كلمة شكر أهل الجنة.

في إعراب ﴿الحمد لله﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)

وقد اختلف القرّاء في قوله: ﴿الحمد لله﴾، فقرأت العامة بضمّ الدال على الابتداء، وخبره فيما بعده. وقيل: على التقديم والتأخير، أي لله الحمد.

وقيل: على الحكاية. وقرأ هارون بن موسى الأعور ورؤبة بن العجاج بنصب الدال على الإضمار، أي أحمد الحمد؛ لأن الحمد مصدر لا يثنى ولا يجمع. وقرأ الحسن البصري بكسر الدال، أتبع الكسرة الكسرة. وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة الشامي بضم الدال واللام، أتبع الضمة الضمة.

﴿رب العالمين﴾ قرأ زيد بن علي: ﴿رب العالمين﴾ بالنصب على المدح، وقال أبو سعيد ابن أوس الأنصاري: على معنى أحمد ربّ العالمين. وقرأ الباقون ﴿ربّ العالمين﴾ بكسر الباء، أي خالق الخلق أجمعين ومبدئهم ومالكهم والقائم بأمرهم، والرب بمعنى السيّد، قال الله تعالى: ﴿اذكروني عند ربّك﴾ (٣) أي سيّدك، قال الأعشى (٤):

واهلكن يوماً ربّ كندة وابنه وربّ معبين خبت وعرعر (٥)

(١) بياض في المخطوط.

(٢) المصنّف لعبد الرزّاق: ١٠ / ٤٢٤، ح ١٩٥٧٤.

(٣) سورة يوسف: ٤٢.

(٤) في المصدر نسبه إلى لييد بن ربيعة.

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٩٣.

وربّ عمر والرومي من رأس حضية
يعني: رئيسها وسيدها.

ويكون بمعنى المالك، قال النبي ﷺ: «أربُّ إبل أنت أم رب غنم؟»^(١) [٢٥]. فقال: من كل قد آتاني الله فأكثر وأطب وقال طرفة:

كقنطرة الرومي أقسم ربها
وقال النابغة:

وإن يك ربّ أذواد فحسبي
ويكون بمعنى الصاحب، قال أبو ذؤيب:

فدنا له رب الكلاب بكفه
ويكون بمعنى المرعى، يقول: ربّ يربّ رباة وربوا، فهو ربّ، مثل برّ وطب، قال الشاعر:

يربّ الذي يأتي من العرف إنه
ويكون بمعنى المصلح للشيء، قال الشاعر:

كانوا كسائلة حمقاء إذحقنت
أي غير مصلح.

وقال الحسين بن الفضل: الرب: اللبث من غير إثبات أحد، يقال: ربّ بالمكان وأربّ، ولبث وألبث إذا أقام وفي الحديث أنه كان يتعوذ بالله من فقر ضرب أو قلب قال الشاعر:

ربّ بأرض تخطّها الغنم لب بأرض ما تخطّها الغنم^(٧)

وهو الاختيار؛ لأن المتكلمين أجمعوا على أنّ الله لم يزل ربّاً وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو بكر محمد بن موسى الواسطي عن الرب، فقال: هو الخالق ابتداءً، والمربي غذاءً، والغافر انتهاءً. ولا يقال للمخلوق: هو الرب، معرّفاً بالألف

(١) مسند الحميدي: ٢ / ٣٩٠، غريب الحديث: ١ / ١٦٦.

(٢) لسان العرب: ٥ / ١١٨، والقمر: الحجارة.

(٣) التبيان: ٦ / ١٤٤.

(٤) لسان العرب: ١ / ٤٣٨.

(٥) تاج العروس: ١ / ٢٦١.

(٦) الصحاح: ١ / ٥٥.

(٧) لسان العرب: ١ / ٧٣١.

واللام، وإنما يقال على الإضافة: هو رب كذا؛ لأنه لا يملك الكل غير الله، والألف واللام تدلّان على العموم. وأما العالمون فهم جمع عالم، ولا واحد له من لفظه^(١)، كالأنام والرهط والجيش ونحوها.

واختلفوا في معناه، حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو إسحاق بن أسعد بن الحسن بن سفيان عن جدّه عن أبي نصر ليث بن مقاتل عن أبي معاذ الفضل بن خالد عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن الربيع بن أنس عن شهر بن حوشب عن أبي بن كعب قال: العالمون هم الملائكة، وهم ثمانية عشر ألف ملكاً منهم أربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمشرق، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالكهف الثالث من الدنيا، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك في الكهف الرابع من الدنيا، مع كل ملك من الأعوان ما لا يعلم عددهم إلا الله عزّ وجلّ ومن ورائهم أرض بيضاء كالرخام^(٢) مسير الشمس أربعين يوماً، طولها لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون، لهم زجل بالتسبيح والتهليل، لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته فهم العالمون، متناهية إلى حملة العرش.

وقال أبو معاذ [النحوي]: هم بنو آدم.

وقال أبو هيثم خالد بن يزيد: هم الجن والإنس؛ لقوله تعالى: ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾^(٣)، وهي رواية عطية العوفي وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

وقال الحسين بن الفضل: العالمون: الناس، واحتجّ بقوله تعالى: ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾^(٤).

وقال العجاج: بخلاف هذا العالم.

وقال الفراء وأبو عبيدة: هو عبارة عن من يعقل، وهم أربع أمم: الملائكة، والجن، والإنس، والشياطين، لا يقال للبهائم: عالم. وهو مشتق من العلم، قال الشاعر:

ما إن سمعت بمثلهم في العالمينا

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: هم أهل التنزيه من الخلق. وقال عبد الرّحمن بن زيد ابن أسلم: هم المرتزقون. وقال الخضر بن إسماعيل: هو اسم الجمع الكثير، قال ابن الزبير:

(١) أي من لفظ العالم.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) سورة الفرقان: ١.

(٤) سورة الشعراء: ١٦٥.

إنني وجدتك يا محمد عصمة للعالمين من العذاب الكارث^(١)
وقال أبو عمرو بن العلاء: هم الروحانيون. وهو معنى قول ابن عباس: كل ذي روح دبّ
على وجه الأرض. وقال سفيان بن عيينة: هو جمع للأشياء المختلفة.

وقال جعفر بن محمد الصادق: «العالمون: أهل الجنة وأهل النار». وقال الحسن وقتادة
ومجاهد: هو عبارة عن جميع المخلوقات، واحتجوا بقوله: ﴿قال فرعون وما رب العالمين *
قال رب السماوات والأرض وما بينهما﴾^(٢).

واشتقاقه على هذا القول من (العلم) و (العلامة)؛ لظهورهم ولظهور أثر الصنعة فيهم ثم
اختلفوا في مبلغ العالمين وكيفيتهم، فقال سعيد بن المسيب: لله ألف عالم؛ منها ستمائة في
البحر وأربعمائة في البر. وقال الضحّاك: فمنهم ثلاثمائة وستون عالماً حفاة عراة لا يعرفون من
خالقهم، وستون عالماً يلبسون الثياب. وقال وهب: لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا
عالم منها، وما العمارة في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء. وقال أبو سعيد الخدري: إن لله
أربعين ألف عالم، الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد. وقال أبو القاسم مقاتل بن حيان:
العالمون ثمانون ألف عالم؛ أربعون ألفاً في البر وأربعون ألفاً في البحر. وقال مقاتل بن
سليمان: لو فسّرت ﴿العالمين﴾، لاحتجت إلى ألف جلد كل جلد ألف ورقة. وقال كعب
الأحبار: لا يحصي عدد العالمين إلا الله، قال الله: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾^(٣).

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

﴿مالك يوم الدين﴾^(٤).

اختلف القراء فيه من عشرة أوجه:

الوجه الأول: مالك - بالألف وكسر الكاف - على النعت، وهو قراءة النبي ﷺ وأبي بكر
وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبي بن كعب و
معاذ بن جبل وابن عباس وأبي ذر وأبي هريرة وأنس ومعاوية، ومن التابعين وأتباعهم عمر بن
عبد العزيز ومحمد بن شهاب الزهري ومسلمة بن زيد والأسود بن يزيد وأبو عبد الرحمن السلمي
وسعيد بن جبيرة وأبو رزين وإبراهيم وطلحة بن عوف وعاصم بن أبي النجود و...^(٥) بن عمر

(١) لم نجده في المصادر نعم هو في مناقب ابن شهر آشوب (١ / ١٤٤) وفيه: العذاب الواصب.

(٢) سورة الشعراء: ٢٣ - ٢٤.

(٣) سورة المدثر: ٣١.

(٤) سورة الفاتحة: ٤.

(٥) بياض في المخطوط.

الهمذاني وشيبان ابن عبد الرَّحْمَن وعلي بن صالح بن حي وابن أبي ليلى وعبد الله بن إدريس وعلي بن حمزة الكسائي وخلف بن هشام والحسين بن أبي الحسن البصري من أهل البصرة وأبو رجاء العطاردي ومحمد بن سيرين وبكر بن عبد الله المزني وقتادة بن دعامة السدوسي ويحيى بن يعمر^(١) وعيسى بن عمر النفعي وسلام بن سليمان أبو المنذر ويعقوب بن أعين الحضرمي وأيوب بن المتوكل وأبو عبيدة و^(٢) وسعيد بن مسعدة الأخفش وخالد بن معدان والضحاك بن مزاحم.

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد، أخبرنا أحمد بن محمد بن علي، حدّثنا محمد بن يحيى، حدّثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب وأخبرنا أبو العباس الأصمّ، أخبرنا ابن عبد الحكم: حدّثنا^(٣) بن سويد الحميري عن يونس عن يزيد عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يقرؤون: ﴿مالك يوم الدين﴾.

وأخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن محمد بن خلف العطار، حدّثنا المنذر بن المنذر الفارسي، حدّثنا هارون بن حاتم، حدّثنا إسحاق بن منصور الأسدي عن أبي إسحاق^(٤) عن مالك بن دينار عن أنس قال: سمعت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً يقرؤون: ﴿مالك يوم الدين﴾، وأول من قرأها: (ملك يوم الدين) مروان بن الحكم.

والوجه الثاني: ملك، بغير ألف وكسر الكاف على التفسير أيضاً، وهو قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وشعيب بن يزيد والمسور بن المخرمة ومن التابعين وأتباعهم عروة بن الزبير وأبو بكر بن عمر بن حزم ومروان بن الحكم و^(٥) وعبد الرَّحْمَن بن هرمز الأعرج وأبان بن عثمان وأبو جعفر يزيد بن المفضل ونسيبة بن نصّاح ونافع بن نعيم ومجاهد وابن كثير وابن محسن وحמיד بن معين ويحيى بن وثاب وحمزة بن حبيب ومحمد بن سيرين وعبد الله بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وعمرو بن^(٦) وعبد الله بن عامر النصيبي.

وروي ذلك أيضاً عن رسول الله ﷺ وعن عثمان وعلي ﷺ.

أخبرنا ابن حمدويه، أخبرنا ابن أيوب [المنقري]: أخبرنا ابن حامد^(٧) وابن^(٨) قالوا: أخبرنا حامد بن محمد، حدّثنا وأخبرنا ابن عمر، حدّثنا الرفاء، قالوا: حدّثنا علي بن عبد العزيز، حدّثنا أبو عبيد، حدّثنا يحيى بن سعيد القفّان، حدّثنا عبد الملك بن جريج عن عبد الله

(٥) بياض في المخطوط.

(٦) بياض في المخطوط.

(٧) وهو الوزان.

(٨) بياض في المخطوط.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) بياض في المخطوط.

ابن أبي مليكة عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * ملك يوم الدين﴾.

والوجه الثالث: ملك - بجزم اللام - على النعت، وهو رواية الحسن بن علي الجعفي وعبد الوارث بن سعيد، وروي عن ابن عمر.

والوجه الرابع: أن مالك - بالألف ونصب الكاف - على النداء، وهي قراءة الأعمش ومحمد بن [السميع] وعبد الملك قاضي الجند، وروي ذلك عن الرسول ﷺ قال في بعض غزواته: «يا مالك يوم الدين»^(١) [٢٦].

والوجه الخامس: ملك - بنصب الكاف من غير ألف - على النداء أيضاً، وهي قراءة عطية^(٢).....

والوجه السادس: مالك - بالألف ورفع الكاف - على معنى: هو مالك، وهي قراءة عزيز العقيلي.

والوجه السابع: ملك - برفع الكاف من غير ألف - وهي قراءة أبي حمزة وابن سيرين.

والوجه الثامن: مالك، بالإمالة والإضجاع البليغ. روي ذلك عن يحيى بن يعمر. وعن أيوب السختياني بين الإمالة والتفخيم.....^(٣) عن.....^(٤) عن الكلبي.

والوجه التاسع: (ملك يوم الدين) على الفعل، وهي قراءة الحسن ويحيى بن يعمر وأبي حمزة وأبي حنيفة.

الفرق بين ملك ومالك

[أما] الفرق بين مالك وملك فقال قوم: هما لغتان بمعنى واحد، مثل (فرهين) و (فارهين) و (حذرين) و (حاذرين) و (فكهين) و (فاكهين).....^(٥) بينهما، فقال أبو عبيدة والأصمعي وأبو سالم والأخفش وأبو الهيثم: مالك أجمع وأوسع وأمدح، ألا ترى أنه يقال: الله مالك الطير والدواب والوحش وكل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء، وإنما يقال: ملك الناس؟ قالوا: ولا يكون مالك الشيء إلا هو يملكه ويكون ملك الشيء وهو لا يملكه، كقولهم: ملك العرب والعجم والروم.

(١) مجمع الزوائد: ٥ / ٣٢٨.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) بياض في المخطوط.

(٥) بياض في المخطوط.

وقالوا أيضاً: إن (المالك) يجمع الفعل والاسم.

وقال بعضهم: في (مالك)^(١) ومالك قوله ﷺ: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات»^(٢) [٢٧].

وقال أبو عبيد: الذي نختار ملك^(٣) مروياً عن النبي ﷺ أثبت. ومن قرأ بها من أهل العلم أكثر. وهي مع هذا في المعنى أصح لقوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾^(٤)، و: ﴿الملك القدوس﴾^(٥)، و: ﴿ملك الناس﴾^(٦)، و: ﴿لمن الملك اليوم﴾^(٧)، ولم يقل: لمن الملك اليوم؟

والملك مصدر الملك وغيره، وملك يصلح للمالك والمليك، يقال: ملك الشيء يملكه ملكاً، فهو مالك ومليك، و: ملكه يملكه ملكاً فهو ملك لا غير. وهما بعد الناس، ومعناها الرب؛ لأن العرب تقول: رب الدار والعبد والضيعة بمعنى أنه مالكها، ولا يفرقون بين قولهم: ربها ومالكها ومن^(٨) قال: إن المالك والملك هو القادر على استخراج الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر في الحقيقة على إخراجها إلا الله المالك، قال النبي ﷺ: «لا ملك إلا الله»^(٩) [٢٨]. فأما غيره، فيسمى ملكاً وملكاً على المجاز.

والمراد بذلك: أنه مأذون له في التصرف فيه.

وقال عبد العزيز بن يحيى: المالك يمكن بما يملكه، منفرد به عن أبناء جنسه، تعود منافعه إليه، والمالك الثاني الذي بيده الشيء، ويستولي عليه، ويصرفه فيما يريد. تقول العرب: ملكك زمام البعير، وملكك العجين إذا شدته، وأملكك المرأة إملاكاً، قال الشاعر:

وجبرئيل أمين الله أملكها

معنى قوله: ﴿الدين﴾

وأما معنى قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾، فقال ابن عباس والسدي ومقاتل: قاضي يوم الحساب. ودليله قوله عز وجل: ﴿ذلك الدين القيم﴾^(١٠)، أي الحساب المستقيم.

الضحك وقتادة: الدين: الجزاء، يعني: يوم يدين الله العباد بأعمالهم. دليله قوله: ﴿أئنا لمدينون﴾^(١١)، أي مجربون. قال لبيد:

- | | |
|-----------------------|----------------------------|
| (١) بياض في المخطوط. | (٧) سورة غافر: ١٦. |
| (٢) البرهان: ١ / ٤٤٥. | (٨) بياض في المخطوط. |
| (٣) بياض في المخطوط. | (٩) مجمع الزوائد: ١٠ / ٤٤. |
| (٤) سورة طه: ١١٤. | (١٠) سورة التوبة: ٣٦. |
| (٥) سورة الحشر: ٢٣. | (١١) سورة الصافات: ٥٣. |
| (٦) سورة الناس: ٢. | |

حصادك يوماً ما زرعت وإنما يدان الفتى يوماً كما هو دائن^(١)
وقال عثمان بن زيات: يوم القهر والغلبة، تقول العرب: مدان فدان، أي قهرته فخضع
وذلل. وقال الأعشى:

هو دان الرباب إذ كره هو الدين دراكا بغزوة وارتحال
ثم دانت بعد الرباب وكانت كعذاب عقوبة الأقوال^(٢)

وسمعت أبا القاسم الحسين بن محمد الأديب يقول: سمعت أبا المضر محمد بن أحمد
ابن منصور يقول: سمعت أبا عمر غلام ثعلب يقول: كان الرجل إذا أطاع ودان إذا عصى، ودان
إذا عزّ وكان إذا ذلّ، ودان إذا قهر.

وقال الحسن بن الفضل: يوم الإطاعة، قال زهير:

لئن حللت بواد في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك^(٣)
أي في طاعة، وكل ما أطيع الله فيه فهو دين.

وقال بعضهم: يوم العمل، قال الفراء: دين الرجل خلقه وعمله وعادته، وقال المثقب
العبدي:

تقول إذا درأت وضيئي لها أهذا دينه أبداً وديني^(٤)
وقال محمد بن كعب القرظي: ﴿مالك يوم﴾ لا ينفع فيه إلا ﴿الدين﴾، وهذه من قول الله
تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم﴾^(٥)، وقوله: ﴿وما أموالكم
ولا أولادكم بالنبي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً﴾^(٦).

وإنما خصّ يوم الدين بكونه مالكاً له؛ لأن الأملك في ذلك اليوم زائلة [فينفرد تعالى
بذلك]^(٧)، وهي باطلة والأملك خاصة. وقيل: خصّ يوم الدين بالمالك فيه؛ لأن ملك الدنيا قد
اندرج في قوله: ﴿رب العالمين﴾^(٨)، فأثبت أنه مالك الآخرة بقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾؛
ليعلم أن الملك له في الدارين. وقيل: إنما خصّ يوم الدين بالذكر؛ تهويلاً وتعظيماً لشأنه كما
قال تعالى: ﴿يوم هم بارزون * لا يخفى على الله منهم شيء﴾^(٩)، ولا خفاء بهم في كل
الأوقات عن الله عزّ وجلّ.

(٦) سورة سبأ: ٣٧.

(٧) زيادة لتقويم النص.

(٨) سورة الحمد: ٢.

(٩) سورة غافر: ١٦.

(١) تفسير القرطبي: ١ / ١٤٤.

(٢) الصحاح: ٥ / ٢١١٨.

(٣) لسان العرب: ١٠ / ٤٧٣.

(٤) الصحاح: ٥ / ٢١١٨.

(٥) سورة الشعراء: ٨٨ - ٨٩.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ رجع من الخبر الى الخطاب على التلوين . وقيل فيه إضمار، أي قولوا: ﴿إِيَّاكَ﴾ . و ﴿إِيَّا﴾ كلمة ضمير، لكنه لا يكون إلا في موضع النصب، والكاف في محلّ الخفض بإضافة إيا إليها، وخصّ بالإضافة إلى الضمير؛ لأنه يضاف إلى الاسم المضمّر ألا يقول الشاعر:

فَدَعْنِي وَإِيَّا خَالِدٍ لَأَقْطَعَنَّ عُرِّيَ نِيَاطِهِ^(١)
وحكى الخليل عن العرب: إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإياكم .

ويستعمل مقدّماً على الفعل مثل (إياك أعني) و (إياك أسأل)، ولا يستعمل مؤخراً على الفعل إلا أنّ^(٢) به حين الفعل، فيقال: ما عبدت إلا إياك ونحوها . وقال أبو ميثم سهل ابن محمد: إياك ضمير منفصل، والضمير ثلاثة أقسام:

ضمير متّصل نحو الكاف والهاء والياء في قولك: أكرمك، وأكرمه، وأكرمني . سمي بذلك لاتصاله بالفعل .

وضمير منفصل نحو إياك وإياه وإيائي . سمي بذلك لانفصاله عن الفعل .

وضمير مستكن، كالضمير في قولك: قعد وقام . سمي بذلك لأنه استكن في الفعل ولم يُستبقَ في اللفظ ويعمّ أن فيه ضمير الفاعل؛ لأن الفعل لا يقوم إلا بفاعل ظاهر أو مضمّر . وقال أبو زيد: إنما هما ياءان: الأولى للنسبة والثانية للنداء، تقديرها: (أي يا)، فأدغمت وكسرت الهمزة لسكون الياء . وقال أبو عبيد: أصله (أو ياك)، فقلبت الواو ياءً فأدغموه، وأصله من (أوى، يؤوي، إيواء) كأن فيه معنى الانقطاع والقصد . وقرأ الفضل الرقاشي (أياك) بفتح الألف وهي لغة .

وإنما لم يقل: نعبدك [لأنه] يصحّ في العبارة، وأحسن الإشارة؛ لأنهم إذا قالوا: إياك نعبد، كان نظرهم منه إلى العبادة لا من العبادة إليه . وقوله: ﴿نعبد﴾ أي نوحّد ونخلص ونطيع ونخضع، والعبادة رياضة النفس على حمل المشاق في الطاعة . وأصلها الخضوع والانقياد والطاعة والذلة، يقال: طريق معبّد إذا كان مذلاً موطوءاً بالأقدام . قال طرفة:

تبارى عتاقاً ناجيات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبّد^(٣)

(١) لسان العرب: ١٤ / ٦٠ .

(٢) بياض في المخطوط .

(٣) الصحاح: ٢ / ٨٢٠ .

وبعير معبد إذا كان مطلياً بالقطران، قال طرفة:

إلى أن تحامتنى العشيرة كلّها وأفردت إفراد البعير المعبد^(١)
وسمّي العبد عبداً لذّته وانقياده لمولاه.

﴿إياك نستعين﴾: نستوفي ونطلب المعونة على عبادتك وعلى أمورنا كلّها، يقال: استعنته واستعنت به، وقرأ يحيى بن رثاب: (نستعين) بكسر النون. قال الفراء: تميم وقيس وأسد وربيعة يكسرون علامات المستقبل إلاّ الياء، فيقولون إستعين ونستعين ونحوها، ويفتحون الياء لأنها أخت الكسرة. وقريش وكنانة يفتحونها كلّها وهي الأفصح والأشهر.

وإنما كرّر ﴿إياك﴾؛ ليكون أدلّ على الإخلاص والاختصاص والتأكيد لقول الله تعالى خبراً عن موسى: ﴿كي نستبحك كثيراً ونذكرك كثيراً﴾^(٢)، ولم يقل: كي نسبحك ونذكرك كثيراً. وقال الشاعر:

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلاً^(٣)
ولم يقل بين النهار والليل. وقال الآخر:

بين الأشجّ وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود^(٤)

وقال أبو بكر الوراق: إياك نعبد لأنك خلقتنا، وإياك نستعين لأنك هديتنا وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا الحسن علي بن عبد الرّحمن الفرّان، وقد سئل عن الآية فقال: ﴿إياك نعبد﴾ لأنك الصانع، و ﴿إياك نستعين﴾ لأن المصنوع لا غنى به عن الصانع، ﴿إياك نعبد﴾ لتدخلنا الجنان، و ﴿إياك نستعين﴾ لتنقذنا من النيران، ﴿إياك نعبد﴾ لأننا عبيد و ﴿إياك نستعين﴾ لأنك كريم مجيد، ﴿إياك نعبد﴾ لأنك المعبود بالحقيقة و ﴿إياك نستعين﴾ لأننا العباد بالوثيقة.

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾

﴿أهدنا﴾، قال علي بن أبي طالب (كرمّ الله وجهه) وأبيّ بن كعب: أرشدتنا فهذا كما يقال للرجل الذي يأكل: كل، والذي يقرأ: إقرأ، وللقائم: قم لي حتى أعود لك أي دُم على ما أنت

(١) لسان العرب: ٣ / ٢٧٤.

(٢) سورة طه: ٣٣ - ٣٤.

(٣) ترتيب إصلاح المنطق: ٣٥٥.

(٤) الصحاح: ١ / ٤١٨.

عليه. وقال السدي ومقاتل: أرشدنا، يقال: هديته للدين وهديته الى الدين هدىً وهدايةً، قال الحسن بن الفضل: الهدى في القرآن على وجهين:

الوجه الأول: هدى دعاء وبيان كقوله: ﴿وانك لتهدي الى صراط مستقيم﴾^(١)، وقوله: ﴿ولكل قوم هاد﴾^(٢) و ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾^(٣).

الوجه الثاني: هدى توفيق وتسديد كقوله: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾^(٤)، وقوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾^(٥).

و﴿الصراط المستقيم﴾ الطريق الواضح المستوي، قال عامر بن الطفيل:

خشونا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذل من الصراط^(٦)
وقال جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم^(٧)

الإختلاف في قراءة الصراط

وفي الصراط خمس قراءات: بالسین وهو الأصل، سمي الطريق سِراطاً لأنه يسترط المارة. أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن حمدويه، حدثنا محمود بن آدم، حدثنا سفيان عن عمر عن ثابت قال: سمعت ابن عباس قرأ السِراط بالسین، وبه قرأ ابن كثير [من] طريق^(٨) ويعقوب [من] طريق^(٩).

ويأشمام السین وهي رواية أبي حمدون عن الكسائي، وبالزاي وهي رواية أبي حمدون عن سليم عن حمزة.

ويأشمام الزاي وهي قراءة حمزة في أكثر الروايات والكسائي في رواية نهشل والشيرازي. وبالصاد قراءة الباقيين من القراء.

وكلها لغات فصيحة صحيحة إلا إن الاختيار الصاد؛ لموافقة المصحف لأنها كتبت في جميع المصاحف بالصاد. ولأن آخرتها بالطاء لأنهما موافقتان في الاطباق والاستعلاء.

واختلف المفسرون في ﴿الصراط المستقيم﴾ فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد، وأبو

(١) سورة الشورى: ٥٢.

(٢) سورة الرعد: ٧.

(٣) سورة فصلت: ١٧.

(٤) سورة النحل: ٩٣.

(٥) سورة القصص: ٥٦.

(٦) الفروق اللغوية: ٣١٣.

(٧) الصحاح: ٢ / ٥٥٠.

(٨) بياض في المخطوط.

(٩) بياض في المخطوط.

القاسم الحسن بن محمد النيسابوري قالاً: أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، حدّثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، حدّثنا الحسين بن علي عن حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن [ابن] أبي أخ الحرث الأعسر عن الحرث عن علي قال: سمعت النبي ﷺ [يقول]: «الصرّاط المستقيم كتاب الله عزّ وجلّ»^(١) [٢٩].

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا حامد بن محمد، حدّثنا محمد بن شاذان الجوهري، حدّثنا زكريا بن عديّ عن مقتضي عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال: الصراط المستقيم كتاب الله عزّ وجلّ.

وأخبرنا عبد الله، أخبرنا عبد الرّحمن بن محمد، حدّثنا ليث، حدّثنا عقبة بن سليمان، حدّثنا الحسين بن صالح عن أبي عقيل عن جابر قال: الصراط المستقيم الإسلام، وهو أوسع مما بين السماء والأرض [وإنما كان] الصراط المستقيم الإسلام لأن كل دين وطريق [غير] الإسلام فليس بمستقيم.

وروى عاصم الأحول عن أبي العالية الرياحي: هو طريق النبي ﷺ وصاحبه^(٢).

قال عاصم: فذكرت ذلك للحسن فقال: صدق أبو العالية ونصح.

وقال بكر بن عبد الله المزني: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فسألته عن الصراط المستقيم، فقال: ستي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي.

وقال سعيد بن جبير: يعني طريق [الحق].

وقال السديّ: أرشدنا إلى دين يدخل صاحبه به الجنة ولا يعذب في النار أبداً، ويكون خروجه من قبره إلى الجنة.

وقال محمد بن الحنفية: هو دين [الله] الذي لا يقبل من عباده غيره.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله العائني، حدّثنا أبو الحسين محمد بن عثمان النصيبي ببغداد، حدّثنا أبو القاسم [.....]^(٣) ابن نهار، حدّثنا أبو حفص المستملي، حدّثنا أبي، حدّثنا حامد بن سهل، حدّثنا عبد الله بن محمد العجلي، حدّثنا إبراهيم بن جابر عن مسلم بن حيان عن أبي بريدة في قول الله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: صراط محمد ﷺ وآله (عليهم السلام)^(٤).

(١) معاني القرآن: ١ / ٧٦، وتفسير القرطبي: ٨ / ٣٢٩.

(٢) الكامل لابن عدي: ٣ / ١٦٣.

(٣) بياض في مصورة المخطوط، والظاهر ما أثبتناه.

(٤) تفسير أبي حمزة الثمالي: ١٦٧، وشواهد التنزيل: ١ / ٧٤ ح ٨٦، ونهج الايمان لابن جبر عن كتاب

ابن شاهين: ٥٤.

وقال عبد العزيز بن يحيى: يعني طريق السواد الأعظم. [وقال] أبو بكر الوراق: يعني صراطاً لا تزيع به الأهواء يميناً وشمالاً. وقال محمد بن علي النهدي: يعني طريق الخوف والرجاء. وقال أبو عثمان الداراني: [يعني] طريق العبودية.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله بهرات يقول: سمعت أبا الحسن عمر بن واصل العنبري يقول: سمعت [سهل] بن عبد الله التستري يقول: طريق السنة والجماعة لأن البدعة لا تكون مستقيمة.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم: حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي: أخبرنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن أبي وائل عن عبد الله قال: خط رسول الله ﷺ خطين، خطاً عن يمينه وخطاً عن شماله ثم قال: «هذه السُّبُل، وعلى كلِّ سبيل منهما شيطان يدعو إليه، وهذا سبيل الله» [٣٠] (١)، ثم قرأ ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٢).

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا معمر بن سفيان الصغير، حدثنا يعقوب بن سفيان الكبير، حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، حدثنا معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نصر حدثه عن أبيه جبير عن نواس بن معاذ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ضرب الله مثلاً (صراطاً مستقيماً) وعلى جانبي الصراط ستور مرخاة فيها أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه بالصراط: الإسلام. والستور حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم» [٣١] (٣).

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

﴿صراط﴾ بدل من الأول ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ يعني: طريق الذين أنعمت عليهم بالتوفيق والرعاية، والتوحيد والهداية، وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ (٤).

(١) مسند أحمد: ١ / ٤٦٥، السنن الكبرى: ٦ / ٣٤٣ بتفاوت.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣) مسند أحمد: ٤ / ١٨٢، المستدرک: ١ / ٧٣ بتفاوت يسير.

(٤) سورة النساء: ٦٩.

قال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى من قبل أن يغيروا نعم الله عليهم.

وقال شهر بن حوشب هم أصحاب الرسول صلى الله عليه ورضي عنهم وأهل بيته (عليهم السلام). وقال عكرمة: ﴿أنعمت عليهم﴾ بالثبات على الإيمان والاستقامة.

وقال علي بن الحسين بن داود: ﴿أنعمت عليهم﴾ بالشكر على السراء والصبر على الضراء. وقال...^(١) بن...^(٢): بما قد سنّه محمد ﷺ. وقال الحسين بن الفضل: يعني أتممت عليهم النعمة فكم من منعم عليه...^(٣).

وأصل النعمة المبالغة والزيادة، يقال: دقت الدواء فأنعمت دقّه أي بالغت في دقه، ومنه قول العرب النبي ﷺ «إن أهل الجنة يتراءون الغرفة منها كما يتراءون الكوكب الدرّي الشرقي أو الغربي في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعماء»^(٤) [٣٢].

أي زادا عليه. وقال أبو عمرو: بالغاً في الخير.

وقرأ الصادق: (صراط من أنعمت عليهم)، وبه قرأ عمرو بن الزبير وعلي، حرف اللام يجرم ما بعده. وفي ﴿عليهم﴾ سبع قراءات:

الأولى: عليهم - بكسر الهاء وجزم الميم - وهي قراءة العامة.

والثانية: عليهم - بضم الهاء وجزم الميم - وهي قراءة الأعمش وحمزة. وروي ذلك عن النبي ﷺ وعمر (رضي الله عنه).

والثالثة: عليهم - بضم الهاء والميم وإلحاق الواو - وهي قراءة عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق.

والرابعة: عليهمو - بكسر الهاء وضم الميم وإلحاق الواو - وهي قراءة ابن كثير والأعرج.

والخامسة: عليهم - بكسر الهاء والميم وإلحاق الياء - وهي قراءة الحسن.

والسادسة: عليهم - بكسر الهاء وضم الميم مضمومة مختلصة - وهي رواية عبد الله بن عطاء الخفاف عن أبي عمرو.

والسابعة: عليهم - بكسر الهاء والميم - وهي قراءة عمرو بن حامد.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) بياض في المخطوط.

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) الجامع الصغير: ٢ / ٢٠٣.

فمن ضمّ الهاء ردّه إلى الأصل لأنه لو أفرد كان مضموماً عند الابتداء به، ومن كسره فلأجل الياء الساكنة. ومن كسر الهاء وجزم الميم فإنه يستثقل الضمّ مع مجاورة الياء الساكنة، والياء أخت الكسرة والخروج من الضم إلى الكسر ثقيل. ومن ضمّ الهاء والميم أتبع فيه الضمة. ومن كسر الهاء وضمّ الميم فإنه كسر الهاء لأجل الياء وضمّ الميم على الأصل، والاختلاس للاستخفاف، وإلحاق الواو والياء للإتباع والله أعلم. قال الشاعر في الميم المختلصة:

والله لولا شعبة من الكرم
وسطة في الحي من خال وعم^(١)
لكنت فيهم رجلا بلا قدم

﴿غير المغضوب﴾ غير: صفة الذين. والذين معرفة ولا توصف المعارف بالنكرات ولا النكرات بالمعارف إلا إن الذين ليس بمعرفة موقته ولكنه بمنزلة قولك: إني لأمرُّ بالصادق غير الكاذب، كأنك قلت: من يصدق لا من يكذب. ولا يجوز: مررت بعبد الله غير الظريف. ومعنى كلامه: غير صراط الذين غضبت ﴿عليهم﴾.

في معنى الغضب

واختلفوا في معنى الغضب من الله عزّ وجلّ، فقال قوم: هو إرادة الانتقام من العصاة. وقيل: هو جنس من العقاب يضاة والرضا. وقيل: هو ذم العصاة على قبح أفعالهم. ولا يلحق غضب الله تعالى العصاة من المؤمنين بل يلحق الكافرين. ﴿ولا الضالين﴾ عن الهدى.

وأصل الضلال الهلاك، يقال ضلّ الماء في اللبن إذا خفي وذهب، و: رجل ضالّ إذا أخطأ الطريق، و: مضلّل إذا لم يتوجّه لخير، قال الشاعر:

ألم تسأل فتخبرك الديار
عن الحي المضلل أين ساروا^(٢)
قال الزجاج وغيره: وإنما جاز أن يعطف بـ (لا) على غير؛ لأن غير متضمّن معنى النفي؛ فهو بمعنى لا، مجازة: غير المغضوب عليهم وغير الضالين كما تقول: فلان غير محسن ولا مجمل. فإذا كان (غير) بمعنى سوى لم يجز أن يعطف عليها بـ (لا)؛ لأنه لا يجوز في الكلام عندي سوى عبد الله ولا زيد. وروى الخليل بن أحمد عن ابن كثير: ﴿غير المغضوب﴾ نصباً.

وقرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -: (وغير الضالين)، وقرأ السخيتاني (ولاً الضالّين) بالهمزة؛ لالتقاء الساكنين، والله أعلم.

(١) كتاب المنق للبيدادي: ١٣٠.

(٢) تفسير القرطبي: ١ / ١٥٠.

فأما التفسير:

فأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني، حدّثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، أخبرنا أحمد بن حنبل ومحمد بن دينار قالا: حدّثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سماك قال: سمعت عباد بن حبّيش عن عديّ بن حاتم عن النبي ﷺ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «اليهود»، ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ قال: «النصارى»^(١) [٣٣].

وأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، أخبرنا أبو زكريا العنبري، حدّثنا محمد بن عبد الله الوراق، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع رسول الله ﷺ، وهو بوادي القرى على فرسه فسأله رجل من القين، فقال: يا رسول الله، من هؤلاء الذين يقاتلونك؟ قال: «المغضوب عليهم»، وأشار إلى اليهود. فقال: من هؤلاء الطائفة الأخرى؟ فقال: «الضالون»، وأشار إلى النصارى^(٢) [٣٤].

وتصديق هذا الحديث حكم الله تعالى بالغضب على اليهود في قوله: ﴿هَلْ أَنْبِتْكُمْ بَشَرًا مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ﴾^(٣)، وحكم الضلال على النصارى في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾^(٤).

وقال الواقدي: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بالمخالفة والعصيان، ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ عن الدين والإيمان.

وقال التستري: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ البدعة، ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ عن السنة.

فصل في آمين

والسنة المستحبة أن يقول القارئ بعد فراغه من قراءة فاتحة الكتاب: آمين؛ سواء كان في الصلاة أو غير الصلاة؛ لما أخبرنا عبد الله بن حامد الاصفهاني، أخبرنا محمد بن جعفر المطيري، حدّثنا الحسن بن علي بن عفان العامري، حدّثنا أبو داود عن سفيان، وأخبرنا عبد الله قال: وأخبرنا عبدوس بن الحسين، حدّثنا أبو حاتم الرازي، حدّثنا ابن كثير، أخبرنا سفيان عن سلمة عن حجر أبي العنيس الحضرمي عن أبي قایل بن حجر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ: ﴿وَالضَّالِّينَ﴾، قال: «آمين»، ورفع بها صوته^(٥) [٣٥].

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ٣٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٣٢ بتفاوت يسير.

(٣) سورة المائد: ٦٠.

(٤) سورة المائدة: ٧٧.

(٥) مسند أحمد: ٤ / ٣١٦.

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «لَقَنَنِي جِبْرَائِيلُ عليه السلام آمِينَ عند فراغي من فاتحة الكتاب» [٣٦].

وقال «إنه كالحاتم على الكتاب»^(١) وفيه لغتان: أمين بقصر الألف، وأنشد:

تباعد منِّي فِعْطَلٌ إِذْ سَأَلْتَهُ أَمِينٌ فِزَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَنَا بَعْدًا
وَأَمِينٌ بِمَدِّ الْأَلْفِ وَأَنْشُدُ:

يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي حَبَّهَا أَبَدًا وَيَرْحَمِ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينًا^(٢)
وهو مبني على الفتح مثل أين.

واختلفوا في تفسيره فأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، أخبرنا أبو العباس محمد ابن إسحاق بن أيوب، أخبرنا الحسن بن علي بن زياد، حدَّثنا عبيد بن يعيـش عن محمد ابن الفضل عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن معنى «أمين» قال: «رَبِّ افْعَلْ» [٣٧]^(٣).

وقال ابن عباس وقتادة: معناه: كذلك يكون.

وأخبرنا عبد الله بن حامد الـوزَّان، أخبرنا مكِّي بن عبدان، حدَّثنا عبد الله بن حاتم، حدَّثنا عبد الله بن نمير، أخبرنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف قال: أمين اسم من أسماء الله تعالى، و[بذلك]^(٤) قال مجاهد.

وقال سهل بن عبد الله: معناه: لا يقدر على هذا أحد سواك. وقال محمد بن علي النهدي: معناه لا تخبِّب رجانا.

وقال عطية العوفي: أمين كلمة ليست بعربية، إنما هي عبرية أو سريانية ثم تكلمت به العرب فصارت لغة لها. وقال عبد الرَّحْمَنِ بن زيد: أمين كنز من كنوز العرش لا يعلم تأويله أحد إلاَّ الله عزَّ وجلَّ.

وقال أبو بكر الـوزَّاق: أمين قوة للدعاء واستئزال للرحمة.

وقال الضَّحَّاك بن مزاحم: أمين أربعة أحرف مقتطعة من أسماء الله تعالى، وهو خاتم رب العالمين يختم به براءة أهل الجنة وبراءة أهل النار، وهي الجائزة التي منها يجوزون إلى الجنة والنار^(٥).

(١) تفسير القرطبي: ١ / ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) زاد المسير: ١ / ١٢، تفسير القرطبي: ١ / ١٢٨.

(٣) الدرّ المنثور: ١ / ١٧، فتح القدير: ١ / ٢٦.

(٤) في المخطوط: ذلك.

(٥) فيض القدير: ١ / ٨٠، ح ٢٠.

يدلّ عليه ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، حدّثنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله، حدّثنا محمد بن علي الحافظ، حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، حدّثنا سعيد بن جبير، حدّثنا المؤمل بن عبد الرّحمن بن عياش الثقفي، عن أبي أمية بن يعلى الثقفي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «أمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين» [٣٨] (١).

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بن الفضل بقراءتي عليه في صفر سنة ثمان وأربعمائة أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين بن الشرقي، حدّثنا محمد بن يحيى وعبد الرّحمن بن يشر وأحمد بن يوسف قالوا: حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال: حدّثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافق إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه» [٣٩] (٢).

وحدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، أخبرنا محمد أبو الحسن محمد بن الحسن بهراة، حدّثنا رجاء بن عبد الله، حدّثنا مالك بن سليم، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج عن عطاء قال: آمين دعاء [وعنه عن] النبي ﷺ قال: «ما حسدكم اليهود على شيء، كما حسدوكم على آمين، وتسليم بعضكم على بعض» [٤٠] (٣).

وقال وهب بن منبه: آمين على أربع أحرف، يخلق الله تعالى من كل حرف ملكاً يقول: اللهم اغفر لمن قال: آمين.

فصل في أسماء هذه السورة

هي عشرة، وكثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمّى:

الأول: فاتحة الكتاب، سمّيت بذلك لأنه يفتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة، وهي مفتحة بالآية التي تفتح بها الامور تيمناً وتبركاً وهي التسمية. وقيل: سمّيت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن. وقال الحسين بن الفضل: لأنها أول سورة نزلت من السماء.

والثاني: سورة الحمد، لأن فيها ذكر الحمد، كما قيل: سورة (الأعراف) و(الأنفال) و(التوبة) ونحوها.

والثالث: أم الكتاب والقرآن؛ سمّيت بذلك لأنها أول القرآن والكتب المنزلة، فجميع ما

(١) كتاب الدعاء للطبراني: ٨٩، كنز العمال: ١ / ٥٥٩، ح ٢٥١٢.

(٢) مسند أحمد: ٢ / ٣١٢.

(٣) المصنّف لعبد الرزاق: ٢ / ٩٨، ح ٢٦٤٩.

أودعها من العلوم مجموع في هذه السورة؛ فهي أصل لها كالأم للطفل، وقيل: سميت بذلك؛ لأنها أفضل سور القرآن كما أن مكة سميت أم القرى لأنها أشرف البلدان. وقيل: سميت بذلك لأنها مقدمة على سور القرآن، فهي أصل وإمام لما يتلوها من السور، كما أن أم القرى أصل جميع البلدان دحيت الأرض من تحتها. وقيل: سميت بذلك لأنها مجمع العلوم والخيرات، كما أن الدماغ يسمى أم الرأس؛ لأنها مجمع الحواس والمنافع.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد المفسر يقول: سمعت أبا بكر القفال يقول: سمعت أبا بكر البريدي يقول: الأم في كلام العرب: الراية ينصبها العسكر.

قال قيس بن الخطيم:

نصّبنا أمنا حتى ابذعروا وصاروا بعد إلفتهم شلالا
فسميت أم القرآن؛ لأن مفزع أهل الإيمان إليها كمفزع العسكر إلى الراية. والعرب تسمي الأرض أمًا؛ لأن معاد الخلق إليها في حياتهم وبعد مماتهم، قال أمية بن أبي الصلت:

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نولد^(١)
وأشدني أبو القاسم قال: أشدنا أبو الحسين المظفر محمد بن غالب الهمداني قال:
أشدنا أبو بكر بن الأنباري قال: أشدنا أبي قال: أشدني أحمد بن عبيدة:

نأوي إلى أم لنا تعصب كما ولها أنف عزيز وذب
وحاجب ما إن نواربها الغصب من السحاب ترتدي وتنتقب^(٢)

يعني: نصبه كما وصف لها. وسميت الفاتحة أمًا لهذه المعاني. وقال الحسين بن الفضل: سميت بذلك؛ لأنها إمام لجميع القرآن تقرأ في كل [صلاة و]^(٣) تقدم على كل سورة، كما أن أم القرى إمام لأهل الإسلام. وقال ابن كيسان: سميت بذلك؛ لأنها تامة في الفضل.

والرابع: السبع المثاني، وسيأتي تفسيره في موضعه إن شاء الله.

والخامس: الوافية، حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري، حدّثنا أبي عن أمه عن محمد بن نافع السنجري، حدّثنا أبو يزيد محبوب الشامي، حدّثنا عبد الجبار بن العلاء قال: كان يسمى سفيان بن عيينة فاتحة الكتاب: الوافية، وتفسيرها لأنها لا تنصف ولا تحتمل الاجتزاء إلا أن كل سورة من سور القرآن لو قرئ نصفها في ركعة والنصف الآخر في ركعة كان جائزاً، ولو نصفت الفاتحة وقرئت في ركعتين كان غير جائز.

(١) تفسير القرطبي: ١ / ١١٢.

(٢) لسان العرب: ١٥ / ١٦٨ باختصار.

(٣) بياض في مصوّر المخطوط، والأقرب ما أثبتناه.

والسادس: الكافية، أخبرنا أبو القاسم السدوسي، أخبرنا أبو جعفر محمد بن مالك المسوري، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن عمران قال: حدّثنا سهيل بن [محمّد] (١)، حدّثنا عفيف بن سالم قال: سألت عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن قراءة الفاتحة خلف الإمام فقال: عن الكافية تسأل؟

قلت: وما الكافية؟ قال: أما علمت أنها تكفي عن سواها، ولا يكفي سواها عنها. إياك أن تصلي إلاّ بها.

وتصديق هذا الحديث ما حدّثنا الحسن بن محمد بن جعفر المفسر، حدّثنا عبد الرّحمن بن عمر ابن مالك الجوهري بمرو، حدّثنا أبي، حدّثنا أحمد بن يسار، عن محمد بن عباد الاسكندراني عن أشهب بن عبد العزيز، عن ابن عيينة، عن الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أمّ القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها منها عوضاً» (٢) [٤١].

والسابع: الأساس، حدّثنا أبو القاسم الحسين بن محمد المذكر، حدّثنا أبو عمرو بن المعبر محمد بن الفضل القاضي بمرو، حدّثنا أبو هريرة مزاحم بن محمد بن شاردة الكشي، حدّثنا جارود بن معاد، أخبرنا وكيع قال: إن رجلاً أتى الشعبي فشكا إليه وجع الخاصرة، فقال: عليك بأساس القرآن. قال: وما أساس القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب. قال الشعبي: سمعت عبد الله بن عباس غير مرّة يقول: إن لكل شيء أساساً وأساس العمارة مكة؛ لأنها منها دُحيت الأرض وأساس السماوات غريباً (٣)، وهي السماء السابعة، وأساس الأرض عجيباً، وهي الأرض السابعة السفلى، وأساس الجنان جنة عدن، وهي سرّة الجنان، وعليها أُسست الجنان، وأساس النار جهنم، وهي الدرّكة السابعة السفلى وعليها أُسست الدرّكات، وأساس الخلق آدم ﷺ، وأساس الأنبياء نوح ﷺ، وأساس بني اسرائيل يعقوب، وأساس الكتب القرآن، وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تشفى.

والثامن: الشفاء، حدّثنا أبو القاسم بن أبي بكر المكتّب لفظاً، حدّثنا أبو علي حامد بن محمد بن عبد الله الرّقاء، أخبرنا محمد بن أيوب الواقدي، حدّثنا أبو عمرو بن العلاء، حدّثنا سلام الطويل، عن زيد العمي، عن محمد بن سيرين، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ «فاتحة الكتاب شفاء من كل سم» (٤) [٤٢].

وأخبرنا محمد بن القاسم الفقيه، حدّثنا أبو الحسين محمّد بن الحسن الصفار الفقيه،

(١) كذا الظاهر.

(٢) كنز العمّال: ١ / ٥٥٨، إرواء الغليل: ٢ / ١١.

(٣) في تفسير القرطبي (١ / ١١٣) عريباً.

(٤) تفسير القرطبي: ١ / ١١٢.

حدَّثنا أبو العباس السَّرَّاج، حدَّثنا قتيبة بن سعيد، حدَّثنا معاوية بن صالح، عن أبي سليمان قال: مرَّ أصحاب رسول الله ﷺ في بعض غزواتهم على رجل مقعد متربِّع فقرأ بعضهم في أذنه شيئاً من القرآن فبرئ، فقال رسول الله ﷺ: «هي أمَّ القرآن، وهي شفاء من كل داء»^(١) [٤٣].

أخبرنا أحمد بن أبي الخوجاني، أخبرنا الهيثم بن كليب الشامي، حدَّثنا عيسى بن أحمد العسقلاني، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا سعيد بن الحجاج، عن عبد الله بن أبي السفر، عن الشعبي عن خارجة بن الصلت التميمي، عن عمِّه قال: جاء عمي من عند رسول الله ﷺ، فمروا بحيي من الأعراب، فقالوا: أنا نراكم قد جئتم من عند هذا الرسول، إنَّ عندنا رجلاً مجنوناً مخبولاً، فهل عندكم من دواء أو رقية؟ فقال عمِّي: نعم. فجيء به، فجعل عمي يقرأ أمَّ القرآن وبزاقه فإذا فرغ منها بزق فجعل ذلك ثلاثة أيام، فكأنما أهبط من جبال، قال عمي: فأعطوني عليه جعلاً، فقلت: لا نأكله حتى نسأل رسول الله ﷺ. فسأله، فقال: «كلُّه، فمن الحلَّ تُرقيه بذلك. لقد أكلت برقية حق»^(٢).

والثاسع: الصلاة، قد تواترت الأخبار بأن الله تعالى سمى هذه السورة، وهو ما يعرف أنه لا صلاة إلا بها.

أخبرنا عبد الله بن حامد وأحمد بن يوسف بقراءتي عليهما قالا: أخبرنا مكِّي بن عبدالله، حدَّثنا محمد بن يحيى قال: وفيما قرأته على ابن نافع، وحدَّثنا مطرف عن مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرَّحْمَن أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عزَّ وجلَّ: قسمت الصلاة - يعني هذه السورة - بيني وبين عبدي نصفين؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي، فإذا قرأ العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ يقول الله: حمدني عبدي. وإذا قال العبد: ﴿الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾ يقول الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي. وإذا قال العبد: ﴿مالك يوم الدين﴾ يقول الله: مجَّدني عبدي. وإذا قال العبد: ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ قال الله: هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى آخرها قال: هذه لعبدي ولعبدي ما سأل^(٣) [٤٤].

والعاشر: سورة تعلم المسألة؛ لأن الله تعالى علَّم فيه عباده آداب السَّؤال، فبدأ بالثناء ثم الدعاء، وذلك سبب النجاح والفلاح.

القول في وجوب قراءة هذه السورة في الصلاة.

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن جعفر الطبري، حدَّثنا بشر بن مطير، حدَّثنا

(١) سنن الدارمي: ٢ / ٤٤٥، بتفاوت.

(٢) بتفاوت في سنن أبي داود: ٢ / ١٢٩، ح ٣٤٢١.

(٣) تفسير القرطبي: ١ / ١٢١، مسند أحمد: ٢ / ٢٨٥، بتفاوت.

سفيان، حدّثنا العلاء بن عبد الرَّحْمَن عن أبيه أنه سمع أبا هريرة عن النبي ﷺ قال: «من صلّى صلاة فلم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب^(١) فهي خداج - ثلاث مرات - غير تمام»^(٢) [٤٥].

وأخبرنا عبد الله قال: أخبرنا ابن عباس، حدّثنا عبد الرَّحْمَن بن بشر، حدّثنا ابن عيينة عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب»^(٣) [٤٦].

أخبرنا عبد الله، أخبرنا عبدوس بن الحسين، حدّثنا أبو حاتم الرازي، حدّثنا أبو قبيصة، حدّثنا سفيان عن جعفر بن علي بن بيان الأنماط عن أبي هريرة قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي: «لا صلاة إلاّ بقراءة فاتحة الكتاب»^(٤) [٤٧].

وأخبرنا عبد الله، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق، أخبرنا أبو المثنى، حدّثنا مسدّد، حدّثنا عبدالوارث بن حنظلة السدوسي قال: قلت لعكرمة: إني ربّما قرأت في المغرب ﴿قل أعوذ بربّ الفلق﴾ و﴿قل أعوذ بربّ الناس﴾ وأنّ الناس يعيرون عليّ ذلك، فقال: سبحان الله إقرأ بهما فإنهما من القرآن، ثمّ قال: حدّثنا ابن عبّاس أنّ النبي ﷺ خرج فصلّى ركعتين لم يقرأ فيهما إلاّ بفاتحة الكتاب لم يزد على ذلك غيره.

وأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، حدّثنا أبو العبّاس الأصمّ، أخبرنا الربيع بن سليمان، حدّثنا الشافعي، حدّثنا سفيان عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب»^(٥) واحتجّ من أجاز الصلاة بغيرها بقوله: ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾.

وأخبرنا أبو محمّد عبد الله بن حامد بقراءتي عليه أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أخبرنا أبو المثنى حدّثنا مسدّد، حدّثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عمر قال: حدّثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل وصلّى ثمّ جاء فسلم على رسول الله ﷺ فقال: «ارجع فصلّ، فإنك لم تصلّ» حتى فعل ذلك ثلاث مرات. قال الرجل: والذي بعثك بالحق نبياً ما أحسن غير هذا، فعلمني. قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع» [٤٨]^(٦).

وهذه اللفظة يحتمل أنه أراد أن كل ما وقع عليه اسم قرآن وجهل إنما يراد سورة بعينها،

(١) في المصدر: بأمّ القرآن.

(٢) شرح مسلم: ٤ / ١٠١، تفسير القرطبي: ١ / ١١٩.

(٣) كتاب المسند: ٣٦، مسند أحمد: ٥ / ٣١٤.

(٤) مسند أحمد: ٢ / ٤٢٨.

(٥) مسند أحمد: ٥ / ٣١٤، وكتاب المسند للشافعي: ٣٦.

(٦) مسند أحمد: ٢ / ٤٣٧.

فلما احتمل الوجهين نظرنا فوجدنا النبي ﷺ صلى بفاتحة الكتاب وأمر بها [وشدّد على] (١) من تركها، فصار هذا الخبر مجملاً، والأخبار التي رويها مفسرة، والمجمل يدل على المفسر، وهذا كقوله: ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي﴾ (٢) ثم لم يجز أحد [ترك الهدي] (٣) بل ثبتها رسول الله ﷺ بالصفة أن لا يكون أعور ولا أعرج ولا معيوباً، فكذلك أراد بقوله عزّ وجلّ وقول رسول الله ﷺ ما فسّر بالصفة التي بينها أن تكون سورة الحمد إذا أحسنها، وقدرها إذا لم يحسنها. فبالعلة التي أوجبوا قراءة آية تامة مع قوله: «ما تيسّر» له وجه ظاهره العلم، والله أعلم.

ذكر وجوب قراءتها على المأموم كوجوبها على الإمام واختلاف الفقهاء فيه:

قال مالك بن أنس: يجب عليه قراءتها إذا خافت الإمام، فأما إذا جهر فليس عليه [شيء]. وبه قال الشافعي في القديم وقال في الجديد: يلزمه القراءة أسرّاً الإمام أو جهر. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يلزمه القراءة خافت أو جهر.

واتفق المسلمون على أن صلاته [صحیحة] إذا قرأ خلف الإمام (٤).

والدليل على وجوب القراءة على المأموم كوجوبها على الإمام ما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا مكي بن عبد الله، حدّثنا أبو الأزهر، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدّثنا أبي عن أبي إسحاق، حدّثنا مكحول، وأخبرنا عبد الله، أخبرنا أحمد بن عبد الرّحمن بن سهل، حدّثنا سهل بن عمار، حدّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق عن مكحول عن محمود ابن الربيع عن عبادة ابن الصامت قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فنقلت عليه القراءة فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته أقبل علينا بوجهه وقال: «إني لأراكم تقرؤون خلفي؟» (٥). قلنا: أجل والله يا رسول الله هذا. قال: «فلا تفعلوا إلاّ بأّم الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها» (٦) [٤٩].

وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن عباس وجابر وابن مسعود وعمران بن حصين وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وعبادة بن الصامت وهشام بن عامر ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وأبي الدرداء وعائشة وأبي هريرة وجماعة كبيرة من التابعين وأئمة المسلمين روي عنهم جميعاً أنهم رأوا القراءة خلف الإمام واجبة.

(١) سقط في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

(٢) سورة البقرة: ١٩٦.

(٣) كذا الظاهر.

(٤) راجع الشرح الكبير لابن قدامة: ١٢ / ٢.

(٥) في المصدر: وراء إمامكم.

(٦) صحيح ابن خزيمة: ٣ / ٣٦.

ووجه القول القديم ما روى سفيان عن عاصم بن أبي النجود، عن ذكوان، عن أبي هريرة وعائشة أنهما كانا يأمران بالقراءة وراء الإمام إذا لم يجهر. واحتج أبو حنيفة وأصحابه بما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أخبرنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا الوليد ابن حمّاد اللؤلؤي: حدّثنا الحسن بن زياد اللؤلؤي: حدّثنا أبو حنيفة عن الحسن عن عبد الله بن شدّاد بن الماد عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «من صلّى خلف امام فإنّ قراءة الإمام له قراءة» [٥٠] (١).

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا محمد بن أيوب، أخبرنا أحمد بن يونس، حدّثنا الحسن بن صالح، عن جابر الجعفي، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «من كان له إمام فقراءته له قراءة» [٥١] (٢).

فأمّا حديث عبد الله بن شدّاد فهو مرسل، رواه شعبة وزائدة وابن عينية وأبو عوانة وإسرائيل وقيس وجريير وأبو الأحوص مرسلاً، والمرسل لا تقوم به حجّة، والوليد بن حماد والحسن لا يدرى من هما. وأمّا خبر جابر الجعفي فهو ساقط، قال زائدة: جابر كذاب، وقال أبو حنيفة: ما رأيت أكذب من جابر. وقال ابن عينية: كان جابر لا يوقن بالرجعة.

وقال شعبة: قال لي جابر: دخلت إلى محمد بن علي فسقاني شربة وحفظت عشرين ألف حديث. ولا خلاف بين أهل النقل في سقوط الاحتجاج بحديثه.

وقد روي عن جابر بن عبد الله ما خالف هذه الأخبار، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو بكر ابن إسحاق، حدّثنا عبد الله بن محمد، حدّثنا محمد بن يحيى، أخبرنا سعد بن عامر، عن شعبة، عن مسعر عن يزيد بن الفقير، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام، ومحال أن يروي جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أن قراءة الإمام قراءة المأموم ثم يقرأ خلف الإمام ويأمر به مخالفة للنبي ﷺ.

واحتجوا أيضاً بما روي عن عاصم بن عبد العزيز عن أبي سهيل عن عوان عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «يكفيك قراءة الإمام جَهْرَ أو لم يجهر» [٥٢] (٣).

وهذا الحديث أيضاً لا يثبت أهل المعرفة بالحديث؛ لأنه غير متن الحديث، وإنما الخبر الصحيح فيه عن أبي هريرة ما أخبرنا أبو عمرو الفراتي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدّثنا العباس ابن محمد الدوري، حدّثنا بشر بن كلب، حدّثنا شعبة، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه،

(١) نصب الراية: ٢ / ١٦.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ٣٣٩.

(٣) نصب الراية: ٢ / ١٨، سنن الدارقطني: ١ / ٣٢٧، بتفاوت.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج خداج غير تمام»^(١). قال: فقلت له: إذا كان خلف الإمام؟ قال: فأخذ بذراعي وقال: «يا فارسي - أو قال: يا بن الفارسي - اقرأ بها في نفسك» [٥٣]^(٢).

واحتجوا أيضاً بما روى أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: كانوا يقرؤون خلف النبي ﷺ فقال: «خلطتم عليّ القرآن»^(٣).

وهذا الخير فيه نظر، ولو صحّ لكان المنع من القراءة كما رواه النضر بن شميل.

أخبرنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال لقوم يقرؤون القرآن ويجهرون به: «خلطتم عليّ القرآن» [٥٤]^(٤)، فليس في نهيه عن القراءة خلف الإمام جهراً ما يمنع عن القراءة سرّاً. ونحن لا نجزى الجهر بالقراءة خلف الإمام؛ لما فيه من سوء الأدب والضرر الظاهر. وقد روى يحيى بن عبد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي حازم، عن البياضي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يناجي ربه، فلينظر بما يناجيه، ولا يجهر بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ» [٥٥]^(٥).

ودليل هذا التأويل حديث عبد الله بن زياد الأشعري قال: صليت إلى جنب عبد الله بن مسعود خلف الإمام فسمعتة يقرأ في الظهر والعصر. وكذلك الجواب عن إحتجاجهم بخبر عمران بن الحصين قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر والعصر فلما انصرف قال: أيكم قرأ (سبح اسم ربك الأعلى)^(٦)، قال رجل: أنا ولم أرد به إلا الخير. فقال رسول الله ﷺ: «قد عرفت أن بعضكم خالجنها» [٥٦]^(٧).

واحتجوا أيضاً بحديث أبي هريرة: فإذا قرأ فأنصتوا، وليس الانصات بالسكوت فقط إنما الإنصات أن تحسن استماع الشيء ثم يؤدي كما سمع، يدل عليه قوله تعالى في قصة الجن: ﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا﴾^(٨).

وقد يسمى الرجل منصتاً وهو قارئ مسبح إذا لم يكن جاهراً به، ألا ترى أن النبي ﷺ

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: ١٣٢.

(٢) مسند الحميدي: ٢ / ٤٣٠.

(٣) مجمع الزوائد: ٢ / ١١٠.

(٤) مجمع الزوائد: ٢ / ١١٠.

(٥) مسند أحمد: ٢ / ١٢٩، مجمع الزوائد: ٢ / ٢٦٥، بتفاوت.

(٦) سورة الأعلى: ١.

(٧) مسند أحمد: ٤ / ٤٢٦.

(٨) سورة الإحقاف: ٢٩ - ٣٠.

قال: «من أتى الجمعة فأنصت ولم يبلغ حتى يصلي الإمام كان له كذا وكذا» [٥٧]^(١).

فسمّاه منصتاً وإن كان مصلياً ذاكراً، وقيل للنبي ﷺ: ما تقول أيضاً؟ قال: «أقول اللهم اغسلني من خطاياي» فدلّ أنّ الإنصات وهو ترك الجهر بالقراءة دون المخافتة بها، يدل عليه ما أخبرنا به أبو القاسم الحسين، حدّثنا أبو العباس الأصم، حدّثنا أبو الدرداء هاشم بن محمد، حدّثنا عبيد بن السكن، حدّثنا إسماعيل بن عباس، أخبرنا محمد بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى صلاة مكتوبة أو سبحة فليقرأ بأمر القرآن»^(٢).

قال: قلت: يا رسول الله، إني ربما أكون وراء الإمام.

قال ﷺ: «اقرأ إذا سكت إنما جعل الإمام ليؤتمّ به» [٥٨]^(٣).

قد رواه الثقات الأثبات عن أبي هريرة مثل الأعرج وهمام بن منبه وقيس بن أبي حازم وأبي صالح وسعيد المقبري والقاسم بن محمد وأبي سلمة، ولم يذكروا: (وإذا قرأ فأنصتوا).

وأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾^(٤)، فسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

آخر السورة، وبالله التوفيق.

(١) مسند أحمد: ٤ / ١٠، سنن الدارمي: ١ / ٣٦٣، بتفاوت.

(٢) المصنّف لعبدالرزاق: ٢ / ١٣٣، وكنز العمال: ٧ / ٤٤٢، ح ١٩٦٨٨.

(٣) مسند أحمد: ٢ / ٣١٤، وسنن الدارمي: ١ / ٢٨٧، وصحيح البخاري: ١ / ١٠٠.

(٤) سورة الأعراف: ٢٠٤.

سورة البقرة

مدنية: وهي مائتان وست وثمانون آية في العدد الكوفي وهي سند

أمير المؤمنين علي عليه السلام وهي خمسة وعشرون ألف [حرف]

وخمسمائة حرف، وستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة

أخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتي عليه، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا يعقوب ابن سفيان الصغير، حدثنا يعقوب بن سفيان الكبير، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا شعيب بن زرين عن عطاء الخراساني، عن عكرمة، قال: أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة.

* فضلها:

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الطبراني بها، أخبرنا دعلج بن أحمد الشجري ببغداد، حدثنا محمد بن أحمد بن هارون، حدثنا خندف عن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا خالد بن شعيب المزني، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن لكل شيء سناماً، وسنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته ليلاً لم يدخله شيطان ثلاث ليال، ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخل في بيته شيطان ثلاثة أيام»^(١) [٥٩].

وأخبرنا محمد بن القاسم بن أحمد المرتب بقراءتي عليه، حدثنا أبو عمرو بن مطرف، حدثنا أبو عبد الله محمد بن المسيب، حدثنا عبد الله بن الحسين، حدثنا يوسف بن الأسباط، حدثنا حسن بن المهاجر عن عبد الله بن يزيد عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تعلموا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»^(٢) [٦٠].

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن الحسن المقرئ، حدثنا أبو أحمد عبد الله بن علي الحافظ، أخبرنا محمد بن يحيى بن مندة، حدثنا أبو مصعب، حدثنا عمران بن طلحة الليثي عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: بعث النبي صلى الله عليه وآله بعثاً ثم تبعهم يستقرئهم، فجاء إنسان منهم

(١) كنز العمال: ١ / ٥٦٥، ح ٢٥٤٩.

(٢) مسند أحمد: ٥ / ٣٥٢.

فقال: «ماذا معك من القرآن؟» حتى أتى على آخرهم، وهو أحدثهم سنًا، فقال: «ما معك من القرآن؟» قال: كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: «اخرجوا وهذا عليكم أمين»، قالوا: يا رسول الله هو أحدثنا سنًا، قال: «معه سورة البقرة»^(١) [٦١].

التفسير:

الْمَ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿الم﴾: اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتوحة بها السور، فذهب كثير منهم إلى أنها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها، فنحن نؤمن بتنزيلها ونكل إلى الله تأويلها.

قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): في كل كتاب سر، وسر القرآن أوائل السور.

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن لكل كتاب صفة، وصفة هذا الكتاب حروف التهجي.

وفسره الآخرون، فقال سعيد بن جبير: هي أسماء الله مقطعة، لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول: ﴿الر﴾^(٢) وتقول: ﴿حم﴾^(٣) وتقول: ﴿ن﴾^(٤) فيكون الرحمن، وكذلك سائرهما على هذا الوجه، إلا أنا لا نقدر على وصلها والجمع بينها. وقال قتادة: هي أسماء القرآن.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هي أسماء للسور المفتوحة بها.

وقال ابن عباس: هي أقسام أقسم الله بها، وروي أنه ثناء أثنى الله به على نفسه.

وقال أبو العالية: ليس منها حرف إلا وهو^(٥) مفتاح لإسم من أسماء الله عز وجل، وليس منها حرف إلا وهو في الآية وبلائه^(٦)، وليس منها حرف إلا في مدة قوم وآجال آخرين.

(١) سنن الترمذي: ٤ / ٢٣٤، بتفاوت.

(٢) سورة الدخان: ١.

(٣) سورة القلم: ١.

(٤) في المخطوط: وهي.

(٥) هكذا في المخطوط.

(٦) سورة الحجر: ١.

وقال عبد العزيز بن يحيى: معنى هذه الحروف أنّ الله ذكرها، فقال: اسمعوها مقطعة، حتى إذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك، وكذلك تعلم الصبيان أولاً مقطعة، وكان الله أسمعهم مقطعة مفردة، ليعرفوها إذا وردت عليهم، ثم أسمعهم مؤلفة.

وقال أبو روق: إنّها تكتب للكفار، وذلك أنّ رسول الله ﷺ كان يجهر بالقراءة في الصلوات كلّها، وكان المشركون يقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون.

فربما صفقوا وربما صفّروا وربما لفظوا ليغلطوا النبي ﷺ، فلما رأى رسول الله ذلك أسرّ في الظهر والعصر وجهر في سائرهما، وكانوا يضايقونه ويؤذونه، فأنزل الله تعالى هذه الحروف المقطعة، فلما سمعوها بقوا متحيرين متفكرين، فاشتغلوا بذلك عن إيذائه وتغليظه، فكان ذلك سبباً لاستماعهم وطريقاً إلى انتفاعهم.

وقال الأخفش: إنّما أقسم الله بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها، ولأنّها مباني كتبه المنزلة بالألسن المختلفة، ومباني أسمائه الحسنی وصفاته العلیا، وأصول كلام الأمم بما يتعارفون ويذكرون الله ويوحّدونه، وكأنّه أقسم بهذه الحروف إنّ القرآن كتابه وكلامه لا ريب فيه.

وقال النقيب: هي النبهة والاستئناف ليعلم أنّ الكلام الأول قد انقطع، كقولك: ولا إنّ زيدا ذهب.

وأحسن الأقاويل فيه وأمتنها أنّها إظهار لإعجاز القرآن وصدق محمد ﷺ؛ وذلك أنّ كل حرف من هذه الحروف الثمانية والعشرين.

والعرب تعبّر ببعض الشيء عن كلّ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾^(١) أي صلّوا لا يصلّون، وقوله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(٢) فعبر بالركوع والسجود عن الصلاة إذ كانا من أركانها، وقال: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾^(٣) أراد جميع أبدانكم.

وقال: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم﴾ أي الأنف فعبر باليد عن الجسد، وبالأنف عن الوجه.

وقال الشاعر في امرأته:

لما رأيت امرها في خطي وفنكست في كذب ولسط
أخذت منها بقرون شمط فلم يزل ضربي بها ومعطي^(٤)

(١) سورة المرسلات: ٤٨.

(٢) سورة العلق: ١٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٢.

(٤) تفسير الطبري: ١ / ١٣٢، ولسان العرب: ١٠ / ٤٨٠.

فعبّر بلفظة «خطي» عن جملة حروف أبجد.

ويقول القائل: (أ ب ت ث) وهو لا يريد هذه الأربعة الأحرف دون غيرها، بل يريد جميعها وقرأت الحمد لله، وهو يريد جميع السورة، ونحوها كثير، وكذلك عبّر الله بهذه الحروف عن جملة حروف التهجي، والإشارة فيه أنّ الله تعالى نبّه العرب وتحذّاهم، فقال: إني قد نزلت هذا الكتاب من جملة الثمانية والعشرين التي هي لغتكم ولسانكم، وعليها مباني كلامكم، فإن كان محمد هو النبي يقوله من تلقاء نفسه، فأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله، فلما عجزوا عن ذلك بعد الإجهاد ثبت أنّه معجزة.

هذا قول المبرّد وجماعة من أهل المعاني، فإن قيل: فهل يكون حرفاً واحداً عوداً للمعنى؟ وهل تجدون في كلام العرب أنّ يقال: الم زيد قائم؟ وحم عمرو ذاهب؟ قلنا: نعم، هذا عادة العرب يشيرون بلفظ واحد إلى جميع الحروف ويعبّرون به عنه.

قال الراجز:

قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف^(١)
أي قف أنت.

وأنشد سيويه لغيلان:

نادوهم ألا الجموا ألا تا قالوا جميعاً كلهم ألا فا^(٢)
أي لا تركبون فقالوا: ألا فاركبوا.
وأنشد قطرب في جارية:

قد وعدتني أم عمرو أن تا تدهن رأسي وتفليني تا
أراد أن تأتي وتمسح^(٣)
وأنشد الزجاج:

بالخير خيرات وإن شراً فا ولا أريد الشرّاً إلا أن تا^(٤)
أراد بقوله (فا): وإن شراً فشر له، ويقوله: تا إلا أن تشاء.

قال الأخفش: هذه الحروف ساكنة لأنّ حروف الهجاء لا تعرب، بل توقف على كل حرف على نيّة السكت، ولا بدّ أن تفصل بالعدد في قولهم واحد - اثنان - ثلاثة - أربعة.

(١) شرح شافية ابن الحاجب: ٤ / ٢٦٤، والبيت الأوّل موجود في تفسير القرطبي: ١ / ١٥٥.

(٢) تفسير القرطبي: ١ / ١٥٦.

(٣) لسان العرب: ١ / ١٦٤ وفيه: تفليني وا.

(٤) لسان العرب: ١٥ / ٢٨٨.

قال أبو النجم:

أقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف^(١)
تكتبان في الطريق لام الألف

فإذا أدخلت حرفاً من حروف العطف حركتها.

وأشدد أبو عبيدة:

إذا اجتمعوا على ألف وواو وياء هاج بينهم جدال^(٢)
وهذه الحروف تُذكَر على اللفظ وتؤنث على توهم الكلمة.

قال كعب الأحبار: خلق الله العلم من نور أخضر، ثم أنطقه ثمانية وعشرين حرفاً من أصل الكلام، وهيأها بالصوت الذي سمع وينطق به، فنطق بها العلم فكان أول ذلك كله [.....]^(٣) فنظرت إلى بعضها فتصاغرت وتواضعت لربها تعالى، وتمايلت هيبة له، فسجدت فصارت همزة، فلما رأى الله تعالى تواضعها مدها وطولها وفضلها، فصارت ألفاً، فتلفظه بها، ثم جعل القلم ينطق حرفاً حرفاً^(٤) إلى ثمانية وعشرين حرفاً، فجعلها مدار الكلام والكتب والأصوات واللغات والعبادات كلها إلى يوم القيامة، وجميعها كلها في أبجد.

وجعل الألف لتواضعها مفتاح أول أسمائه، ومقدماً على الحروف كلها، فأما قوله عز وجل: ﴿الم﴾ فقد اختلف العلماء في تفسيرها.

عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿الم﴾ قال: أنا الله أعلم.

أبو روق عن الضحاك في قوله ﴿الم﴾: أنا الله أعلم.

مجاهد وقتادة: ﴿الم﴾ اسم من أسماء القرآن.

الربيع بن أنس: (ألف) مفتاح اسم الله، و(لام) مفتاح اسمه لطيف، و(ميم) مفتاح اسمه مجيد.

خالد عن عكرمة قال: ﴿الم﴾ قسم.

محمد بن كعب: (الألف) آلاء الله، و(اللام) لطفه، و(الميم) ملكه.

(١) لسان العرب: ٦٩٨.

(٢) شرح الرضي على الكافية: ١ / ٦٨.

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) في الأصل: حرف حرف.

وفي بعض الروايات عن ابن عباس: (الألف) الله، و(اللام) جبرئيل، أقسم الله بهم إن هذا الكتاب لا ريب فيه، ويحتمل أن يكون معناه على هذا التأويل: أنزل الله هذا الكتاب على لسان جبرئيل إلى محمد ﷺ.

وقال أهل الإشارة: (ألف): أنا، (لام): لي، (ميم): متي.

وعن علي بن موسى الرضا عن جعفر الصادق، وقد سئل عن قوله: ﴿الم﴾ فقال: في الألف ست صفات من صفات الله: الابتداء؛ لأن الله تعالى ابتدأ جميع الخلق، و(الألف). إبتداء الحروف، والاستواء: فهو عادل غير جائر، و(الألف) مستو في ذاته، والانفراد: والله فرد والألف فرد، وإتصال الخلق بالله، والله لا يتصل بالخلق، فهم يحتاجون إليه وله غنى عنهم.

وكذلك الألف لا يتصل بحرف، فالحروف متصلة: وهو منقطع عن غيره، والله باين بجميع صفاته من خلقه، ومعناه من الإلفة، فكما أن الله سبب إلفة الخلق، فكذلك الألف عليه تألفت الحروف وهو سبب إلفتها.

وقالت الحكماء: عجز عقول الخلق في ابتداء خطابه، وهو محل الفهم، ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلى معرفة حقائق خطابه إلا بعلمهم، فالعجز عن معرفة الله حقيقة خطابه.

وأما محل ﴿الم﴾ من الإعراب فرفع بالابتداء وخبره فيما بعده.

وقيل: ﴿الم﴾ ابتداء، و ﴿ذلك﴾ ابتداء آخر و ﴿الكتاب﴾ خبره، وجملة الكلام خبر الابتداء الأول.

﴿ذلك﴾: قرأت العامة ﴿ذلك﴾ بفتح الذال، وكذلك هذه وهاتان، وأجاز أبو عمرو الإمالة في هذه، (ذ) للاسم، واللام عماد، والكاف خطاب، وهو إشارة إلى الغائب.

و ﴿الكتاب﴾: بمعنى المكتوب كالحساب والعماد.

قال الشاعر:

بشزت عيالي إذ رأيت صحيفةً أتتك من الحجج تتلى كتابها^(١)

أو مكتوبها، فوضع المصدر موضع الاسم، كما يقال للمخلوق خلق، وللمصور تصوير، وقال: دراهم من ضرب الأمير، أي هي مضرورية، وأصله من الكتب، وهو ضم الحروف بعضها إلى بعض، مأخوذ من قولهم: كتب الخرز، إذا خرزته قسمين، ويقال للخرز كتبة وجمعها كتب.

قال ذو المرّجة:

(١) جامع البيان للطبري: ٣ / ٣٤١.

وفراء غرفية أثاي خوارزها مشلشل ضيعته فبينها الكتب^(١)
ويقال: كتبت البغل، إذا حرمت من سفرتها الخلقة، ومنه قيل للجد كتيبة، وجمعها
كتائب.

قال الشاعر:

وكتيبة جاءوا ترفل في الحديد لها ذخرٌ
واختلفوا في هذا ﴿الكتاب﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك ومقاتل:
هو القرآن، وعلى هذا القول يكون (ذلك) بمعنى (هذا) كقول الله تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها
إبراهيم﴾^(٢) أي هذه.

وقال خفاف بن ندبه السلمي:

إن تك خيلي قد أصيب صميمها فعمداً على عين تيممت مالكا^(٣)
أقول له الرمح ياطر منته تأمل خفافاً إنني أنا ذالكا^(٤)
يريد [هذا].

وروى أبو الضحى عن ابن عباس قال: معناه ذلك الكتاب الذي أخبرتك أن أوجه إليك.

وقال عطاء بن السائب: ﴿ذلك الكتاب﴾ الذي وعدتكم يوم الميثاق.

وقال يمان بن رثاب: ﴿ذلك الكتاب﴾ الذي ذكرته في التوراة والإنجيل.

وقال سعيد بن جبير: هو اللوح المحفوظ.

عكرمة: هو التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة.

وقال الفراء: إن الله تعالى وعد نبيه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة
الرد، فلما أنزل القرآن قال: هو الكتاب الذي وعدتكم.

وقال ابن كيسان: تأويله أن الله تعالى أنزل قبل البقرة بضع عشرة سورة^(٥) كذب بكلها
المشركون ثم أنزل سورة البقرة بعدها فقال: ﴿ذلك الكتاب﴾ يعني ما تقدم البقرة من القرآن.

وقيل: ذلك الكتاب الذي كذب به مالك بن الصيف اليهودي.

(١) الصحاح: ١ / ٢٠٨.

(٢) سورة الأنعام: ٨٣.

(٣) لسان العرب: ٣ / ٣٠٢.

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ١٤٣.

(٥) في المخطوط: سورا.

﴿لا ريب فيه﴾: لا شك فيه، إنّه من عند الله.

قال: ﴿هدى﴾: أي هو هدى، وتم الكلام عند قوله فيه، وقيل: «هو» نصب على الحال، أي هادياً تقديره لا ريب في هدايته للمتقين.

قال أهل المعاني: ظاهره نفي وباطنه نهي، أي لا ترتابوا فيه، كقوله تعالى: ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال﴾^(١): أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الهدى، والبيان وما يهتدي به ويستبين به الإنسان.

فصل في التقوى

﴿هدى للمتقين﴾: اعلم أنّ التقوى أصله وقى^(٢) من وقيت، فجعلت الواو تاء، كالتكلان فأصله وكلان من وكلت، والتخمة أصلها وخمة من وخم معدته إذا لم يستمرئ.

واختلف العلماء في معنى التقوى وحقيقة المتقي، فقال رسول الله ﷺ: «جماع التقوى في قول الله تعالى: ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان...﴾^(٣) الآية»^(٤) [٦٢].

قال ابن عباس: المتقي الذي يتقي الشرك والكبائر والفواحش.

وقال ابن عمر: التقوى أن لا يرى [نفسه] خيراً من أحد.

وقال الحسن: المتقي الذي يقول لكل من رآه هذا خيرٌ مني.

وقال عمر بن الخطاب لكعب الأبحار: حدّثني عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، وقال: فما عملت فيه؟ قال: حذرت وتشمّرت، فقال كعب: ذلك التقوى، ونظمه ابن المعتز فقال:

خلّ الذنوب صغيـرها
واضع كـمـاش فـوق أـر
وكبـيرها ذاك التـقـى
لا تحـتـقـرن صـغـيرة
ض الشوك يحذر ما يرى
إنّ الجبال من الحصا^(٥)

وقال عمر بن عبد العزيز: ليس التقوى قيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى ترك ما حرّم الله وأداء ما افترض الله، فما رزق بعد ذلك فهو خير على خير.

(١) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢) في المخطوط: وقوي.

(٣) سورة النحل: ٩٠.

(٤) تفسير مجمع البيان: ٨٢ / ١.

(٥) تفسير القرطبي: ١ / ١٦٢.

وقيل لطلق بن حبيب: أجمل لنا التقوى؟ فقال: التقوى عمل يطلبه الله على نور من الله رجاء ثواب الله، والتقوى ترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله.

وقال بكر بن عبد الله: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون يتقي الطمع، ويتقي الغضب.

وقال عمر بن عبد العزيز: المتقي لمحرم لا تحرم، يعني في الحرم.

وقال شهر بن حوشب: المتقي الذي يترك ما لا يأتمن به حذراً لما به بأس.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: إنما سمي المتقون؟ لتركهم ما لا بأس به حذراً للوقوع فيما به بأس^(١).

وقال سفيان الثوري والفضيل: هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه.

وقال الجنيد بن محمد: ليس المتقي الذي يحب الناس ما يحب لنفسه، إنما المتقي الذي يحب للناس أكثر مما يحب لنفسه، أتدرون ما وقع لأستاذي سري بن المفلس؟ سلّم عليه ذات يوم صديق له فردّ عليه، وهو عابس لم يبشّر له، فقلت له في ذلك فقال: بلغني أنّ المرء المسلم إذا سلّم على أخيه وردّ عليه أخوه قسمت بينهما مائة رحمة، فتسعون لأجلهما، وعشرة للآخر فأحببت أن يكون له التسعون.

محمد بن علي الترمذي: هو الذي لا خصم له.

السري بن المفلس: هو الذي يبغض نفسه.

الشبلي: هو الذي يبغي ما دون الله.

قال جعفر الصادق: أصدق كلمة قالت العرب قول لبيد:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل^(٢)

الثوري: هو الذي اتقى الدنيا وأقلها.

محمد بن يوسف المقرئ: مجانبة كل ما يبعدك عن الله.

القاسم بن القاسم: المحافظة على آداب الشريعة.

وقال أبو زيد: هو التورّع عن جميع الشبهات.

وقال أيضاً: المتقي من إذا قال قال لله، وإذا سكت سكت لله، وإذا ذكر ذكر لله تعالى.

الفضيل: يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوّه كما يأمنه صديقه.

(١) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٣.

(٢) لسان العرب: ٥ / ٣٥١.

وقال سهل: المتقي من تبراً من حوله وقوته.

وقال: التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك من حيث أمرك.

وقيل: هو الاقتداء بالنبي ﷺ.

وقيل: هو أن تتقي بقلبك عن الغفلات، وبفسك من الشهوات، وبخلقك من اللذات، وبجوارحك من السيئات، فحينئذ يرجى لك الوصول لما ملك الأرض والسموات.

أبو القاسم (حكيم): هو حسن الخلق.

وقال بعضهم: يستدل على تقوى الرجل بثلاث: بحسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر على ما فات.

وقيل: المتقي من اتقى متابعة هواه.

وقال مالك: حدثنا وهب بن كيسان أن بعض فقهاء أهل المدينة كتب إلى عبد الله بن الزبير أن لأهل التقى علامات يعرفون بها: الصبر عند البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر عند النعمة، والتذلل لأحكام القرآن.

وقال ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر.

وقال أبو تراب: بين يدي التقوى عقبات، من لا يجاوزها لا ينالها، اختيار الشدة على النعمة، واختيار القول على الفضول، واختيار الذل على العز، واختيار الجهد على الراحة، واختيار الموت على الحياة.

وقال بعض الحكماء: لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا إذا كان بحيث لو جعل ما في قلبه على طبق، فيطاف به في السوق لم يستحي من شيء عليها.

وقيل: التقوى أن تزين سرّك للحق، كما تزين علانيتك للخلق.

وقال أبو الدرداء:

يريد المرء أن يعطى مناه
يقول^(١) المرء فائدتي وذخري
ويأبى الله إلا ما أرادا
وتقوى الله أفضل ما استفادا^(٢)

(١) في المخطوط: ويقول.

(٢) الدرّ المثور: ١ / ٢٥.

فصل في الإيمان

﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ اعلم أن حقيقة الإيمان هي التصديق بالقلب، لأن الخطاب الذي توجه عليها بلفظ آمنوا إنما هو بلسان العرب، ولم يكن العرب يعرفون^(١) الإيمان غير التصديق، والنقل في اللغة لم يثبت فيه، إذ لو صح النقل عن اللغة لروي عن ذلك، كما روي في الصلاة التي أصلها الدعاء.

إذا كان الأمر كذلك وجب علينا أن نمثل الأمر على ما يقتضيه لسانهم، كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام وبنيه ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾^(٢): أي بمصدق لنا ولو كنا صادقين، ويدل عليه من هذه الآية أنه لما ذكر الإيمان علّقه بالغيب، ليعلم أنه تصديق الخبر فيما أخبر به من الغيب، ثم أفرده بالذكر عن سائر الطاعات اللازمة للأبدان وفي الأموال فقال: ﴿ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ والدليل عليه أيضاً أن الله تعالى حيث ما ذكر الإيمان [نسبه]^(٣) إلى القلب فقال: ﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾^(٤)، وقال: ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾^(٥)، وقال: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾^(٦)، ونحوها كثير.

فأما محل الإسلام من الإيمان فهو كمحل الشمس من الضوء: كل شمس ضوء، وليس كل ضوء شمساً^(٧)، وكل مسك طيب، وليس كل طيب مسكاً، كذلك كل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً، إذا لم يكن تصديقاً؛ لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع، يدل عليه قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾^(٨) من خوف السيف، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الإيمان سرّاً»^(٩) [٦٣] وأشار إلى صدره «والإسلام علانية»^(١٠) [٦٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه»^(١١) [٦٥].

وكذلك اختلف جوابه لجبرائيل في الإسلام والإيمان، فأجاب في الإيمان بالتصديق، وفي الإسلام بشرائع الإيمان، وهو ما روى أبو بريدة، وهو يحيى بن معمر قال: أول من قال في القدر بالبصرة سعيد الجهني، فانطلقت أنا وحמיד بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هو: ما في القدر؟ فوافقنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن

- | | |
|---------------------------|-----------------------------------|
| (١) في المخطوط: يعرف. | (٧) في المخطوط: شمس. |
| (٢) سورة يوسف: ١٧. | (٨) سورة الحجرات: ١٤. |
| (٣) زيادة اقتضاها السياق. | (٩) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٦. |
| (٤) سورة المائدة: ٤١. | (١٠) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٦. |
| (٥) سورة النحل: ١٠٦. | (١١) كثر العمال: ٣ / ٥٨٥، ح ٨٠٢١. |
| (٦) سورة المجادلة: ٢٢. | |

شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام لي، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنّه قد ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن ويفتقرون [إلى] (١) العلم وذكر من لسانهم أنهم يزعمون أن لا قدر، وأنّ الأمر أنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم قال: أخبرنا أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، قال: صدقت، قال: فجعبتنا له يسأله ويصدّقه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن إماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة شاهقون في البنيان»، قال: ثم انطلق، فلبث علينا ثم قال: يا عمر من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبرائيل ﷺ أتاكم ليعلّمكم دينكم» (٢).

ثم يسمى اقرار اللسان وأعمال الأبدان إيماناً بوجه من المناسبة وضرب من المقاربة؛ لأنها من شرائعه وتوابعه وعلاماته وإماراته كما نقول: رأيت الفرح في وجه فلان، ورأيت علم زيد في تصنيفه؛ وإنما الفرح والعلم في القلب، وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون باباً، أداها إمطة الأذى عن الطريق، وأعلاها شهادة» (٣) أن لا إله إلا الله» [٦٦] (٤).

وعن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياة شعبة من الإيمان» [٦٧] (٥).

الحسن بن علي قال: حدثني علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان معرفة بالقلب، وإقراراً باللسان، وعمل بالأركان» [٦٨] (٦).

(١) زيادة اقتضاها السياق.

(٢) صحيح مسلم: ١ / ٢٨ - ٢٩ بطوله.

(٣) في المصدر: وارفعها قول.

(٤) مسند أحمد: ٢ / ٤٤٥، وكتر العمال: ١ / ٣٦.

(٥) صحيح مسلم: ١ / ٤٦.

(٦) المعجم الأوسط: ٦ / ٢٢٦.

وعن علي بن الحسين زين العابدين قال: حدثنا أبي سيد شباب أهل الجنة قال: حدثنا أبي سيد الأوصياء قال: حدثنا محمد سيد الأنبياء قال: «الإيمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول» [٧٢] (١).

وأما الغيب فهو ما كان مغيباً عن العيون محصلاً في القلوب وهو مصدر وضع موضع الاسم ف قيل للغائب غيب، كما قيل للصائم: صوم، وللزائر: زور، وللعادل: عدل.

الربيع بن أبي العالية «يؤمنون بالغيب» قال: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا غيب كله.

عمر بن الأسود عن عطاء بن أبي رباح: «الذين يؤمنون بالغيب» قال: بالله، من آمن بالله فقد آمن بالغيب (٢).

سفيان عن عاصم بن أبي النجود في قوله «يؤمنون بالغيب» قال: الغيب: القرآن. وقال الكلبي: بما نزل من القرآن وبما لم يجيء بعد.

الضحاك: الغيب لا إله إلا الله وما جاء به محمد ﷺ، وقال زر بن حبيش وابن جريج وابن واقد: يعني بالوحي، نظيره قوله تعالى: «أعنده علم الغيب فهو يرى» (٣) وقوله: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً» (٤) وقوله: «وما هو على الغيب بضنين» (٥).

الحسن: يعني بالآخرة. عبد الله بن هاني: هو ما غاب عنهم من علوم القرآن.

وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) انه قال: كنت مع النبي ﷺ جالساً فقال: «أتدرون أي أهل الأيمان أفضل؟» قالوا: يا رسول الله الملائكة، قال: «هم كذلك وحق لهم ذلك وما يمنعمهم وقد أنزلهم الله تعالى بالمنزلة التي أنزلهم، بل غيرهم».

قلنا: يا رسول الله الأنبياء؟ قال: «هم كذلك وحق لهم ذلك وما يمنعمهم، بل غيرهم»، قلنا: يا رسول الله فمن هم؟ قال: «أقوام يأتون من بعدي هم في أصلاب الرجال فيؤمنون بي ولم يروني، يجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهو لأ أفضل أهل الإيمان إيماناً» [٧٣] (٦).

وروى حسن إن الحرث بن قيس عن عبدالله بن مسعود: عند الله يحاسب ما سبقتمونا إليه يا أصحاب محمد من رؤية رسول الله ﷺ، فقال عبدالله بن مسعود: نحن عند الله نحاسب إيمانكم بمحمد ﷺ ولم تروه، ثم قال عبدالله: إن أمر محمد كان بيناً لمن رآه والذي لا إله إلا

(١) تفسير مجمع البيان: ١ / ٨٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٤٣.

(٣) سورة النجم: ٣٥.

(٤) سورة الجن: ٢٦.

(٥) سورة التكويد: ٢٤.

(٦) مسند أبي يعلى: ١ / ١٤٧.

هو ما آمن مؤمن أفضل من إيمان الغيب، ثم قرأ: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾ أي يديمونها ويأتونها ويحافظون عليها بمواقيتها وركوعها وسجودها وحقوقها وحدودها، وكل من واظب على شيء وقام به فهو مقيم له يقال أقام فلان الحج بالناس، وأقام القوم [سوقهم]^(١) ولم يعطوها قال الشاعر:

فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلّى عصاك [كمستديم]^(٢)

أي أراد بالصلاة هاهنا الصلوات الخمس، فذكرها بلفظ الواحد، كقوله: ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب﴾^(٣) أراد الكتب، وأصل الصلاة في اللغة: الدعاء، ثم ضمت إليها [عبادة] سُميت مجموعها صلاة لأن الغالب على هذه العبادة الدعاء.

وقال أبو حاتم الخارزمي: اشتقاقها من الصلّا وهو النار، فأصله من الرفق وحسن المعانة للشيء؛ وذلك إن الخشبة المفوّجة إذا أرادوا تقويمها [سحنوها بالنار] قوموها [بين خشبتين] فلذلك المصلّي ينبغي أن يتأنّى في صلاته ويحفظ حدودها ظاهراً وباطناً ولا يعجل فيها ولا يخفت [ولا يعرف] قال الشاعر:

فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلّى عصاك كمستديم
أي ما قوم أمرك كالمباني.

﴿ومما رزقناهم﴾ أعطيناهم، والرزق عند أهل السنة: ما صحّ الانتفاع به، فإن كان طعاماً فليتغذى به، وإن كان لباساً فلينقى والتوقي، وإن كان مسكناً فللانتفاع به سكنى، وقد ينتفع المنتفع بما هيئ الانتفاع به على الوجهين: حلالاً وحراماً، فلذلك قلنا إن الله رزق الحلال والحرام، [وأصل الرزق] في اللغة: هو الحظ والبخت.

﴿ينفقون﴾ يتصدقون، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد أو عن الملك. يُقال: نفق المبيع إذا كثر مشروه وأسرع خروجه، ونفقت الدابة إذا خرجت روحها، ونافقاء اليربوع من ذلك لأنه إذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق وأنفق إن خرج منه^(٤)، والنفق: سُرْب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر يخرج إليه.

﴿والذين يؤمنون﴾: أي يصدقون ﴿بما أنزل إليك﴾: يا محمد يعني القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾: يعني الكتب المتقدمة مثل صحف إبراهيم وموسى والزبور والأنجيل وغيرها.

(١) زيادة عن تفسير الطبري: ١ / ١٥٢ والمخطوط ممسوح.

(٢) تاج العروس: ٨ / ٢٩٥.

(٣) سورة البقرة: ٢١٣.

(٤) راجع كتاب العين: ٥ / ١٧٨.

﴿وبالآخرة﴾ أي بالدار الآخرة، وسميت آخرة لأنها تكون بعد الدنيا ولأنها أُخِّرت حتى تفنى الدنيا ثم تكون.

﴿هم يُوقنون﴾ يعلمون ويتيقنون أنها كائنة، ودخل (هم) تأكيداً، يُسميه الكوفيون عماداً والبصريون فصلاً.

﴿أولئك﴾ أهل هذه الصفة، وأولاء: أسم مبني على الكسر، ولا واحد له من لفظه، والكاف خطاب، ومحل أولئك رفع بالابتداء وخبره في قوله: ﴿على هدى﴾ رشد وبيان وصواب. ﴿من ربهم وأولئك﴾ ابتدائان و﴿هم﴾ عماد ﴿المفلحون﴾ خبر الابتداء وهم الناجون الفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار، وقيل: هم الباقون في الثواب والنعيم المقيم.

وأصل الفلاح في اللغة: البقاء. قال لبيد:

نحلُّ بلاداً كلها حل قبلنا ونرجو فلاحاً بعد عاد وحمير^(١)
وقال آخر:

لو كان حي مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح
أبو براء يدره المسياح^(٢)

وقال مجاهد: أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين، وأيتان بعدهما نزلت في الكافرين، وثلاث عشرة آية بعدها نزلت في المنافقين.

﴿إن الذين كفروا﴾: يعني مشركي العرب، وقال الضحاك: نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته. وقال الكلبي: يعني اليهود، وقيل: المنافقون.
والكفر: هو الجحود والإنكار.

وأصله من الكفر وهو التغطية والستر، ومنه قيل للحراث: كافر؛ لأنه [يستر البذر]، قال الله تعالى: ﴿أعجب الكفار نباته﴾^(٣): يعني الزرع، وقيل للبحر: كافر، وللليل: كافر. قال لبيد:
حتى إذا ألقى يداً في كافر وأجن عورات الشغور ظلامها^(٤)
في ليلة كفر النجوم غمامها^(٥)

(١) تفسير الطبري: ١ / ١٨٢.

(٢) تاج العروس: ٢ / ١٤٦؛ لسان العرب: ٢ / ٤٥٤ وفيه: (أبا براء مدرة السياح)، والمسياح: من يسبح بالنميمة والشر في الأرض.

(٣) سورة الحديد: ٢٠.

(٤) لسان العرب: ٥ / ١٤٧.

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ١٦٢.

ومنه: المتكفّر بالسلاح، وهو الشاكي الذي غطى السلاح جميع بدنه.

فيسمى الكافر كافراً لأنه سائر للحق ولتوحيد الله ونعمه ولنبوّة أنبيائه.

﴿سواءً عليهم﴾: أي واحد عليهم ومتساوي لديهم، وهو اسم مشتق من التساوي.

﴿أنذرتهم﴾: أخوّفتهم وحذّرتهم.

قال أهل المعاني: الإنذار والإعلام مع تحذير، يُقال: أنذرتهم فنذروا، أي أعلمتهم فعلموا، وفي المثل: وقد أعذر من أنذر، وفي قوله: ﴿أنذرتهم﴾ وأخواتها أربع قراءات: تحقيق الهمزتين وهي لغة تميم وقراءة أهل الكوفة؛ لأنها ألف الإستفهام دخلت على ألف القطع وحذف الهمزة التي وصلت بفاء الفعل وتعويض مده منها كراهة الجمع بين الهمزتين وهي لغة أهل الحجاز، وادخال ألف بين الهمزتين وهي قراءة أهل الشام في رواية هشام وإحدى الروايتين عن أبي عمرو.

قال الشاعر:

تطاولت فاستشرقت قرابته فقلن له: أنت زيد لا بل قمر^(١)

والأخبار اكتفاء بجواب الإستفهام، وهي قراءة الزهري.

﴿أم﴾: حرف عطف على الإستفهام.

﴿لم﴾: حرف جزم لا يلي إلا الفصل؛ لأنّ الجزم مختص بالأفعال.

﴿تندرهم﴾: تحذرهم ﴿لا يؤمنون﴾ وهذه الآية خاصّة فيمن حقّت عليه كلمة العذاب في

سابق علم الله، وظاهرها إنشاء ومعناها إخبار، ثم ذكر سبب تركهم للإيمان فقال:

﴿ختم الله﴾: أي طبع ﴿على قلوبهم﴾ والختم والطبع بمعنى واحد وهما التغطية للشيء

[والاستيثاق]^(٢) من أن يدخله شيء آخر.

فمعنى الآية: طبع الله على قلوبهم وأغلقها وأقفلها فليست تعي خبراً ولا تفهمه. يدل عليه

قوله: ﴿أم على قلوب أفعالها﴾^(٣).

وقال بعضهم: معنى الطبع والختم: حكم الله عليهم بالكفر والشقاوة كما يُقال للرجل:

ختمت عليك أن لا تفلح أبداً.

﴿وعلى سمعهم﴾: فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به، وإنما وحّده لأنه مصدر، والمصادر

(١) كذا في المخطوط، ولم نجده.

(٢) المخطوط غير مقروء وما أثبتناه من تفسير القرطبي: ١ / ١٨٦.

(٣) سورة محمد: ٢٤.

لا تُثَنَّى ولا تَجْمَع، وقيل: أراد سمع كل واحد منهم كما يُقال: آتني برأس كبشين، أراد برأس كل واحد منهما، قال الشاعر:

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا فإن زمانكم زمن خميص^(١)
وقال سيبويه: توحيد السمع يدل على الجمع لأنه لا توحيد جمعين كقوله تعالى:
﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٢) يعني الأنوار.

قال الراعي:

بها جيف الحسري فأما عظامها فبيض وأما جلدُها فصليب^(٣)
وقرأ ابن عجلة: وعلى أسمعهم، وتم الكلام عند قوله ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾.

ثم قال: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: أي غطاء وحجاب، فلا يرون الحق، ومنه غاشية السرج، وقرأ المفضل بن محمد الضبي: ﴿غِشَاوَةٌ﴾ بالنصب كأنه أضمر له فعلا أو جملة على الختم: أي وختم على أبصارهم غشاوة. يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾^(٤).
وقرأ الحسن: ﴿غِشَاوَةٌ﴾ بضم الغين، وقرأ الخدري: ﴿غِشَاوَةٌ﴾ بفتح الغين، وقرأ أصحاب عبدالله: غشوة بفتح الغين من غير ألف.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: القتل والأسر في الدنيا، والعذاب الأليم في العقبى، والعذاب كل ما يعنى الإنسان ويشق عليه، ومنه: عذبه السواط ما فيها من وجود الألم، وقال الخليل: العذاب ما يمنع الانسان من مراده، ومنه: الماء العذب لأنه يمنع من العطش، ثم نزلت في المنافقين: عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي، ومعتب بن بشر، وجد بن قيس وأصحابهم حين قالوا: تعالوا إلى خلة نسلم بها من محمد وأصحابه ونكون مع ذلك مستمسكين بديننا، فأجمعوا على أن يقرؤا كلمة الإيمان بألسنتهم واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود. فقال الله:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُبَاكَرُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ آيَاتُهُمْ هُمُ الْفٰسِدُونَ وَلٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا ءَامَنَّا كَمَا ءَامَنَ الشُّفَهَاءُ آيَاتُهُمْ هُمُ الشُّفَهَاءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لُعِنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَقُوا إِلَى شَيْطٰنِهِمْ قَالُوا

(١) زاد المسير: ١ / ٢٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٣) قائله علقمة بن عبدة راجع ديوانه: ٢٧؛ وتفسير الطبري: ٤ / ٣٢٤.

(٤) سورة الجاثية: ٢٣.

إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

﴿ومن الناس من يقول آمنا﴾: صدقنا بالله ﴿واليوم الآخر﴾: أي يوم القيامة^(١).

قال الله تعالى: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ والناس: هم جماعة من الحيوان المتميز بالصورة الإنسانية، وهو جمع إنسان، وإنسان في الأصل إنسيان بالياء، فأسقطوا الياء منه ونقلوا حركته إلى السين فصار إنساناً؛ الا ترى إنك إذا صغرته رددت الياء إليه فقلت: أنيسيان، واختلف العلماء في تسميته بهذا الاسم: فقال ابن عباس: سمي إنساناً لأنه عهد إليه فنسي. قال الله تعالى ﴿وعهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾^(٢)، وقال الشاعر:

وُسِّمِيَتَ إِنْسَانًا لِأَنَّكَ نَاسِيٌ^(٣)

وقال بعض أهل المعاني: سُمِّيَ إنساناً لظهوره وقدس البصير أياه من قولك: آنت كذا: أي أبصرت. فقال الله تعالى ﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾^(٤) وقيل: لأنه استانس به، وقيل: لما خلق الله آدم آنسه بزوجه فسُمِّيَ إنساناً.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: أي يخالفون الله ويكذبونه، وأصل الخدع في اللغة: الإخفاء، ومنه قيل [للبيت الذي يُحيا فيه المتاع] مُخدع، والمخداع يظهر خلاف ما يُضمَر، وقال بعضهم: أصل الخداع في لغة: الفساد، قال الشاعر:

أَبْيَضَ اللَّوْنُ لَذِيذٌ طَعْمُهُ طَيِّبَ الرَّيْقِ إِذَا الرَّيْقُ خَدَعٌ^(٥)
أي فسد.

فيكون معناه: ليفسدون بما أضمرُوا بأنفسهم وبما أضمرُوا في قلوبهم، وقيل معناه: يخادعون الله بزعمهم وفي ظنهم، يعني إنهم اجترؤوا على الله حتى أنهم ظنوا أنهم يخادعون، وهذا كقوله تعالى: ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً﴾^(٦) يعني بظنك وعلى زعمك.

وقيل: معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع فيما بينهم. وقيل: معناه يخادعون رسوله،

(١) راجع تفسير الطبري: ١٠ / ٢٤٣؛ وأسباب النزول للواحدي: ١٧٤.

(٢) سورة طه: ١١٥.

(٣) جاء بنحو الثر لا الشعر في لسان العرب: ٦ / ١١.

(٤) سورة القصص: ٢٩.

(٥) لسان العرب: ٨ / ٦٥.

(٦) سورة طه: ٩٧.

كقوله: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾^(١) أي أسخطونا، وقوله: ﴿إن الذين يؤذون الله﴾^(٢) أي أولياء الله؛ لأن الله سبحانه لا يؤذى ولا يخادع، فبين الله تعالى أن من آذى نبياً من أنبيائه وولياً من أوليائه استحق العقوبة كما لو آذى رسوله وخادعه. يدل عليه الخبر المروي: إن الله تعالى يقول: من آذى ولياً من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة^(٣).

وقيل: إن ذكر الله سبحانه في قوله: ﴿يخادعون الله﴾ تحسين وتزيين لسامع الكلام، والمقصد بالمخادعة للذين آمنوا كقوله تعالى: ﴿واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة للرسول﴾^(٤). ثم المخادعة على قدر المعالجة وأكثر المفاضلة إنما تجيء في الفعل المشترك بين اثنين، كالمقاتلة والمضاربة والمشاتمة، وقد يكون أيضاً من واحد كقولك: طارقت النعل، وعاقبت اللص، وعافاك الله، قال الله عز وجل: ﴿وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين﴾^(٥) وقال: ﴿قاتلهم الله﴾^(٦) والمخادعة هنا عبارة عن الفعل الذي يختص بالواحد في حين الله تعالى لا يكون منه الخداع.

﴿والذين آمنوا﴾ أي ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم: آمنا، وهم غير مؤمنين، وقال بعضهم: من خداعهم المؤمنين: هو أنهم كانوا يجالسون المؤمنين ويخالطونهم حتى يأنس بهم المؤمنون ويعدونهم من أنفسهم فيثبون إليهم أسرارهم فينقلونها إلى أعدائهم. قال الله تعالى:

﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم كأنهم في الحقيقة يخدعون أنفسهم؛ وذلك أن الله تعالى لمطلع نبيه محمداً ﷺ على أسرارهم ونفاقهم، فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب الشديد في العقبى.

قال أهل الإشارة: إنما يخادع من لا يعرف البواطن، فأما من عرف البواطن فإن من خادعه فإنما يخدع نفسه.

واختلف القرآء في قوله: ﴿وما يخدعون﴾ فقرأ شيبه ونافع وابن كثير وابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء: ﴿يخادعون﴾ بالألف جعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد، وقد ذكرنا خبره وتصديقها الحرف الأول، وقوله: ﴿يخادعون الله﴾ لم يختلفوا فيه إلا ما روي عن أبي حمزة الشامي إنه قرأ: (يخدعون الله) وقرأ الباقون ﴿وما يخدعون﴾ على أشهر اللغتين وأضبطهما واختاره أبو عبيد.

(١) سورة الزخرف: ٥٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ١ / ١٣٧.

(٤) سورة الأنفال: ٤١.

(٥) سورة الأعراف: ٢١.

(٦) سورة التوبة: ٣٠.

﴿وما يشعرون﴾^(١) وما يعلمون إنها كذلك.

﴿في قلوبهم مرض﴾ شكٌ ونفاق، ومنه يُقال: فلان يمرض في الوعد إذا لم يُصحِّحَه، وأصل المرض: الضَّعف والفتور. فسَمِّي الشك في الدِّين والنفاق [مرض به] يضعف البدن وينقص قواه؛ ولأنه يؤدي إلى الهلاك بالعذاب، كما أن المرض في البدن يؤدي إلى الهلاك والموت.

﴿فزادهم الله مرضاً﴾ شكّاً ونفاقاً وهلاكاً.

﴿ولهم عذاب أليم﴾ وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم، وهو بمعنى مؤلم كقول عمرو بن معدى كرب:

أمن ربحانة الداعي السميع يؤرّقني وأصحابي هجوع^(٢)
أي المسموع: يعني خيالها.

﴿بما كانوا يكذبون﴾: (ما) مصدرية، أي بتكذيبهم على الله ورسوله في السرِّ.

وقرأ أهل الكوفة: بفتح الياء وتخفيف الذال، أي بكذبهم إذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين.

﴿وإذا﴾: حرف توقيت بمعنى حينئذ، وهي تؤذن بوقوع الفعل المنتظر وفيها معنى الجزاء، ﴿قيل﴾: فعل ماض مجهول، وكان في الأصل قول مثل قيل، فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت كسرتها إلى فاء الفعل فانقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها، هذه اللغة العالية وعليها العامة وهي اختيار أبي عبيد.

وقرأ الكسائي ويعقوب: قُيل، وغيض، وحيل، وسُيق، وجيء، وشيء وشئت بإشمام الضمة فيها لتكون دالة على الواو المنقلبة، وفاصلة بين الصدر والمصدر.

﴿لهم﴾: يعني المنافقين، وقيل: اليهود. قال لهم المؤمنون: ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والمعصية وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد والقرآن، وقال الضحّاك: تبديل الملة وتغيير السنة وتحريف كتاب الله.

﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ ﴿ألا﴾: كلمة تنبيه ﴿إنهم﴾: هم عماد وتأکید ﴿المفسدون ولكن لا يشعرون﴾: ما أعد لهم من العذاب.

﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني: [قال]^(٣) المؤمنون لليهود: ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ وهم عبدالله ابن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب.

(٢) لسان العرب: ٨ / ١٦٤.

(١) سورة البقرة: ٩.

(٣) زيادة لإتمام المعنى.

﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ الجهال. قال الله: ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ بأنهم كذلك، وقيل: لا يؤدون العلم حقّه، وقال المؤرّخ: السفية: البهات الكذاب المتعمّد لخلاف ما يعلم.

قُطِرَب: السفية: العجول الظلوم يعمل خلاف الحق.

واختلف القراء في قوله: ﴿السفهاء ألا﴾ فحقّق بعضهم الهمزتين، وهو مذهب أهل الكوفة ولغة تميم.

وأما أبو عمرو وأهل الحجاز فإنهم همزوا الأولى وليّنوا الثانية؛ طلباً للخفة، واختار القراء حذف الأولى وهمز الثانية، واحتج بأن ما يستأنف - أي بالهمزة - مما يسكت عليه.

﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾.

قال جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن أبيّ بن سلول الخزرجي عظيم المنافقين من رهط سعد بن عباد، وكان إذا لقي سعداً قال: نعم الدينُ دين محمد، وكان إذا رجع إلى رؤساء قومه. قالوا: هل تكفر؟ قال: سدّوا أيديكم بدين آبائكم. فأنزل الله هذه الآية.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبيّ محتجاً به، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: عبدالله بن أبيّ لأصحابه: أنظروا كيف أدرا هؤلاء السفهاء عنكم. فذهب وأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحباً بالصديق سيّد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله ﷺ في الغار، والباذل نفسه وماله له. ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً ببيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وختنه سيّد بني هاشم ما خلا رسول الله ﷺ فقال علي: كف لله واتق الله ولا تنافق، فإنّ المنافقين شر خليفة الله، فقال له عبدالله: مهلا أبا الحسن إليّ تقول هذا، والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا، فقال عبدالله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت، فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت. فأنشأ عليه خيراً، وقالوا: لانزال معك ما عشت، فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك، فأنزل الله ﴿وإذا لقوا﴾ أي رأوا، يعني المنافقين عبد الله بن أبيّ وأصحابه، كان (لَقُوا) في الأصل (لُقِيُوا) فإستثقلت الضمة على الياء فبسطت على القاف وسكنت الواو والياء ساكنة فحذفت لإجتماعهما.

وقرأ محمد بن السميع: وإذا لاقوا وهما بمعنى واحد.

﴿الذين آمنوا﴾: يعني أبا بكر وأصحابه ﴿قالوا آمنا﴾ كإيمانكم. ﴿وإذا خلوا﴾ رجعوا، ويجوز أن تكون من الخلوة، تقول: خلوتُ به وخلوتُ إليه، وخلوتُ معه، كلها بمعنى واحد.

وقال النضر بن شميل: ﴿إلى﴾ ها هنا بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرّفث إلى نسائكم﴾^(١): أي مع نسائكم، وقوله: ﴿لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾^(٢) وقوله: (من أنصاري إلى الله)﴾^(٣) النابغة:

ولا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطليّ به القار أجرب^(٤)
أي مع الناس.

وقال آخر:

ولوح ذراعين في بركة إلى جؤجؤرهل المنكب^(٥)
أي مع جؤجؤ.

﴿إلى شياطينهم﴾: أي رؤسائهم وكبرائهم وقادتهم وكهنتهم.

قال ابن عباس: هم خمسة نفر من اليهود، ولا يكون كاهن إلاّ ومعه شيطان تابع له: كعب ابن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة في بني أسلم، وعبدالله في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبدالله بن السوداء بالشام.

والشيطان: المتمرد العاصي من الجن والإنس، ومن كل شيء، ومنه قيل: للحية النضناض^(٦): الشيطان، قال الله تعالى: ﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾^(٧) أي الحيات، وتقول العرب: إتق تلك الدابة فإنها شيطان.

وفي الحديث: «إذا مرّ الرجل بين يدي أحدكم وهو يمتطي فليمنعه فإن أبا فليقاتله فإنّه شيطان».

وروي عن النبي ﷺ: إنه نظر الى رجل يتبع حماماً طائراً فقال: «شيطان يتبع شيطاناً»^(٨)
[٧٤]^(٩).

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) سورة النساء: ٢.

(٣) آل عمران: ٥٢.

(٤) لسان العرب: ١٥ / ٤٣٥.

(٥) لسان العرب: ٣ / ١٥٦.

(٦) النضناض من الحيات: التي أخرجت لسانها تحركه، أو التي لا تستقر في مكان، أو التي إذا نهشت قتلت من ساعتها.

(٧) سورة الصافات: ٦٥.

(٨) وفي بعض المصادر: شيطانه.

(٩) مسند أحمد: ٢ / ٣٤٥؛ كنز العمال: ١٥ / ٢١٨.

أراد الراعي الخبيث الداعي .

ويُحكى عن بعضهم إنه قال في تضاعيف كلامه: وكل ذلك حين ركبني شيطان قيل له: وأي الشياطين ركبك؟ قال: الغضب.

وقال أبو النجم :

إني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر^(١)
﴿قالوا إنا معكم﴾ أي على دينكم وأنصاركم.

﴿إنما نحن مستهزون﴾ بمحمد وأصحابه.

﴿الله يستهزيء بهم﴾ أي يجازيهم جزاء استهزائهم، فسُمي الجزاء باسم الابتداء إذ كان مثله في الصورة كقوله ﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾^(٢) فسُمي جزاء السيئة سيئة.

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلنَّ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(٣)
وقال آخر :

نجازيهمُ كيل الصواع بما أتوا ومن يركب ابن العمّ بالظلم يُظلم
فسُمي الجزاء ظلماً.

وقيل: معناه: الله يوبّخهم ويعرضهم ويُخطيء فعلهم؛ لأنّ الاستهزاء والسخرية عند العرب العيب والتجهيل، كما يُقال: إن فلاناً يُستهزأ به منذ اليوم، أي يُعاب. قال الله ﴿إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها﴾^(٤) أي تُعاب، وقال أخباراً عن نوح ﷺ: ﴿إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون﴾^(٥).

وقال الحسن: معناه: الله يُظهر المؤمنين على نفاقهم.

وقال ابن عباس: هو أن الله يُطلع المؤمنين يوم القيامة وهم في الجنة على المنافقين وهم في النار، فيقولون لهم: أتحبّون أن تدخلوا الجنة، فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم باب من الجنة، ويُقال لهم: ادخلوا فيسبحون ويتقلبون في النار، فإذا انتهوا إلى الباب سُدّ عليهم، وردّوا إلى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩ / ٤٢٥.

(٢) سورة الشورى: ٤٠.

(٣) لسان العرب: ٣ / ١٧٧ و ٨ / ٦٤.

(٤) سورة النساء: ١٤٠.

(٥) سورة هود: ٣٨.

النار ويضحك المؤمنون منهم، فذلك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾^(١) إلى قوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾^(٢).

الأعمش عن خيشمة عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤمر بناس من الناس إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا إلى ما أعد الله فيها لأهلها من الكرامة، نودوا: أن اصرفوهم عنها. قال: ويرجعون بحسرة وندامة لم يرجع الخلاق بمثلها. فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترىنا ما أرىنا كان أهون علينا. فيقول الله جل جلاله: هذه الذي أردت بكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجلتكم الناس ولم تجلوني وكنتم تراؤون الناس بأعمالكم خلاف ما كنتم تروني من قلوبكم. فالיום أذيقكم من عذابي مع ما حرمتكم من ثوابي» [٧٥] [٣].

وقيل: هو خذلانه إياهم وحرمانهم التوفيق والهداية.

وهو قوله فيما بعد: ﴿وَيَمْدَهُمْ﴾ يتركهم، ويمهلهم ويُطيل لهم، وأصله: الزيادة، ويُقال: مَدَّ النهر، ومدة: زمن آخر.

وقرأ ابن محيصة وشبل: ﴿وَيَمْدَهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الميم وهما لغتان بمعنى واحد؛ لأنَّ المد أكثر ما يأتي في الشر والإمداد في الخير. قال الله عزَّ وجلَّ في المد: ﴿وَنَمَدَّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾^(٤)، وقال في الإمداد: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾^(٥) وقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾^(٦)، وقال: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾^(٧).

﴿في طغيانهم﴾ كفرهم وضلالتهم وجهالتهم، وأصل الطغيان: مجاوزة القدر، يُقال: ميزان فيه طغيان، أي مجاوزة للقدر في الإستواء. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾^(٨) أي جاوز حدَّه الذي قدر له، وقال لفرعون: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾^(٩) أي أسرف في الدعوى حينما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(١٠).

﴿يعمّهون﴾ يمضون، يترددون في الضلالة متحيرين.

يُقال: عمه يعمه عمها وعموها، وعمها فهو عمه، وعامه: إذا كان جائراً عن الحق. قال رؤبة:

وَمَهْمَهُ أَظْرَأْفُهُ فِي مَهْمِهِ أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّهُ^(١١)

- | | |
|---------------------------------|----------------------------|
| (١) سورة المطففين: ٢٩. | (٧) سورة نوح: ١٢. |
| (٢) سورة المطففين: ٣٤. | (٨) سورة الحاقة: ١١. |
| (٣) كنز العمال: ٣ / ٤٨٤ بتفاوت. | (٩) سورة طه: ٢٤. |
| (٤) سورة مريم: ٧٩. | (١٠) سورة النازعات: ٢٤. |
| (٥) سورة الإسراء: ٦. | (١١) لسان العرب: ١٣ / ٥١٩. |
| (٦) سورة المؤمنون: ٥٥. | |

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾:

قال ابن عباس: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى، ومعناه: إنهم استبدلوا الكفر على الإيمان، وإنما أخرجه بلفظ الشرى والتجارة توسعاً؛ لأن الشرى والتجارة راجعان إلى الاستبدال والإختيار؛ وذلك أن كل واحد من البيعين يختار ما في يدي صاحبه على ما في يديه، وقال الشاعر:

أخذتُ بالجُمَّة رأساً إزَعَرَا وبالثنايا الواضحات الدُّرُدُرَا
وبالطويل العُمَر عمراً جَيِّدَرَا كما اشترى المسلم إذ تنصَّرا^(١)
أي اختار النصرانية على الإسلام.

وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق: ﴿اشتروا الضلالة﴾ بكسر الواو؛ لأنَّ الجزم يُحرِّك إلى الكسرة العدوى بفتحها حركة إلى أخف الحركات.

﴿فما ربحت تجارتهم﴾: أي فما ربحوا في تجارتهم.

تقول العرب: ربح بيعك، وخسرت صفقتك، ونام ليلك. أي ربحت وخسرت في بيعك، ونمت في ليلك.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فإذا عزم الأمر﴾^(٢)، وقال: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾^(٣).

قال الشاعر:

وأعور من نيهان أمّا نهاره فأعمى وأمّا ليله فبصير^(٤)
وقال آخر:

حارثٌ قد فرّجت عني همّي فنام ليلي وتجلّى غمّي^(٥)
وقرأ إبراهيم ابن أبي عبله: (فما ربحت تجارتهم) بالجمع.

﴿وما كانوا مهتدين﴾: من الضلالة، وقال: مصيبين في تجارتهم.

قال سفيان الثوري: كلكم تاجر فلينظر امرؤ ما تجارته؟ قال الله ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ وقال: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾^(٦).

(١) التبيان - الطوسي -: ١ / ٨٣.

(٢) سورة محمد: ٢١.

(٣) سورة سبأ: ٣٣.

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٢.

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٢.

(٦) سورة الصف: ١٠.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّ بَيْكُمُ عُنَى فَعَلَمَ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنَارٌ يَمْسُكُونَ أَسْبَغْتُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصُّرَعِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ النَّوْءُ يَخْتَفُ أَنْصَرَهُمْ كَمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَنْصَرَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

﴿مثلهم﴾ شبههم. ﴿كمثل الذي﴾ بمعنى الذين، دليله سياق الآية نظير قوله تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدق به) ثم قال ﴿أولئك هم المتقون﴾^(١).

وقال الشاعر:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد^(٢)
﴿استوقد﴾: أوقد ناراً كما يقال: أجاب واستجاب.

قال الشاعر:

وداع دعانا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب^(٣)
﴿فلما أضاءت﴾ النار ﴿ما حوله﴾ يقال: ضاء القمر يضيء ضوءاً، وأضاء يضيء إضاءةً وأضاء غيره: ﴿فلما أضاءت﴾ النار يكون لازماً ومتعدياً.

وقرأ محمد بن السميع (ضاءت) بغير ألف. و(حوله) نصب على الظرف.

﴿ذهب الله بنورهم﴾ أي أذهب الله نورهم، وإنما قال: (بنورهم) والمذكور في أول الآية النار؛ لأن النار شيان التور والحرارة فذهب نورهم وبقيت الحرارة عليهم.

﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾: قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والسدي: نزلت هذه الآية في المنافقين. يقول: مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء بها فاستدفاً ورأى ما حوله فأتقى ما يحذر ويخاف فأمن، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي مظلماً خائفاً متحيراً، كذلك المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان استناروا بنورها واعتزوا بعزها وناكحو المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم وأولادهم، فاذا ماتوا عادوا الى الخوف والظلمة وهووا في العذاب والنقمة.

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) كتاب العين: ٨ / ٢٠٩، بدل (بفلج) كلمة (بفلج).

(٣) لسان العرب: ١ / ٢٨٣.

وقال مجاهد: إضاءة النار: إقبالهم الى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم: إقبالهم الى المشركين والضلالة.

سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء، ويمان بن رثاب: نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي ﷺ وإيمانهم به واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به، وذلك بأن قريظة والنضير وبنو قينقاع قدموا من الشام الى يثرب حتى إنقطعت النبوة من بني اسرائيل وافضت الى العرب، فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد ﷺ بالنبوة وأن أمته خير الأمم وكان يغشاهم رجل من بني اسرائيل يقال له: عبدالله بن هيبان قبل أن يوحى الى رسول الله ﷺ كل سنة فيعظهم على طاعة الله تعالى وإقامة التوراة والإيمان بمحمد ﷺ رسول إذا خرج: فلا تفرقوا عنه وانصروه وقد كنت أطمع أن أدركه، ثم مات قبل خروج النبي ﷺ فقبلوا منه، ثم لما خرج رسول الله ﷺ كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل.

وقال الضحاك: لما أضاءت النار أرسل الله عليه ريحاً قاصفاً فأطفأها، فكذلك اليهود كلما أوقدوا ناراً لحرب محمد ﷺ أطفأها الله.

ثم وصفهم جميعاً فقال: ﴿صم﴾: أي هم صم عن الهدى فلا يسمعون.

﴿بكم﴾: عنه فلا يقولون.

﴿عمي﴾: عنه فلا يرونه.

وقيل: ﴿صم﴾ يتصاممون عن سماع الحق، ﴿بكم﴾ يتباكمون عن قول الحق، ﴿عمي﴾ يتعامون عن النظر الى الحق بغير إعتبار.

وقرأ عبد الله: ﴿صمّاً بكماً عمياً﴾ على معنى وتركهم كذلك، وقيل: على الذم، وقيل: على الحال.

﴿فهم لا يرجعون﴾ عن الضلالة والكفر الى الهداية والإيمان.

ثم قال: ﴿أو كصيب﴾ هذا مثل آخر ضربه الله لهم أيضاً معطوف على المثل الأول مجازة: مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ومثلهم أيضاً كصيب.

قال أهل المعاني: (أو) بمعنى الواو، يريد وكصيب، كقوله تعالى: ﴿أم تريدون﴾^(١) وأنشد الفراء:

وقد زعمت سلمى بأني فاجر
لنفسى تقاها أو عليها فجورها^(٢)

(١) سورة البقرة: ١٠٨.

(٢) لسان العرب: ١٤ / ٥٥.

وأشُدُّ أبو عبيدة:

يَصِيبُ قَدْرًا يَرَوِي الْغُذْرًا
وَأَصْلُهُ مِنْ صَابٍ يَصُوبُ صَوْبًا إِذَا نَزَلَ.

قال الشاعر:

فَلَسْتُ لِأَنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَكَ
وَقَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ:

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْغَمَامِ
فَسَمِيَ الْمَطْرُ صَيْبًا لِأَنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ.

واختلف النَّحَاةُ فِي وَزْنِهِ مِنَ الْفِعْلِ، فَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ: هُوَ عَلَى وَزْنِ فِعْلٍ بِكَسْرِ الْعَيْنِ، وَلَا يُوْجَدُ هَذَا الْمِثَالُ إِلَّا فِي الْمَعْتَلِ نَحْوِ سَيْدٍ وَمَيْتٍ وَلَيْنٍ وَهَيْنٍ وَضَيْقٍ وَطَيْبٍ، وَأَصْلُهُ صَهِيْبٌ، فَجَعَلَتِ الْوَاوُ يَاءً فَأَدْغَمَتْ إِحْدَى الْيَائِيْنِ فِي الْآخْرَى.

وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ: هُوَ وَأَمْثَالُهُ عَلَى وَزْنِ فِعْلٍ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَأَصْلُهُ: صَيْبٌ فَاسْتَقْلَتِ الْكِسْرَةُ عَلَى الْيَاءِ فَسُكِّنَتْ وَأَدْغَمَتْ إِحْدَاهُمَا فِي الْآخْرَى وَحَرَّكَتِ إِلَى الْكَسْرِ.

وَالسَّمَاءُ: كُلُّ مَا عَلَكَ فَأَظْلَكَ^(٣) وَأَصْلُهُ: سَمَاوٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ سَمَا يَسْمُو، فَقَلَبْتَ الْوَاوُ هَمْزَةً لِأَنَّ الْأَلْفَ لَا تَخْلُو مِنْ مَدَّةٍ وَتِلْكَ الْمَدَّةُ كَالْحَرَكَةِ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ، يَكُونُ وَاحِدًا أَوْ جَمْعًا، قَالَ اللَّهُ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٤) ثُمَّ قَالَ: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾^(٥).

وقيل: هو جمع واحدها سماوة، والسماوات جمع الجمع.

قال الرَّاجِزُ:

سَمَاوَةُ الْهَلَالِ حَتَّى احْقُوقِفَا طِي اللَّيَالِي زَلْفَا فزَلْفَا^(٦)
﴿فِيهِ﴾ أَي فِي الصَّيْبِ، وَقِيلَ: فِي اللَّيْلِ كِنَايَةً عَنِ [ضَمِيرٍ] مَذْكُورٍ، وَقِيلَ: فِي السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ بِالسَّمَاءِ السَّحَابَ، وَقِيلَ: هُوَ عَائِدٌ إِلَى السَّمَاءِ عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَذْكُرُهَا.

(١) لسان العرب: ١٠ / ٣٩٤، وتاج العروس: ١ / ٣٣٩.

(٢) تاج العروس: ٣ / ٥٦٥.

(٣) لسان العرب: ١٤ / ٣٩٨.

(٤) سورة البقرة: ٢٩.

(٥) سورة البقرة: ٢٩.

(٦) لسان العرب: ٩ / ٥٢، ولكن العبارة هكذا:

قال الشاعر:

فلو رفع السماء إليه قوماً لحقنا بالسماء مع السحاب^(١)
والسما يذكر ويؤنث. قال الله تعالى: ﴿السماء منفطرٌ به﴾^(٢). وقال: ﴿إذا السماء
انفطرت﴾^(٣).

﴿ظلمات﴾: جمع ظلمة، وضُمَّت اللام على الإبتاع بضمّ الظاء.

وقرأ الأعمش: (ظُلُمات) بسكون اللام على أصل الكلام لأنها ساكنة في التوحيد.

كقول الشاعر وهو ذو الرّمة:

أبثّ ذكر مَنْ عودن أحشاء قلبه خفوقاً ورفصات الهوى في المفاصل^(٤)
ونزل الفاء ساكنة على حالها في التوحيد.

وقرأ أشهب العقيلي: (ظلمات) بفتح اللام، وذلك إنه لما أراد تحريك اللام حرّكها الى
أخفّ الحركات.

كقول الشاعر:

فلمّا رأونا بادياً ركبانا على موطن لا نخلط^(٥) الجدّ بالهزل^(٦)
﴿ورعد﴾: وهو الصوت الذي يخرج من السحاب.

﴿وبرق﴾: وهو النار الذي تخرج منه.

قال مجاهد: الرعد ملك يسبح بحمده، يقال لذلك الملك: رعد، والصّريم أيضاً رعد.

والبرق: ملك يسوق السحاب.

وقال عكرمة: الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقها كما يسوق الراعي الإبل^(٧).

شهر بن جوشب: الرعد ملك يزجي السحاب كما يحثّ الراعي الإبل فاذا انتبذت السحاب
ضمّها فاذا اشتدّ غضبه طار من فيه النار فهي الصواعق.

(١) لسان العرب: ١٤ / ٣٩٨.

(٢) سورة المزمل: ١٨.

(٣) سورة الإنفطار: ١.

(٤) لسان العرب: ١ / ٤٧٥.

(٥) في تفسير القرطبي: «نخلط» بدلاً من «يخلط».

(٦) تفسير القرطبي: ١٦ / ٣١٠.

(٧) زاد المسير: ١ / ٣٤.

ربيعة بن الأبيض عن علي عليه السلام قال: البرق مخاريق الملائكة^(١).

وقال أبو الدرداء: الرعد للتسبيح، والبرق للخوف والطمع، والبرد عقوبة، والصواعق للخطيئة، والجراد رزق لقوم وزجر لآخرين، والبحر بمكيال، والجبال بميزان.

وأصل البرق من البريق والضوء، والصواعق: المهالك، وهو جمع صاعقة، والصاعقة والصاعقة والصّعقة: المهلكة، ومنه قيل: صعق الإنسان، إذا غشي عليه، وصعق، إذا مات.

﴿حذر الموت﴾ أي مخافة الموت، وهو نصب على المصدر، وقيل لنزع حرف الصفة.

وقرأ قتادة: حذار الموت.

﴿والله محيط بالكافرين﴾ أي عالم بهم، يدل عليه قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عِلْمًا﴾^(٢).

وقيل: معناه: والله مهلكهم وجامعهم، دليله قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ﴾^(٣): أي تهلکوا

جميعاً.

وأمال أبو عمرو والكسائي (الكافرين) في حال الخفض والتصب ولكسرة الفاء والراء.

﴿يكاد البرق﴾ أي يقرب. يقال: كاد، أي قرب ولم يفعل، والعرب تقول: كاد يفعل -

بحذف أن - فإذا سببوه بقي قالوا: كاد أن يفعل، والأوّل أوضح وأظهر. قال الشاعر:

قد كاد من طول البلى أن تمسحاً

﴿يخطف أبصارهم﴾: أي يخطفها ويشغلها، ومنه الخطف.

وقرأ أبيّ: يتخطف.

وقرأ ابن أبي إسحاق: نصب الخاء والتشديد (يخطف) فأدغم. وقرأ الحسن: كسر الخاء

والطاء مع التشديد أتبع الكسرة الكسرة.

وقرأ العامة: التخفيف لقوله: ﴿فتخطفه الطّير﴾^(٤) وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطَفَ الخُطْفَةَ﴾^(٥).

﴿كلّما﴾: حرف علة ضمّ إليه (ما) الجزاء فصار أداة للتكرار، وهي منصوبة بالظرف،

ومعناها: متى ما.

(١) السنن الكبرى (البيهقي): ٣ / ٣٦٣؛ الصحاح (الجوهري): ٤ / ١٤٦٧.

(٢) سورة الطلاق: ١٢.

(٣) سورة يوسف: ٦٦.

(٤) سورة الحج: ٣١.

(٥) سورة الصافات: ١٠.

﴿أضاء لهم مشوا فيه﴾: وفي حرف عبد الله [.....]^(١).

﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾: أي أقاموا ووقفوا متحيرين.

القول في معنى الآيتين ونظمهما وحكمهما

قوله تعالى: ﴿أو كصيب﴾ أي كأصحاب صيب، كقوله: ﴿واسأل القرية﴾^(٢) شبههم الله في كفرهم ونفاقهم وحيرتهم وترددهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة فأصابهم مطرفيه ظلمات من صفتها إن الساري لا يمكنه المشي من ظلمته، فذلك قوله: ﴿إذا أظلم عليهم قاموا﴾.

ورعد من صفته أن يضع السامع يده الى أذنه من الهول والفرق مخافة الموت والصعق، ذلك قوله تعالى: ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾.

وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويذهب بضوئها ونعيمها من كثرتة وشدة توقده، وذلك قوله ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾.

وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن واجماع الناس والكافرين معه:

فالمطر: هو القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطر حياة الأبدان.

﴿فيه ظلمات﴾ وهو ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والشك وبيان الفتن والمحن.

﴿ورعد﴾: وهو ما خوّفوا به من الوعيد وذكر النار والزّواجر والنواهي.

﴿وبرق﴾: وهو ما في القرآن من الشفاء والبيان والهدى والتّور والرعد وذكر الجنة.

فكما أنّ أصحاب الرعد والبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم حذر الموت كذلك المنافقون واليهود والكافرون يسدّون آذانهم عند قراءة القرآن ولا يصغون إليه مخافة ميل القلب الى القرآن فيؤدّي ذلك الى الإيمان؛ لأنّ الإيمان بمحمد ﷺ عندهم كفر والكفر موت.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله للمنافق لجبنه، لا يسمع صوتاً إلاّ ظنّ أنه قد أتى ولا يسمع صباحاً إلاّ ظنّ إنه ميّت أجبن قوم وأخذ له للحق^(٣) كما قال في آية أخرى: ﴿يحسبون كلّ صيحة عليهم هم العدو﴾^(٤).

(١) غير مقروءة في المخطوط.

(٢) سورة يوسف: ٨٢.

(٣) تفسير الدر المنثور: ١ / ٣٣.

(٤) سورة المنافقون: ٤.

وقوله: ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ يعني المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا وصارت لهم نوراً فاذا ماتوا عادوا الى الخشية والظلمة.

قتادة: والمنافق إذا كثر ماله وحسن حاله وأصاب في الإسلام رخاءً وعافية ثبت عليه فقال: أنا معكم، وإذا ذهب ماله وأصابته شدة، قام متحيراً وخفق عندها فلم يصبر على بلائها ولم يحتسب أجرها. وتفسيره في سورة الحج ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾^(١) الآية.

الوالي عن ابن عباس: هم اليهود لما نصر رسول الله ﷺ بيدر طمعوا وقالوا: هذا والله النبي الذي بشرنا به موسى لا ترد له راية، فلما نكب بأحد ارتدوا وسكتوا.

﴿ولو﴾: حرف تمّي وشك وفيه معنى الجزاء وجوابه اللام.

ومعنى الآية: ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم﴾: أي أسمعهم وأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأسمعهم وأبصارهم الباطنية حتى صاروا صمّاً بكماً عمياً.

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ قادر، وكان حمزة يكسر شاء، وجاء وأمثالها لانكسار فاء الفعل، إذا أخبرت عن نفسك قلت: شئت وجئت وزدت وطبت وغيرها.

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا رَزَقْنَا عَلَىٰ عِبَادِنَا فَلْيَأْتُوا سُورَةَ بِنِيسَاءٍ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُفْوِدَها النَّاسُ وَالْجَارَةَ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَيَتَّبِعْ آلَ بَيْتِهِمْ وَأَمْسُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَلِمًا زُرُقًا مِنْهَا مِنْ سَمَرٍ زُرُقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهٖ مُنْتَهِيًا وَلَهُمْ فِيهَا أَرْوَجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

﴿يا أيها الناس﴾: قال ابن عباس: ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب أهل مكة، و﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب أهل المدينة، وهو هاهنا عام.

﴿اعبدوا﴾ و﴿خدوا وأطيعوا﴾: ﴿ربكم الذي خلقكم﴾ أوجدكم وأنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً. ﴿والذين﴾ أي وخلق الذين ﴿من قبلكم﴾ ﴿لعلكم تتقون﴾: لكي تنجوا من السُّحت والعذاب.

قال سيبويه: لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله [.....]^(٢).

(٢) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(١) سورة الحج: ١١.

﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا﴾ بساطاً ومقاماً ومناماً. ﴿والسمااء بناء﴾ سقفاً مرفوعاً محفوظاً.

﴿وانزل من السماء﴾: من السحاب. ﴿ماءاً﴾ وهو المطر ﴿فأخرج به من الثمرات﴾ من الوان الثمرات وأنواع النبات.

﴿رزقاً﴾ طعاماً. ﴿لكم﴾ وعلفاً لدوابكم.

﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أي أمثالا [وأعدالاً] وقرأ ابن السميقي: ندأ على الواحد، كقول جرير:

أتيما تجعلون إليّ ندأً وما تيم لذي حسب نديد^(١)
﴿وأنتم تعلمون﴾ إته واحد وأنه خالق هذه الأشياء.

قال ابن مسعود في قوله: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ قال: أكفاء من الرجال تطيعوهم في معصية الله.

وقال عكرمة: هو قول الرجل: لولا كلبنا لدخل اللص دارنا.

﴿وإن كنتم في ريب﴾ الآية نزلت في الكفار، وذلك أنهم قالوا لما سمعوا القرآن: ما يشبه هذا كلام الله وإنّا لفي شك منه، فأنزل الله تعالى ﴿وإن كنتم﴾ يا معشر الكفار، [وإن]^(٢) لفظه جزاء وشرط، ومعناه: إذ؛ لأنّ الله تعالى علم إنهم شاكون كقوله: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾^(٣) وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾^(٤).

قال الأعشى:

بانّت وقد أسفرت في النفس حاجتها بعد ائتلاف وخير الودّ ما نفعا^(٥)
قال المؤرّخ: أصلها من السورة وهي الوثبة: تقول العرب سرت إليه وثبت إليه.

قال العجاج:

وربّ ذي سرادق محجورٍ سرت إليه في أعالي السور
قال الأعشى:

(١) تفسير القرطبي: ٩ / ١٨٢.

(٢) غير موجودة في المخطوط، أضفناها لزيادة بيان المطلب.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٨.

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٧٢.

وسمعت حلفتها التي حلفت إن كان سمعك غير ذي وقر^(١)
﴿في رب﴾ أي في شك وتهمة.

﴿مما نزلنا على عبدنا﴾ محمد يعني القرآن.

﴿فأتوا﴾ لم يأتوا بمثله، لأن الله علم عجزهم عنه.

﴿بسورة﴾ أصلها في قول بعضهم: من أسارت، أي أفضلت فحذفت الهمزة كأنها قطعة من القرآن، وقيل: هي الدرجة الرفيعة، وأصلها من سور البناء، أي منزلة بعد منزلة. قال النابغة:

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ترى كل مُلك دونها يتذبذب^(٢)
﴿من مثله﴾ يعني مثل القرآن، و(من) صلة كقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾^(٣).

كقول النابغة:

ولا أرى ملكاً في الناس يشبهه ولا أخا [لي] من الأقسام من أحد
أي أحداً.

وقيل في قوله: (مثله): راجعة إلى محمد ﷺ ومعناه: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أي من رجل أمي لا يُحسن الخط والكتابة.

﴿وادعوا شهداءكم﴾ يعني استعينوا بالهتكم التي تعبدونها من دون الله.

وقال مجاهد والقرظي: ناساً يشهدون لكم.

وإنما ذكر الاستعانة بلفظ الدعاء على عادة العرب في دعائم القائل في الحروب والشدائد: [يال] ^(٤).

قال الشاعر:

فلما التقت فرساننا ورجالهم دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر^(٥)

(١) لسان العرب: ٥ / ٤٤ .

(٢) لسان العرب: ٤ / ٣٨٦ .

(٣) سورة النور: ٣٠ - ٣١ .

(٤) كذا في المخطوط .

(٥) لسان العرب: ١٥ / ٥٣ .

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إِنَّ مُحَمَّدًا أَسْرَّ قَوْلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، فَلَمَّا تَحَدَّاهُمْ وَعَجَزُوا [قَالَ اللَّهُ تَعَالَى]: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أَيِ فَإِنْ لَمْ تَجِئُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ.

﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾: وَلَنْ تَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ.

وَقِيلَ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ فِيمَا مَضَى ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ فِيمَا بَقِيَ.

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾ حَطْبُهَا وَعَلْفُهَا ﴿النَّاسِ وَالْحِجَارَةَ﴾ قَالَ الْحَسَنُ وَمِجَاهِدٌ: (وَقُودُهَا) بَضْمُ الْوَاوِ حَيْثُ كَانَ وَهُوَ رَدِيءٌ، لِأَنَّ الْوُقُودَ بَضْمُ الرَّاءِ الْمَصْدَرُ وَهُوَ الْإِلْتِهَابُ، وَالْوُقُودُ بِالْفَتْحِ وَهُوَ مَا يُوقَدُ بِهِ النَّارُ كَالظُّهُورِ وَالْبُرُودِ، وَمِثْلُهُمَا وَمِثْلُ الْوُضُوءِ وَالْوُضُوءِ.

وَقَرَأَ عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ: وَقِيدُهَا النَّاسِ وَالْحِجَارَةَ.

قِيلَ: تِلْكَ الْحِجَارَةُ [كَبَجَتِ الْأَرْضَ النَّائِيَةَ] مِثْلُ الْكَبْرِيتِ يَجْعَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ إِذَا إِشْتَعَلَتْ فِيهَا النَّارُ أَحْرَقَ تَوَهَّجَهَا وَجُوهَهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾^(١).

اِخْتَلَفُوا فِي الْحِجَارَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَكْثَرُ الْمَفْسَّرِينَ: إِنَّهَا حِجَارَةُ الْكَبْرِيتِ [الْأَسْوَدُ وَهِيَ أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ حَرًّا]، وَقَالَ حَفْصُ بْنُ الْمَعْلِيِّ: أَرَادَ بِهَا الْأَصْنَامَ لِأَنَّ أَكْثَرَ أَصْنَامِهِمْ كَانَتْ مَعْمُولَةٌ مِنَ الْحِجَرِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾^(٢).

وَقِيلَ: هِيَ أَنْ أَهْلَ النَّارِ إِذَا عِيلَ صَبْرَهُمْ بِكُورٍ وَشَكْوَى فَتَنَشَأُ سَحَابَةٌ سُودَاءَ مَظْلَمَةِ فِيرَجُونَ الْفَرْجَ وَيَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ إِلَيْهَا فَتَمْطُرُهُمْ حِجَارَةً عَظْمًا كَحِجَارَةِ الرَّحَا، فَتَزْدَادُ النَّارُ اتِّقَادًا وَالتَّهَابًا كَنَارِ الدُّنْيَا إِذَا زِيدَ حَطْبُهَا زَادَ لَهْيُهَا.

وَقِيلَ: ذَكَرَ الْحِجَارَةَ هَا هُنَا تَعْظِيمًا لِأَمْرِ النَّارِ لِأَنَّهَا لَا تَأْكُلُ الْحِجَارَةَ إِلَّا إِذَا كَانَتْ فَظِيعةً وَهَائِلَةً.

﴿أَعَدَّتْ﴾: خَلَقَتْ وَهَيَّئَتْ لِلْكَافِرِينَ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّارَ مَخْلُوقَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَعْدَّ لَا يَكُونُ إِلَّا مَوْجُودًا.

﴿وَبَشِّرْ﴾ أَيِ وَأَخْبِرْ.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَأَصْلُ التَّبَشِيرِ: إِصْصَالُ الْخَبْرِ السَّارِ عَلَى [مَسَامِعِ النَّاسِ] وَيَسْتَبَشِرُ بِهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْبَشْرَةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَرِحَ بِأَنَّ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَبَشْرَتِهِ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى وَضِعَ مَوْضِعَ الْخَبْرِ فِيمَا [سَاءَ وَسَرًّا] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٣).

(١) سورة الزمر: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٣) سورة آل عمران: ٢١.

﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي الخصال والفعلات ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ نعت لأسم مؤنث محذوف.
وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه في ﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: معناه أخلصوا الأعمال، يدلّ عليه قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾^(١) أي خالصاً لأن المنافع والمراي لا يكون عمله خالصاً، وقال: أقاموا الصلوات المفروضات، دليله قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.
﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^(٢) من المسلمين.

وقال ابن عباس: عملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم، وقال: العمل الصالح يكون فيه أربعة أشياء: العلم، والنية، والصبر، والاخلاص.

وقال سهل بن عبدالله: لزموا السنّة؛ لأنّ عمل المبتدع لا يكون صالحاً.

وقيل: أدوا الأمانة، يدل عليه قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^(٣) أي أميناً.

وقيل: تابوا، ودليله قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾^(٤) أي التائبين.

﴿أَنْ لَهُمْ﴾: محل (أن) نصب بنزع حرف الصّفة، أي بأنّ لهم.

﴿جَنَّاتٍ﴾: في محل نصب فخفض لأنها جمع التائيت، وهي جمع الجنّة وهي البستان، سمّيت جنّة لاجتنانها بالأشجار.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي من تحت شجرها ومساكنها. وقيل: بأمرهم، كقوله: (وهذه الأنهار تجري من تحتي)^(٥) أي بأمري.

والأنهار: جمع نهر، سمّي نهراً لسعته وضيائه ومنه النهار.

وأنشد أبو عبيدة:

ملكْتُ بها كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا يرى قائم من دونها ما وراءها^(٦)
أي وسعتها، يصف طعنة.

وأراد بالأنهار المياه على قرب الجوار لأن النهر لا يجري.

وقد جاء في الحديث: «أنهار الجنّة تجري في غير إحدود» [٧٦].

(١) سورة الكهف: ١١٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٠.

(٣) سورة الكهف: ٨٢.

(٤) سورة يوسف: ٩.

(٥) سورة الزخرف: ٥١.

(٦) لسان العرب: ٥ / ٢٣٧.

﴿كَلِمًا﴾ متى ما ﴿رَزَقُوا﴾ أٰطَعُوا ﴿مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾: أي ثمره، و(من) صلة.

﴿رِزْقًا﴾ طعاماً. ﴿قَالُوا هٰذَا الَّذِي رَزَقْنَا﴾ أٰطَعْنَا ﴿مِنْ قَبْلِ﴾: طعامهما، وقيل معناه: هذا الذي رزقنا من قبل، أي وعدنا الله في الدنيا وهو قول عطاء، و(قبل) رفع على الغاية، قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمَنْ بَعْدُ﴾^(١).

﴿وَأَتُوا﴾ وجئوا ﴿بِهِ﴾ بالرزق.

قرأ هارون بن موسى: (وأتوا) بفتح الألف، أراد أتاها الخدم به.

﴿مِثَابَهَا﴾ اختلفوا في معناه، فقال ابن عباس ومجاهد والربيع والسدي: متشابهاً في الألوان، مختلفاً في الطعوم.

الحسن وقتادة: متشابهاً في الفضل، خياراً كلّهُ؛ لأنّ ثمار الدنيا [تبقى] ويرذل منها، وإن ثمار الجنة لا يرذل منها شيء.

محمد بن كعب وعلي بن زيد: بمعنى يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيّب.

وقال بعضهم: متشابهاً في الإسم مختلفاً في الطعم.

قال ابن عباس: ليس في الجنة شيء ممّا في الدنيا غير الأسماء.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ في الجنّات. ﴿أَزْوَاجٌ﴾ نساء وجوار، يعني الحور العين.

قال ثعلب: الزوج في اللغة: المرأة والرجل، والجمع والفرد، والنوع واللون، وجميعها أزواج.

﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الغائط والبول والحيض والنفاس والمخاط والبصاق والقيء والمني والولد وكل قدر ودنس.

وقال إبراهيم النخعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد^(٢).

وقيل: مطهّرة عن مساويء الأخلاق.

وقال يمان: مطهّرة من الأثم والأذى.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَفَلُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ». قيل: فما بال الطعام؟ قال: «جشأ ورشح تجري من أعرافهم كريح المسك يلهمون التسييح والتهلليل كما يلهمون النفس» [٧٧]^(٣).

(٢) الدر المنثور: ١ / ٤٠.

(١) سورة الروم: ٤.

(٣) كنز العمال: ١٤ / ٤٦٩ بتفاوت.

﴿وهم فيها خالدون﴾ دائمون مقيمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

الحسن عن ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجنة: كيف هي؟

قال: «من يدخل الجنة يحيى ولا يموت وينعم ولا يبؤس ولا تبلى ثيابه ولا شبابه».

قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: «البنة من فضة ولبنة من ذهب، بلاطها مسك أذفر،

وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران» [٧٨] (١).

وقال يحيى بن أبي كثير: إن الحور العين لثنادين أزواجهن بأصوات حسان، فيقلن: طالما

انتظرناكم، نحن الراضيات الناعمات الخالدات، أتم حبنا ونحن حباكم ليس دونكم مقصد ولا وراءكم معذر.

وقال الحسن في هذه الآية: هن عجائزكم الغمض الرمض العمش طهرن من قدرات

الدنيا.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٧٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا ءَمَرْنَا فَأْتِحَكُمْ ثُمَّ يُبْسِكُمْ ثُمَّ يُجْحِكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ رُجِعْتُمْ ﴿٧٧﴾ كَيْفَ نَكْفُرُكَ يَا اللَّهُ وَكُنْتُمْ جَبِينًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ هذه الآية نزلت في اليهود، وذلك أن الله تعالى ذكر

في كتابه العنكبوت والذباب فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا﴾ (٢) الآية.

وقال: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ (٣) الآية، ضحكت اليهود وقالوا: ما

هذا الكلام وماذا أراد الله بذكر هذه الأشياء الخبيثة في كتابه وما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ أي لا يترك ولا يمنعه الحياء أن يضرب مثلا أن

تصف للحق شهاً. ﴿ما بعوضة﴾. (ما) صلة، وبعوضة نصب يدل على المثل.

﴿فما فوقها﴾: ابن عباس يعني الذباب والعنكبوت. وقال أبو عبيدة: يعني فما دونها.

﴿فأما الذين آمنوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿فيعلمون﴾ يعني أن هذا المثل هو ﴿أنه الحق﴾

الصدق الصحيح. ﴿من ربهم﴾.

(٢) سورة الحج: ٧٣.

(١) الدر المنثور: ١ / ٣٦.

(٣) العنكبوت: ٤١.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن. ﴿فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾: أي بهذا المثل. فلما حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع والتمام، كقوله: ﴿وله الدين واصباً﴾^(١).

فأجابهم الله تعالى فقال: أراد الله بهذا المثل ﴿يضلُّ به كثيراً﴾ من الكافرين ذلك أنهم ينكرونه ويكذبونه ﴿ويهدي به كثيراً﴾ من المؤمنين يعرفونه ويصدقون.

﴿وما يضلُّ به إلا الفاسقين﴾ الكافرين، وأصل الفسق: الخروج، قال الله تعالى: ﴿فسق عن أمر ربِّه﴾^(٢) أي خرج. تقول العرب: فسقت الرطبة عن القشر، أي خرجت.

ثم وصفهم فقال: ﴿الذين يتنقضون﴾ أي يتركون ويخالفون، وأصل النقض: الكسر.

﴿عهد الله﴾ أمره الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله تعالى: ﴿الستُّ برَبِّكم قالوا بلى﴾^(٣) وما عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ [ووضمته] نعتة وصفته.

﴿من بعد ميثاقه﴾ توكيده وتشديده، وهو مفعال من الوثيقة.

﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني الأرحام، وقيل: هو الإيمان بجميع الرسل والكتب، وهو نوع من الصلة؛ لأنهم قالوا: ﴿نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾^(٤) فقطعوا، وقال المؤمنون: ﴿لا نفرق بين أحد من رُسُلِه﴾^(٥) فوصلوا.

﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿أولئك هم الخاسرون﴾: أي المغبونون بالعقوبة وفوت المثوبة، ثم قال: لمشركي مكة على التعجب:

﴿كيف تكفرون بالله وكنتم﴾ واو الحال ﴿أمواتاً﴾ نطفاً في أصلاب آبائكم ﴿فأحياكم﴾ في الأرحام في الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم. ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث. ﴿ثم إليه ترجعون﴾ تأتون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم.

وقرأ يعقوب: ترجعون، وبيانه بفتح الأول وكسر الجيم جعل الفعل لهم.

﴿هو الذي خلق لكم﴾ لأجلكم. ﴿ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء﴾ أي قصد وعمد إلى خلق السماء.

(١) سورة النحل: ٥٢.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٤) سورة النساء: ١٥٠.

(٥) سورة البقرة: ٢٨٥.

﴿فسواهن سبع سماوات﴾ أي خلق سبع سماوات مستويات بلا فطور ولا شطور ولا عمد تحتها ولا علامة فوقها. ﴿وهو بكل شيء عليم﴾: عالم.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوْۤا اَتَجْمَلُ فِيْهَا مَن يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ
 الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّيْ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ
 عَرَضَهُمْ عَلٰى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ اَنْبِئُوْنِىْ بِاَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٣١﴾ قَالُوْۤا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا اِلَّا مَا
 عَلَّمْتَنَا اِنَّكَ اَنْتَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يٰۤاٰدَمُ اَنْۢبِئْهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ اَنْۢبِئَهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ قَالِ الْاٰمِرُۙ اَنْۢبِئْ لَكُمْ اِنِّيْ
 اَفْتَمُّ عَنۢ بَآءِ السُّجُوۡتِ وَالْاَرْضِ وَاَعْلَمُ مَا تُبْدُوۡنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوۡنَ ﴿٣٣﴾ وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْۤا لِاٰدَمَ
 فَسَجَدُوْۤا اِلَّاۤ اِبْرٰٓهِيْمَ اِنِّيْ رَاسَمْتُكَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيۙنَ ﴿٣٤﴾ وَلَمَّا كَذَبَ الْاَتْكٰرُ لَكَ وَرَوٰىكَ الْجَنَّةَ وَكَلٰٓمَهَا
 رَعَدًا حَيْثُ يَنْتَشِرُ وَلَا تَقْرٰٓءُ هٰٓذِهِ الشُّعْرَةَ فَكَلَمًا مِّنَ الطَّٰغُوۡتِ ﴿٣٥﴾ فَاَرٰٓهُمَا السَّيۡدٰٓةَ عَنَّا فَخَرَمَهُمَا مَعَنَا كَمَا
 يَبُوۡرُ وَقُلْنَا اٰقْبَلُوْۤا بَصۡرَكَ لِيَعِيۙنَ عَدُوَّ وَاَلۡكُرۡ فِى الْاَرْضِ سَبۡتًا وَاَسۡتَرۡ وَاَسۡتَرۡ اِلَىٰ جَبۡرِ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّآ اٰدَمُ مِنۢ نُّوۡبِهِۦ كَفَرَ
 قَالَتِ عٰۤدَةُ اِنَّهٗ هُوَ الْوَاكِلُ الرَّجِيۙمُ ﴿٣٧﴾ فَلَمَّا اَقْبَلُوْۤا فِيهَا خَبِيۙمًا فَاِنۢمَآ يٰۤاٰتِيۙنَكُمۡ نِقۡمٌ مِّنۢ نِّدۡمِۙ لَمۡنۡ يَبۡحِۙ هٰٓذِيۙ فَلَا
 خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحۡزَنُوۡنَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِيۙنَ كَفَرُوْۤا وَكَذَّبُوْۤا بِآيٰتِنَاۙ اُولٰٓئِكَ اَصۡحٰبُ النَّارِ هُمۡ فِيْهَا خٰلِدُوۡنَ ﴿٣٩﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ يعني: وقد قال، وقيل معناه: واذكر إذ قال ربك، وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله.

و(إِذ) و(إِذَا) حرفا توقيت، إِلاَّ أَنْ (إِذ) للماضي و(إِذَا) للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر.

قال المبرّد: إِذَا جَاءَ (إِذ) مع المستقبل كان معناه ماضياً نحو قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾^(١) وَإِذْ يَقُولُ، يريد إِذْ مَكَرَ وَإِذْ قَالَ، وَإِذَا جَاءَ مع الماضي كان معناه مستقبلاً كقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾^(٢) ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّٰخَّةُ﴾^(٣) ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّٰهِ﴾^(٤) أي يجيء، وقال الشاعر:

ثُمَّ جَزَاهُ اللّٰهُ عَنَّا إِذْ جَزَا جَنَّاتِ عَدْنِ وَالْعَلَا إِلَى الْعَلَا^(٥)
 أي يجزيه.

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

(٢) سورة النازعات: ٣٤.

(٣) سورة عبس: ٣٣.

(٤) ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾: النازعات - (٣٤).

(٥) سورة النصر: ١.

(٥) لسان العرب: ١٥ / ٤٦٣، وتاج العروس: ١ / ٤٢٤.

﴿للملائكة﴾ الذين كانوا في الأرض، والملائكة: الرسل، واحداها ملك، وأصله: مالك، وجمعه: ملائكة، وهي من الملكة والمالكة والألوك الرسالة ويقال: ألكني الى فلان، أي كن رسولي إليه فقلت، فليل: ملاك. قال الشاعر:

فلست لأنسي لكن لملاك تنزل من جو السماء يصبوب^(١)
ثم حذف الهمزة للخفة وكثير استعماله فليل: ملك.

قال النضر بن شميل في الملك: إن العرب لا تشق فعله ولا تصرفه، وهو مما فات علمه.

﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ أي بدلا منكم ورافعكم إلي، سُمي (خليفة) لأنه يخلف الذاهب ويجيء بعده، فالخليفة من يتولى إمضاء الأمر عن الأمر، وقرأ [زيد بن علي]^(٢): (خليفة) بالقاف.

قال المفسرون: وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن، فأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجن الأرض، فعبدوا دهرًا طويلا في الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي، فاقتتلوا وأفسدوا، فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة يُقال لهم: الجن، رأسهم عدو الله إبليس وهم خزّان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة فهبطوا إلى الأرض، وطرّدوا الجن عن وجهها فالحقوهم بشعوب الجبال، وجزائر البحر، وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة، وأحبّوا البقاء في الأرض لذلك، وأعطى الله إبليس مُلك الأرض ومُلك سماء الدنيا وخزّانة الجنان، فكان يعبد الله تارةً في الأرض، وتارةً في السماء، وتارةً في الجنة.

فلما رأى ذلك دخله الكبر والعُجب، وقال في نفسه: أعطاني الله هذا الملك إلا لأنني أكرم الملائكة عليه، وأعظمهم منزلةً لديه؛ فلما ظهر الكبر جاء العزل، فقال الله له ولجنده: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ فلما قال لهم ذلك كرهوا؛ لأنهم كانوا أهون في الملائكة عبادة، ولأنّ العزل شديد.

﴿قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها﴾ بالمعاصي. ﴿ويُسفك﴾ يصبّ ﴿الدماء﴾ بغير حق.

فإن قيل: كيف علموا ذلك وهو غيب؟

والجواب عنه ما قال السدي: لما قال الله لهم ذلك، قالوا: وما يكون من ذلك الخليفة؟ قال: تكون له ذرية، يفسدون في الأرض [ويتحاسدون]^(٣) ويقتل بعضهم بعضاً^(٤). قالوا عند ذلك: ﴿أنجعل فيها﴾ ومعناه: فقالوا، فحذف فاء التنسيق. كقول الشاعر:

(٢) تفسير القرطبي: ١ / ٢٦٣.

(١) الصحاح: ١ / ١٦٥.

(٣) كذا في المخطوط.

(٤) تفسير الطبري: ١ / ٢٨٩.

لما رأيت نبطاً أنصاراً شمركَ عن ركبتَي الأزارا
كنتُ لهم من النَّصاري جارا^(١)
أي فكنتُ لهم.

وقال أكثر المفسرين: أرادوا كما فعل بنو الجانّ قاسوا بالشاهد على الغائب، وقال بعض أهل المعاني: فيه إضمار واختصار معناه: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ أم تجعل فيها من لا يفسد ولا يُسفك الدماء؟ لقوله تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾^(٢) يعني كمن هو غير قانت، وهو اختيار الحسن بن الفضل.

﴿ونحن نسبح بحمدك﴾.

قال الحسن: يقولون: سبحان الله وبحمده، وهو صلاة الخلق وتسييحهم وعليها يُرزقون. يدل عليه الحديث المروي عن أبي ذر إنه قال لرسول الله ﷺ: أي الكلام أفضل؟ قال: «ما أصطفاه الله تعالى لملائكته: سبحان الله وبحمده» [٧٩] ^(٣).

وقيل: معناه: ونحن نصلي لك بأمرك، والتسييح يكون بمعنى التنزيه ويكون بمعنى الصلاة، ومنه قيل: للصلاة سُبحَة، وقيل: معناه: نصلي، ونقرأ فيها فاتحة الكتاب.

﴿ونُقَدِّسُ لَكَ﴾ ونزّهك واللام صلة، وقيل: هي لام الأجل، أي ونظّهر لأجلك قلوبنا من الشرك بك [وأبداننا] من معصيتك.

وقال بعض العلماء: في الآية تقديم وتأخير مجازها: ونحن نسبح ونُقَدِّسُ لَكَ بحمدك؛ لأنه إذا حُمِلت الآية على التأويل الأول تنافي قول الملائكة المتزكية بالإدلال بالعمل، وإذا حُمِلت على هذا التأويل ضاهى قولهم التحدّث بنعمة الله وإضافة [.....] ^(٤) إلى الله فكأنهم قالوا: وأن سبّحنا وقرّدسنا وأطعنا وعبدنا فذلك كله بحمدك لا بأنفسنا، قال الله:

﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ من استخلاف في الأرض ووجه المصلحة فيه، فلا تعترضوا عليّ في حكمي وتدبيرِي، وقيل: أراد أني أعلم أنّ في من استخلفه في الأرض: أنبياء وأولياء وعلماء وصلحاء، وقيل: أني أعلم إنهم يذنبون وأغفر لهم.

قال بعض الحكماء: إنّ الله تعالى أخرج [أدم] من الجنة قبل أن يدخله فيها^(٥). لقوله

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٥٤.

(٢) سورة الزمر: ٩.

(٣) مسند أحمد: ٥ / ١٤٨.

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٥) الدر المنثور: ١ / ٤٤.

﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ثم كان خروجه من الجنة بذنبه يدل أنه كان بقضاء الله وقدره.

ابن نجيج عن مجاهد في قوله: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ قال: علم من إبليس المعصية وخلقها لها.

ابن شهاب عن حميد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى. فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله لرسالته وكلامه، ثم تلومني على أمر قُدِّر قبل أن أُخلق. فحج آدم موسى» [٨٠] (١).

فصل في معنى الخليفة

قيل: سأل أمير المؤمنين الخطاب، طلحة والزبير وكعباً وسلمان: ما الخليفة من الملك؟ فقال طلحة والزبير: ما ندري. فقال سلمان: الخليفة الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضي بكتاب الله، فقال كعب: ما كنتُ أحسب أن في المجلس أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكن الله عزَّ وجلَّ ملأ سلمان حكماً وعلماً وعدلاً.

وروى زاذان عن سلمان: إنَّ عمر قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال سلمان: إنَّ أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ووضعت في غير حقِّه فأنت ملك. قال: فاستعبر عمر رضي الله عنه.

وعن يونس: إنَّ معاوية كان يقول إذا جلس على المنبر: أيُّها الناس إنَّ الخلافة ليست لجمع المال ولا تفريقه، ولكنَّ الخلافة بالحقِّ والحكم بالعدل وأخذ الناس بأمر الله عزَّ وجلَّ.

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ وذلك إنَّ الله تعالى لما قال للملائكة: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ قالوا فيما بينهم: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أفضل ولا أكرم عليه منا، وإن كان خيراً منا فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فلما أعجبوا بعلمهم وعبادتهم، فضَّل الله تعالى عليهم آدم ﷺ بالعلم فعلمه الأسماء كلها وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة.

واختلف العلماء في هذه الأسماء، فقال الربيع وابن أنس: أسماء الملائكة، وقال عبد الرحمن بن زيد: أسماء الدرية.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضَّحَّاك: علَّمه الله اسم كلِّ شيء حتى القصة والقصبة.

قال مقاتل: خلق الله كل شيء - الحيوان والجماد وغيرها - ثم علم آدم أسماءها كلها. فقال له: يا آدم هذا فرس، وهذا بغل، وهذا حمار حتى أتى على آخرها ثم عرض تلك الأشياء كما عرض الموجودات على الملائكة. فكَذَلِكَ قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ ولم يقل: عرضها، وردّه إلى الشخوص والمسميات لأنّ الأعراض لا تُعرض.

وقيل: علم الله آدم ﷺ صنعة كل شيء.

جوبير عن الضحّاك عن ابن عباس قال: علم الله آدم أسماء الخلق والقري والمدن والجبال والسباع وأسماء الطير والشجر وأسماء ما كان وما يكون وكل نسمة الله عزّ وجلّ بارئها إلى يوم القيامة، وعرض تلك الأسماء على الملائكة.

﴿فقال أنبثوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ إنّ الخليفة الذي أجعله في الأرض يُفسد فيها ويسفك الدماء. أراد الله تعالى بذلك: كيف تدعون علم ما لم يكن بعد، وأنتم لا تعلمون ما ترون وتعاينون.

وقال الحسن وقتادة: ﴿

إن كنتم صادقين﴾ إني لا أخلق خلقاً إلاّ كنتم أعلم وأفضل منه، قالت الملائكة: إقراراً بالعجز واعتذاراً.

﴿قالوا سبحانك﴾: تنزيهاً لك عن الاعتراض لعلمك في حكمك وتدبيرك، وهو نصب على المصدر، أي نسح سبحاناً في قول الخليل.

وقال الكسائي: خارج عن الوصف، وقيل: على النداء المضاف أي: يا سبحانك.

﴿لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنك أنت العليم﴾ بخلقك ﴿الحكيم﴾ في أمرك.

وللحكيم معنيان: أحدهما: المحكم للفعل، كقوله: ﴿عذاب اليم﴾، وحز وجيع. قال الشاعر:

أمن ربحانة الداعي السميع يؤرّقني وأصحابي هموع^(١)

أي المؤلم والموجع، والمسمع^(٢) فعيل بمعنى: مُفعل وعلى هذا التأويل هو صفة فعل.

والآخر: بمعنى (الحاكم العالم) وحينئذ يكون صفة ذات، وأصل الحكمة في كلام العرب: المنع. يُقال: أحكمت اليتيم عن الفساد وحكمته، أي منعته.

قال جرير:

(١) تفسير الطبري: ١ / ١٧٩، وهو لعمر بن معديكرب.

(٢) هذا تفسير للشعر فقوله فيه: السميع: أي المسمع كما في تفسير الطبري.

(٣) لسان العرب: ١٢ / ١٤٤.

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إنني أخاف عليكم أن أغضباً^(١)
ويقال للحديدة المعترضة في فم الدابة: حكمة؛ لأنها تمنع الدابة من الأعوجاج، والحكمة تمنع من الباطل، وما لا يجمل فلا يحلّ في المحكم من الأمر بمنعه من الخلل، وفي هذه الآية دليل على جواز تكليف ما لا يُطاق حيث أمر الله تعالى الملائكة بإنباء ما لم يعلموا، وهو عالم بعجزهم عنه.

فلما ظهر عجزهم، قال الله تعالى: ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ فسمّى كل شيء باسمه، وألحق كل شيء بجنسه.

﴿فلما أنبأهم﴾ أخبرهم. ﴿بأسمائهم قال ألم أقل لكم﴾ يا ملائكتي. ﴿أنّي أعلم غيب السموات والأرض﴾ ما كن فيها وما يكون. ﴿وأعلم ما تبدون﴾ من الخضوع والطاعة لآدم. ﴿وما كنتم تكتمون﴾ تخفون في أنفسكم من العداوة له. وقيل: ما تبدون من الإقرار بالعجز والاعتذار، وما كنتم تكتمون من الكراهية في استخلاف آدم.

قال ابن عباس: هو أنّ إبليس مرّ على جسد آدم وهو ملقّى بين مكة والطائف لا روح فيه، فقال: لأمر ما خلق هذا، ثمّ دخل من فيه وخرج من دبره، وقال: إنّه لا يتماسك إلّا بالجوف، ثمّ قال للملائكة الذين معه: أرايتم أن فضل هذا عليكم، وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربّنا. فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلطت عليه لأهلكته، ولئن سلط عليّ لأعصيته. فقال الله تعالى: ﴿وأعلم ما تبدون﴾ يعني الملائكة من الطاعة ﴿وما تكتمون﴾ يعني إبليس من المعصية.

قال الحسن وقتادة: ﴿ما تبدون﴾ يعني قولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها ﴿وما تكتمون﴾ يعني قولهم لن يخلق خلقاً أفضل ولا أعلم ولا أكرم عليه منّا.

القول في حدّ الاسم وأقسامه

فقال أصحابنا: الاسم: كل لفظة دلت على معنى ما وشيء ما، وهو مشتق من السّمة، وهي العلامة التي يُعرف بها الشيء، وأقسامه ثمانية منها: اسم علم مثل زيد، وعمرو، وفاطمة، وعائشة، ودار، وفرس.

ومنها: اسم لازم كقولك: رجل، وامرأة، وشمس، وقمر، وحجر، ومدبر ونحوها؛ سُمّي لازماً لأنّه لا يتقلب ولا يُفارق، فلا يُقال للشمس قمر ولا للقمر حجر.

ومنها: اسم مفارق مثل: صغير، وكبير، وطفل، وكهل، وقليل، وكثير، وقيل له مفارق لأنّه كان ولم يكن له هذا الاسم ويزول عنه المعنى المسمّى به.

ومنها: اسم مشتق: ككاتب، وخياط، وصائغ، وصباغ؛ فالاسم مشتق من فعله.

ومنها: اسم مضاف مثل: غلام جعفر، وركوب عمرو، ودار زيد.

ومنها: اسم مشبهة كقولك: فلان أسد وحمار وشعلة نار.

ومنها: اسم منسوب يثبت بنفسه ويثبت غيره، كقولك: أب، وأم، وأخ، وأخت، وابن، وبنيت، وزوج، وزوجة، فإذا قلت أب فقد أثبتته وأثبت له الولد، وإذا قلت: أخ أثبتته وأثبت له الأخت.

ومنها: اسم الجنس: وهو إسم واحد ويذل على أشياء كثيرة، كقولك: حيوان، وناس ونحوهما.

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ سجدة تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة، نظيره قوله في قصة يوسف: ﴿وخرّوا له سجدا﴾^(١) وكان ذلك تحية الناس، ويُعظم بعضهم بعضاً، ولم يكن وضع الوجه على الأرض [وإنما] كان الإنحناء والتكبير والتقبيل. فلما جاء الإسلام بطل ذلك بالسّلام.

وفي الحديث إنّ معاذ بن جبل رجع من اليمن فسجد لرسول الله ﷺ فتغيّر وجه رسول الله فقال: ما هذا؟ قال: رأيت اليهود يسجدون لأخبارهم والنصارى يسجدون لقسيسهم. فقال رسول الله ﷺ: «مه يا معاذ كذب اليهود والنصارى إنّما السجود لله تعالى» [٨١] (٢).

وقال بعضهم: كان سجوداً على الحقيقة فجعل آدم قبلة لهم والسجود لله، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة المؤمنين والصلاة لله تعالى.

قال ابن مسعود: أمرهم الله تعالى أن يأتوا بآدم فسجدت الملائكة وآدم لله رب العالمين. وقال أبي بن كعب: معناه: أقرؤا لآدم إنه خير وأكرم عليّ منكم فأقرؤوا بذلك، والسجود على قول عبدالله وأبي بمعنى الخضوع والطاعة والتذلل، كقول الشاعر:

ترى الأكم فيه سجّداً للحوافر^(٣)

وآدم على وزن افعل.

فلذلك لم يصرقه.

السّدي عمّن حدّثه عن ابن عباس قال: إنّما سمّي آدم لأنّه خلق من أديم الأرض، ومنهم من قال: سمّي بذلك لأنه خلق من التراب، والتراب بلسان العبرانية آدم، وبعضهم من قال:

(١) سورة يوسف: ١٠٠.

(٢) المعجم الكبير: ٨ / ٣١. بتفاوت

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٧. والعبارة كالتالي:

بجمع تضل البلق في حجراته ترى الاكم فيه سجّداً للحوافر

سُمِّيَ بذلك لأدمته لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وأبو البشر.

سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ليس في الجنة أحد يُكْنَى إِلَّا آدم فإنه يُكْنَى أبا محمد. وقرأ العامة: ﴿للملائكة﴾ بخفض التاء، وقرأ أبو جعفر بضم التاء تشبهاً لتاء التأنيث بألف الوصل في قوله: ﴿اسجدوا﴾ لأن ألف الوصل يذهب في الوصل ولأنها زائدة غير أصلية، وكذلك تاء التأنيث زائدة غير أصلية، ولا ثابت جواب ألف اسجدوا.

وقيل: كره ضمة الجيم بعد كسرة التاء؛ لأن العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقلها، وهي قراءة ضعيفة جداً وأجمع النحاة على تغليظه فيها.

﴿فسجدوا﴾ يعني الملائكة. ﴿الآ إيليس﴾ وكان اسمه عزازيل، فلما عصى غيرت صورته وغير اسمه فقيل إيليس؛ لأنه أبلس من رحمة الله، كما يقال: يا خبيث ويا فاسق، وهو منصوب على الاستثناء، ولا يصرف لاجتماع العجمة والمعرفة.

﴿أبى﴾ أي امتنع ولم يسجد. ﴿واستكبر﴾ أي تكبر وتعظم عن السجود ﴿وكان﴾ أي فصار ﴿من الكافرين﴾ ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغفرين﴾^(١).

وقال أكثر المفسرين: معناه فكان في علمه السابق من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة.

الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان عنه يبكي فيقول: يا ويلتي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار» [٨٢]^(٢).

زياد بن الحصين عن أبي العالية قال: لما ركب نوح السفينة إذا هو بابليس على كوثلها^(٣) فقال له: ويحك قد شق أناس من أجلك، قال: فما تأمرني؟ قال: تب، قال: سل ربك هل لي من توبة؟ قال: فليل له أن توبته أن يسجد لقبر آدم، قال: تركته حياً واسجد له ميتاً.

﴿وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة﴾ وذلك أن آدم ﷺ كان في الجنة وحشاً ولم يكن له من يُجالسه ويؤانسه، فنام نومة فخلق الله تعالى زوجته من قصيراه من شقه الأيسر من غير أن يحس آدم بذلك ولا وجد له ألماً ولو ألم من ذلك لما عطف رجل على امرأة، فلما هب آدم من نومه إذا هو بحواء جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله تعالى، فقال لها: من أنت؟ قالت أنا زوجتك خلقتني الله لك لتسكن إليّ وأسكن إليك. فقالت الملائكة عند ذلك امتحاناً لعلم آدم: يا آدم ما هذه؟ قال: امرأة، قالوا: ما اسمها؟ قال: حواء، قالوا: لم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حي، قالوا: تحبها يا آدم؟ قال: نعم، فقالوا لحواء: أتحيينه؟ قالت: لا،

(٢) مسند أحمد: ٢ / ٤٤٣.

(١) سورة هود: ٤٣.

(٣) الكوثل: مؤخر السفينة.

وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حُبِّه، قالوا: فلو صدقت امرأة في حُبِّها لزوجها لصدقت حواء.

مسألة:

قالت القدرية: إن الجنة التي أسكنها الله آدم وحواء لم تكن جنة الخلد وإنما كان بستاناً من بساتين الدنيا، واحتجوا بأن الجنة لا يكون فيها إبتلاء وتكليف.

والجواب:

إننا قد أجمعنا على أن أهل الجنة مأمورون فيها بالمعرفة ومكفونون بذلك.

وجواب آخر: إن الله تعالى قادر على الجمع بين الأضداد، فأرى آدم المحنة في الجنة وأرى إبراهيم النعمة في النار لثلاً يأمن العبد ربّه ولا يقنط من رحمته وليعلم أن له أن يفعل ما يشاء.

واحتجوا أيضاً بأن من دخل الجنة يستحيل الخروج منها، قال الله تعالى: ﴿وما هم عنها بمخرجين﴾^(١).

والجواب عنه: إن من دخلها للشواب لا يخرج منها أبداً، وآدم لم يدخلها للشواب، ألا ترى أن رضوان خازن الجنة يدخلها ثم يخرج منها، وإبليس أيضاً كان داخل الجنة وأخرج منها. ﴿وكلا منها رغداً﴾ واسعاً كثيراً. ﴿حيث شئتما﴾: كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما. ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ قال بعض العلماء: وقع النهي على جنس من الشجر. وقال آخرون: بل وقع على شجرة مخصوصة واختلفوا فيها، فقال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): هي شجرة الكافور.

وقال قتادة: شجرة العلم وفيها من كل شيء.

ومحمد بن كعب ومقاتل: هي السنبلة.

وقيل: هي الحَبْلَة وهي الأصل من أصول الكرم.

أبو روق عن الضحّاك: أنها شجرة التين.

﴿فتكونا﴾ فتصيراً ﴿من الظالمين﴾ لأنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم: وضع الشيء في

غير موضعه.

﴿فأزلهما﴾ يعني [استمال] آدم وحواء فأخرجهما ونحّاهما.

وقرأ حمزة: (فأزلهما الشيطان) وهو إبليس، وهو فيعال من شطن أي بعد.

وقيل: إنه من شاط والنون فيه غير أصلية [ونودي] شيطان سمي بذلك لتمردّه وبعده عن الخير وعن رحمة الله تعالى.

﴿عنها﴾ عن الجنة وقيل عن الطاعة.

﴿وأخرجهما مما كانا فيه﴾ من النعيم، وذلك إن إبليس أراد أن يدخل الجنة ويوسوس لآدم ولحواء فمنعته الخزنة، فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكان من خزّان الجنة وكان لأبليس صديقاً، فسألها أن تدخله في فمها فأدخلته في فمها ومّرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة، وكان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة قال: لو أن خلدأ، فأغتنم الشيطان ذلك منه وأتاه من قبل الخلد، ولما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء لا يعلمان إنه إبليس، فناح عليهما نياحةً أحزنهما وبكى وهو أوّل من ناح فقالا لِمَ تبكي قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة، فوقع ذلك في أنفسهما وإغتمًا، ومضى ثم أتاهما بعد ذلك وقال: ﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾^(١)، فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فأغترّا وما كانا يظنّان أنّ أحداً يحلف بالله كاذباً، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها.

وروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبدالله بن قسط قال: سمعت سعيد بن المسيّب يحلف بالله ما يستثني: ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها فأكل، فلمّا أكلا تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوءاتهما وأخرجا من الجنة، وذلك قوله تعالى: ﴿وقلنا﴾ يعني لآدم وحواء وإبليس والحية ﴿اهبطوا﴾ أي أنزلوا إلى الأرض ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نودة، وقيل: واشم، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة وقيل بميسان، والحية بأصفهان.

﴿ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع﴾ بلغة ومستمتع.

﴿إلى حين﴾ إلى حين اقتضاء أجالكم ومنتهى أعماركم.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت إبراهيم بن أدهم: أورثتنا تلك الأكلة حزناً طويلاً.

﴿فتلقى﴾ فلّقن. ﴿آدم﴾ حفّظ حين لقّن، وأفهم حين ألهم.

وقرأ العامة: آدمُ برفع الميم، كلمات بخفض التاء.

وقرأ ابن كثير: بنصب الميم، بمعنى جاءت الكلمات لآدم ﷺ.

﴿من ربّه كلمات﴾ كانت سبب قبول توبته، واختلفوا في تلك الكلمات:

قال ابن عباس: هي أن آدم قال: يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسبق رحمتك بي غضبك؟ قال: بلى، قال: ألم تسكتني جنتك؟ قال: بلى، قال: فلم أخرجني منها؟ قال: بشؤم معصيتك، قال: أي رب رأيت لو تبت [وأصلحت] أراجعي أنت الى الجنة؟ قال: بلى. قال: فهو الكلمات.

قال عبيد بن عمير: هو أن آدم قال: يا رب رأيت ما أتيت، شيء ابتدعته على نفسي أم شيء قدرته عليّ قبل أن تخلقني؟ قال: بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك، قال: يا رب كما قدرته عليّ فأغفر لي^(١).

همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تحتاج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة الى الأرض؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالته؟ قال: نعم. قال: أتلومني على أمر كان قد كتب عليّ أن أفعله من قبل أن أخلق. قال: فحج آدم موسى» [٨٣]^(٢).

وقال محمد بن كعب القرظي: هي قوله: لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك قد عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم، لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك قد عملت سوءاً وظلمت نفسي فأغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فأرحمني إنك أنت أرحم الراحمين.

عكرمة عن سعيد بن جبير في قوله: «فتلقى آدم من ربه كلمات» قالاً: قوله: «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»^(٣)، وكذلك قاله الحسن ومجاهد.

وقال بعضهم: نظر آدم ﷺ الى العرش فرأى على ساقه مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فقال: يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي فغفر له.

وقيل: هذا التأويل ما روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ^(٤): «عرج بي الى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق»^(٥).

(١) تفسير الدر المنثور: ١ / ٥٩. (٢) المصنف (عبد الرزاق الصنعاني): ١١ / ١١٣.

(٣) سورة الأعراف: ٢٣. (٤) ذكره ابن الجوزي في المزموعات: ١ / ٣٢٨.

(٥) روي المتقي الهندي عن علي قول آدم: اللهم إنني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا اله الا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم. كنز العمال: ٢ / ٣٥٩ ح ٤٢٣٧ مورد الآية، والدر المنثور: ١ / ٦٠ ذيل الآية. وأخرج السيوطي عن ابن عباس قال: سألت النبي ﷺ عن الكلمات فقال: سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي. الدر المنثور: ١ / ٦٠.

وقيل: هي ثلاثة أشياء: الخوف، الرجاء، البكاء.

أبو بكر الهذلي عن شهر بن حوشب قال: بلغني أن آدم لما أهبط الى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياءً من الله تعالى.

وقال ابن عباس: بكاء آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم [حواء] مائة سنة.

﴿فتاب عليه﴾ فتجاوز عنه ﴿إنه هو التواب﴾ يقبل توبة عباده ﴿الرحيم﴾ بخلقه.

﴿قلنا اهبطوا منها﴾ يعني آدم وحواء، وقيل: آدم وحواء وابليس والحيّة ﴿فإنا يأتيكم﴾ يا ذرية آدم ﴿مني هدى﴾ كتاب ورسول. ﴿فمن تبع﴾ هداي. ﴿هداي فلا خوف عليهم﴾: فيما يستقبلهم ﴿ولا هم يحزنون﴾: على ما خلفوا.

﴿والذين كفروا﴾ جحدوا. ﴿وكدّبوا بآياتنا﴾ يعني القرآن. ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْ يُهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْسِلُكُمْ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّمَا
يَمَّا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ وَلَا تَشْرِكُوا بِيَّ وَلَا تَشْرِكُوا بِإِبْرَاهِيمَ نَسَبًا وَلَا بِلَهٍ قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُوتُ ﴿٤١﴾ وَلَا
تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ
﴿٤٣﴾ * أَنَا نُزِّلُهَا عَلَيْكَ يَا مَعْشَرَ الْبَشَرِ لِنُحْسِنَ كَلِمَاتِنَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْمِعُوا بِالضَّرِيرِ
وَالصَّلَاةَ وَإِنَّمَا لِكَبِيرَةٍ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ أَنَّهُمْ مُكْفَرُونَ بِهِمْ وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ رَجُوعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي
إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿يا بني إسرائيل﴾ أولاد يعقوب، ومعنى إسرائيل: صفوة الله، وإيل هو الله عز وجل، وقيل: معناه: عبدالله، وقيل: سمي بذلك لأن يعقوب وعيسا كانا توأمين واقتلا في بطن أمهما، فأراد يعقوب أن يخرج فمنعه عيص وقال: والله لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي، فلاقتلنها، فتأخر يعقوب وخرج عيص وأخذ يعقوب يعقب عيص فخرج عيص قبل يعقوب.

وسمي عيص لما عصى قبل يعقوب، وكان عيص أحبهما الى أبيه وكان يعقوب أحبهما الى أمة، وكان عيص [ويعقوب أبناء] إسحاق وعمي، قال لعيص: يا بني أطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي، وكان عيص رجلاً أشعر وكان [يعقوب] رجلاً أمرد، فخرج عيص بطلب الصيد، فقالت أمه ليعقوب: يا بني اذهب الى الغنم فاذبح منه شاة ثم اشوه والبس جلدها وقدمها الى أهلك فقل له: أنك عيص، ففعل ذلك يعقوب، فلما جاء قال: يا ابنه كل، قال: من أنت، قال: ابنك عيص [قال: خمسه فقال: المس من عيص والريح ريحة

يعقوب، قالت أمه: هو ابنك، فادع له، قال: قدم طعامك فقدمه فأكل منه، ثم قال: أدن مني، فدنا منه، فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك. وقام يعقوب وجاء عيص فقال: قد جئتك بالصيد الذي أمرتني به. فقال: يا بني قد سبقك أخوك يعقوب، فغضب عيص وقال: والله لأقتلنه، قال: يا بني قد بقيت لك دعوة، فهلم أدع لك بها، فدعا له فقال: تكون ذريتك عدداً كثيراً كالتراب ولا يملكهم أحد غيرهم...^(١).

﴿اذكروا﴾....

روى الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والمحدث بنعمة الله شاكر وتاركها كافر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب» [٨٤]^(٢).

﴿نعمتي﴾ أراد نعمي أعطاها وهي واحد [بمعنى الجمع] وهو قوله تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(٣) والعدد لا يقع على الواحد.

﴿التي أنعمت عليكم﴾ أي على أجدادكم، وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من فرعون وأهلك عدوهم فأورثهم ديارهم وأموالهم، وظلل عليهم الغمام في التيه من حر الشمس، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر، وأنزل عليهم المن والسلوى، وفجر لهم اثني عشرة عيناً [وأنزل]^(٤) عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون إليه في نعم من الله كثيرة لا تحصى.

﴿أوفوا بعهدي﴾ الذي عهدت اليكم ﴿أوف بعهدكم﴾ أدخلكم الجنة وأنجز لكم ما وعدتكم.

فقراً الزهري: أوف بالتشديد على التأكيد يقال: وقى وأوفى كلها بمعنى [واحد] وأصلها الاتمام.

قال الكلبي: عهد إلى بني إسرائيل على لسان موسى: إني باعث من بني إسماعيل نبياً أميناً فمن إتبعه [وآمن]^(٥) به عفوت عن ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين إثنين، وهو قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبينته للناس ولا تكتُمونه﴾^(٦) يعني أمر محمد ﷺ.

(١) في المخطوط بياض وأكملنا القصة من تاريخ الطبري: ٢٤٤ - ٢٢٥.

(٢) مسند أحمد: ٤ / ٢٧٨؛ والشكر لله لابن أبي الدنيا: ٧.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٤.

(٤) بياض في المخطوط وما أثبتناه هو الظاهر.

(٥) سقط في أصل المخطوط وما أثبتناه منا.

(٦) سورة آل عمران: ١٨٧.

قتادة: هو العهد الذي أخذ الله عليهم في قوله: ﴿ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿قرضاً حسناً﴾^(٢) فهذا قوله: ﴿أوفوا بعهدي﴾ ثم قال: ﴿لأكفرنّ عنكم سيئاتكم﴾^(٣) الآية. فهذا قوله ﴿أوف بعهدكم﴾.

فقال: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾^(٤) الآية.

الحسن: هو قوله: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾^(٥) الآية.

إسماعيل بن زياد: ولا تفروا من الزحف أدخلكم الجنة، دليله قوله تعالى: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾^(٦).

وقيل: أوفوا بشرط العبوديّة، أوف بشرط الربويّة.

وقال أهل الإشارة: أوفوا في دار محنتي على بساط خدمتي، [أوف عهدكم] في دار نعمتي على بساط كرامتي بقربي ورؤيتي.

﴿وإيّاي فارهبون﴾ فخافوني في نقض العهد [وسقطت الياء بعد النون في] هذه الآيات وفي كلّ القرآن على الأصل، وحذفها الباكون على الخط إتباعاً للمصحف.

﴿وآمنوا بما أنزلت مصدّقاً﴾ موافقاً ﴿لما معكم﴾ يعني التوراة في التوحيد والنبوة والأخبار، وبعض الشرائع نزلت في كعب وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم.

﴿ولا تكونوا أوّل كافرين﴾ يعني أوّل من يكفر بالقرآن^(٧) وقد بايعتنا اليهود على ذلك فتبوعوا بأنامكم وآثامهم.

﴿ولا تشتروا بآياتي﴾ أي ببيان صفة محمد ونعته. ﴿ثمناً قليلاً﴾ شيئاً يسيراً، وذلك أن رؤساء اليهود كانت لهم مآكل يصيبيونها من سفلتهم وعوامهم يأخذون منهم شيئاً معلوماً كلّ عام من زروعهم [فخافوا أن تبيّنوا] صفة محمد ﷺ وبايعوه أن تفوتهم تلك المآكل والرياسة، فاختراروا الدنيا على الآخرة.

﴿وإيّاي فاتقون﴾ فآخسوني في أمر محمد لا فيما يفوتكم من الرياسة والمآكل.

﴿ولا تلبسوا الحق﴾ ولا تخلطوا، يقال: [لبست عليهم الأمر ألبسه لبساً إذا خلطته عليهم]^(٨) أي خلطت وشبهت الحق الذي أنزل اليكم من صفة محمد ﷺ.

(٥) سورة البقرة: ٦٣.

(٦) سورة الأحزاب: ١٥.

(٧) تفسير الطبري: ١ / ٣٦٠.

(٨) زيادة عن تفسير الطبري ١ / ٣٦٢.

(١) سورة المائدة: ٧٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٥.

(٣) سورة المائدة: ١٢.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

﴿بالباطل﴾، الذي تكتمونونه، وهو تجدونه في كتبكم من نعته وصفته.

وقال مقاتل: إن اليهود أقرّوا ببعض صفه محمد ﷺ وكتبوا بعضاً واختلفوا في ذلك، فقال الله عز وجل: ﴿ولا تلبسوا الحق﴾ الذي تقرّون به وتبيّنونه بالباطل، يعني بما تكتمونونه، فالحق بيانهم والباطل كتمانهم.

وقيل: معناه ولا تلبسوا الحقّ [من الباطل] صفة أو حال.

﴿وتكتموا الحق﴾ يعني ولا تكتموا الحق كقوله تعالى: ﴿لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾^(١).

﴿وأنتم تعلمون﴾ إنّه نبيّ مرسل.

﴿وأقيموا الصلاة﴾ يعني وحافظوا على الصلوات الخمس بمواقيتها [وأركانها] وركوعها وسجودها.

﴿وآتوا الزكاة﴾ يعني وأدّوا زكاة أموالكم المفروضة، وأصل الزكاة: الطهارة والنماء والزيادة.

﴿واركعوا مع الراكعين﴾ يعني وصلّوا مع المصلين محمّد وأصحابه، يخاطب اليهود فعبر بالركوع عن الصلاة إذ كان ركناً من أركانها كما عبر باليد عن العطاء كقوله: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾^(٢) وقوله: ﴿فيما كسبت أيديكم﴾^(٣) وبالعنق عن البدن في قوله: ﴿ألزمناه طائره في عنقه﴾^(٤) والأنف عن [.....]^(٥).

[﴿أنأمرون الناس بالبر﴾ الطاعة والعمل الصالح، ﴿وتنسون أنفسكم﴾ تتركون ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ توبّخ عظيم ﴿أفلا تعقلون﴾ أي أفلا تمنعون أنفسكم من واقعة هذه الحال المردية لكم]^(٦).

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾.....

﴿وإنها لكبيرة﴾ [عليهما ولكنه كنى عن الأغلب وهو الصلاة كقوله]: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ وقوله: ﴿إذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها﴾ فرد

(١) سورة الأنفال: ٢٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٨١.

(٣) سورة الشورى: ٣٠.

(٤) سورة الإسراء: ١٣.

(٥) سقط في المخطوط.

(٦) بياض في المخطوط، وتفسير الآيات من تفسير القرطبي: ١ / ٣٦٥.

الكناية إلى الفضة لأنها الأغلب والأعم وإلى التجارة لأنها الأفضل والأهم... ﴿وإنها﴾ واحد منهما، أراد بأن كل خصلة منهما ﴿لكبيرة﴾ وقيل: رد الكناية إلى كل واحد منهما قال تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾^(١) ولم يقل: آيتين، أراد: جعلنا كل واحد منهما آية.

حسن من علم يزينه حلم ومن ناله قد فاز بالفرج
أي من نال كل واحد منهما.

وقال آخر:

لكل همّ من الهموم سعة والمسى والصبح لا فلاح معه^(٢)
وقيل: ردّ الهاء إلى الصلاة لأنّ الصبر داخل في الصلاة كقوله: ﴿والله ورسوله أحقّ أن يرضوه﴾^(٣) ولم يقل يرضوهما؛ لأنّ رضا الرسول داخل في رضا الله، فردّ الكناية إلى الله. وقال الشاعر وهو حسان:

إنّ شرخ الشباب والشعر الأسود — سود ما لم يُعاص كان جنونا^(٤)
ولم يقل يُعاصياً رده إلى الشباب، لأنّ الشعر الأسود داخل فيه. وقال الحسين بن الفضل: ردّ الكناية إلى الاستعانة، معناه: وأنّ الإستعانة بالصبر والصلاة لكبيرة ثقيلة شديدة ﴿إلا على الخاشعين﴾ يعني المؤمنين، وقال ابن عباس: يعني المصلّين. الوراق: العابدين المطيعين. مقاتل بن حيان: المتواضعين، الحسن: الخائفين. قال الزجاج: الخاشع الذي يُرى أثر الذل والخنوع عليه، وكخشوع الدار بعد الاقواء، هذا هو الأصل^(٥).

وقال النابغة:

رماد ككحل العين ما أن تبينه ونؤي كجذم الحوض أثلم خاشع
﴿الذين يظنون﴾ يعلمون ويستيقنون، كقوله تعالى: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابه﴾^(٦) أي أيقنت به.

وقال دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد^(٧)

(١) سورة المؤمنون: ٥٠.

(٢) شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٤٩٤ وفيه: لا بقاء معه.

(٣) سورة التوبة: ٦٢.

(٤) الصحاح: ١ / ٤٢٤.

(٥) تفسير القرطبي: ١ / ٣٧٤.

(٦) سورة الحاقة: ٢١.

(٧) الصحاح: ٦ / ٢١٦٠.

يعني أيقنوا .

والظن من الأضداد يكون شكاً و يقيناً كالرجاء يكون أملاً وخوفاً .

﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ معانوا ربهم في الآخرة ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ فيجزئهم بأعمالهم .
﴿يا بني إسرائيل إذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ يعني عالمي زمانكم .

﴿واتقوا يوماً﴾ أي واحذروا يوماً واخشوا يوم .

﴿لا تجزي﴾ أي لا تقضي ولا تكفي ولا تغني .

ومنه الحديث عن أبي بردة بن ديان في الأضحية : لا تجزي عن أحد بعدك .

وقرأ أبو السماك العدوي : لا تجزي مضمومة التاء مهموزة الياء من أجزاء يجزي إذا كفي .
قال الشاعر :

وأجزاء أمر العالمين ولم يكن ليَجْزِي إلا كامل وابن كامل^(١)

وقال الزجاج : وفي الآية إضمار معناه : ﴿لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ من الشدائد والمكاره .

وأشده الشاعر :

ويوم شهدناه سليماً وعماراً

أي شهدنا فيه .

وقيل : معناه : ولا تغني نفس مؤمنة ولا كافرة عن نفس كافرة .

﴿ولا يقبل منها شفاعه﴾ إذا كانت كافرة .

قرأ أهل مكة والبصرة : بالتاء لتأنيث الشفاعه . وقرأ الباقون : بالياء لتقديم الفعل .

وقرأ قتادة : (ولا يقبل منها شفاعه) بياء مفتوحة ، ونصب الشفاعه أي لا يقبل الله .

﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ فداء كانوا يأخذون في الدنيا ، وسمي الفداء عدلاً لأنه يعادل المفدى ويمثله قال الله عز وجل : ﴿أو عدل ذلك صياماً﴾^(٢) .

﴿ولا هم ينصرون﴾ أي يمنعون من عذاب الله .

(١) تفسير القرطبي : ١ / ٣٧٨ .

(٢) سورة المائدة : ٩٥ .

قال الزجاج: كانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لهم عند الله عز وجل، فأياسهم الله من ذلك.

وَإِذْ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ مَلِكِ فِرْعَوْنَ بِسُومِنَاكُمْ سِوَى الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَإِذْ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٍ (٤٩) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْخَافِضَ وَالرَّفِيعَ مَلِكِ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠) وَإِذْ نَسِيَ آدَمُ الْوَعْدَ أَنْ قَامَ إِلَىٰ قَارُونَ فَخَذْنَاهُ مِنَ الْعَجْلِ مِنْ تَحْتِهَا وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥١) ثُمَّ عَقَوْنَا عُنُقَهُمْ فَمِنْ سَبْعٍ فَأَصْرَفْنَا لَكُمْ خُذْلُوكُمْ وَنَسَخْنَا الْآنَا مِثْلَهُمْ لَكُلِّ مَلَكٍ مَشْكُورٍ (٥٢) وَإِذْ قَالَتْ نُسْرَةَ لِقَوْمِهَا يُقِيمُونَ (٥٣) وَإِذْ قَالَتْ نُسْرَةَ لِقَوْمِهَا يُقِيمُونَ (٥٤) وَإِذْ قَالَتْ نُسْرَةَ لِقَوْمِهَا يُقِيمُونَ (٥٥) وَإِذْ قَالَتْ نُسْرَةَ لِقَوْمِهَا يُقِيمُونَ (٥٦) وَإِذْ قَالَتْ نُسْرَةَ لِقَوْمِهَا يُقِيمُونَ (٥٧) وَإِذْ قَالَتْ نُسْرَةَ لِقَوْمِهَا يُقِيمُونَ (٥٨) وَإِذْ قَالَتْ نُسْرَةَ لِقَوْمِهَا يُقِيمُونَ (٥٩) وَإِذْ قَالَتْ نُسْرَةَ لِقَوْمِهَا يُقِيمُونَ (٦٠)

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاهُمْ﴾ يعني أسلافكم وآباءكم فأعتدّها مئة عليهم؛ لأنهم نجوا بنجاتهم، ومآثر الآباء مفاخر الأبناء.

وقوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾^(١): أصله ألقيناكم على التجارة وهو ما ارتفع واتسع من الأرض هذا، هو الأصل، ثم سمي كلّ فائز ناجياً كأنه خرج من الضيق والشدة الى الرخاء والراحة.

وقرأ إبراهيم النخعي: وإذ نجيناكم على الواحد.

﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أي أشياعه وأتباعه وأسرته وعزّته وأهل دينه، وأصله من الأول وهو الرجوع كأنه يؤول إليك، وكان في الأصل همزتان فقوضت من إحداهما مدّ وتخفيف.

وفرعون: هو الوليد بن مصعب بن الريان، وكان من العماليق.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يعني يكلفونكم ويذيقونكم أشدّ العذاب وأسوأه، وذلك أنّ فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وعبيداً وصنّفهم في أعمالهم. فصنّف بينون، وصنّف يحرثون ويزرعون، وصنّف يخدمون، ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال فعليه الجزية.

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾.

وقرأ ابن محيصن: بالتخفيف فتح الياء والباء من الذبح، والتشديد على التكثير، وذلك أنّ فرعون رأى في منامه كأنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فهاله ذلك، ودعا بالسحرة والكهنة وسألهم عن رؤياه فقالوا: إنّه يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك، فأمر فرعون بقتل كلّ غلام يولد في بني إسرائيل، وجمع القوابل من أهل مملكته فقال لهنّ: لا

يسقطنّ على أيديكنّ غلام من بني إسرائيل إلاّ قتل ولا جارية إلاّ تركت، ووكلّ بهنّ من يفعلن ذلك، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له: إن الموت قد وقع في بني إسرائيل وأنت تذبح صغارهم [ويموت كبارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها].

﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم﴾ في إنجائكم منهم نعمة عظيمة، والبلاء تنصرف على وجهين: النعماء والتقماء [.....] (١).

﴿وإذ فرقنا بكم﴾ (٢)

﴿البحر﴾: وذلك إنّه لما دنا هلاك فرعون أمر الله عزّ وجلّ موسى أن يسري ببني إسرائيل، وأمرهم أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح، وأخرج الله عزّ وجلّ كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم وأخرج [من بني إسرائيل كل ولد زنا منهم] (٣) إلى القبط حتى رجع كل واحد منهم الى أبيه، وألقى الله عزّ وجلّ على القبط الموت فمات كل بكراً، فاشتغلوا بدفنهم [عن طلبهم حتى] (٤) طلعت الشمس وخرج موسى ﷺ في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يتعدّون ابن العشرين أصغرهم، ولا ابن الستين أكبرهم، سوى الذرية. فلما أرادوا السير ضرب عليهم التّيه فلم يدروا أين يذهبون، فدعا موسى ﷺ مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك. فقالوا: إنّ يوسف ﷺ لما حضرته الوفاة أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم؛ فلذلك أنسدّ علينا الطريق، فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا.

فقام موسى يُنادي: أنشد الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف إلاّ أخبرني به، ومن لم يعلم فصمت أذناه عن قولي. فكان يمرّ بين الرّجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت: رأيتك إن دلتك على قبره أتعطيني كلّما سألتك، فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربّي، فأمره الله عزّ وجلّ بايتاء سؤلها، فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر هذا في الدّنيا، وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل بغرفة من الجنة إلاّ نزلتها معك، قال: نعم، قالت: إنّه في جوف الماء في النيل، فادعُ الله حتى يحبس عنه الماء. فدعا الله فحبس عنه الماء، ودعا أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف، فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من المرمر فحمله حتى دفنه بالشام، ففتح لهم الطريق.

(١) بياض في المخطوط.

(٢) كلام غير مقروء.

(٣) استدرارك عن الدر المنثور: ٥ / ٨٤ والمخطوط بياض.

(٤) استدرارك عن تفسير الطبري: ١ / ٣٩٦.

فساروا وموسى على ساقتهم وهارون على مقدمتهم، وعلم بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصبح الديك. فوالله ما صاح ديك في تلك الليلة. فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل وعلى مقدمته هامان في ألف وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألف من دهم الخيل سوى سائر الشيات، وسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر، والماء في غاية الزيادة.

نظروا فإذا هم بفرعون وذلك حين أشرقت الشمس، فبقوا متحيرين وقالوا: يا موسى كيف نصنع؟ وما الحيلة؟ فرعون خلفنا والبحر أمامنا. قال موسى: ﴿كلا أن معي ربي سيهدين﴾^(١) فأوحى إليه: ﴿أن اضرب بعصاك البحر﴾^(٢) فضربه فلم يُطعه، فأوحى الله إليه أن كته، فضربه موسى بعصاه وقال: انفلق أبا خالد بإذن الله، ﴿فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾^(٣) وظهر فيها اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق، وأرسل الله عز وجل الريح والشمس على مقر البحر حتى صار يساً.

وقال سعيد بن جبير: أرسل معاوية الى ابن عباس فسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة؟ فكتب إليه: إنه المكان الذي انفلق منه البحر لبني إسرائيل^(٤).

فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبه الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضاً، فخافوا وقال كل سبط قد غرق كل إخواننا. فأوحى الله إلى حال الماء أن تشبكي، فصار الماء شبكات يرى بعضهم بعضاً، ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين. فذلك قوله تعالى ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ أي فلقنا وميّزنا الماء يميناً وشمالاً.

﴿فأنجيناكم﴾ من آل فرعون والغرق.

﴿وأغرقنا آل فرعون﴾ وذلك إن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منغلغاً، قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائي وعبيدي الذين أبقوا وأقتلهم، أدخلوا البحر، فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون أنثى، وإنما كانت كلها ذكور، فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدمهم فخاض البحر، فلما شمّت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها حتى خاضوا كلهم في البحر، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم: إلقوا بأصحابكم، حتى إذا خرج جبرائيل من البحر وهم أولهم أن يخرج، أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم والتطم عليهم فأغرقهم أجمعين؛ وذلك بمراى من بني إسرائيل، وذلك قوله: ﴿وأغرقنا آل فرعون﴾.

(٢) سورة الشعراء: ٦٣.

(١) سورة الشعراء: ٦٢.

(٣) سورة الشعراء: ٦٣.

(٤) البداية والنهاية: ٨ / ٣٣٤، وذكر تمام القصة.

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى مصارعهم.

﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وذلك أنّ بني إسرائيل لما آمنوا من عدوهم، ودخلوا مصر، ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها، فوعد الله عزّ وجلّ موسى أن ينزل عليهم التوراة، فقال موسى لقومه: إني ذاهب إلى ميقات ربي، وآتيكم بكتاب فيه تبيان ما تأتون وما تذرون، فواعدهم أربعين ليلة - ثلاثين من ذي القعدة وعشرًا من ذي الحجة - واستخلف عليهم أخاه هارون.

فلما أتى الوعد جاء جبرئيل على فرس يُقال لها فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلاّ حيي؛ ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري وكان رجلاً صائغاً من أهل باجرو واسمه ميخا - وقال ابن عباس: اسمه موسى بن ظفر، وكان رجلاً منافقاً قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فدخل قلبه حبُّ البقر - فلما رأى جبرئيل على ذلك الفرس، قال: إنّ لهذا شأنًا، وأخذ قبضةً من تربة حافر فرس جبرئيل، وكانت بنو إسرائيل قد استعاروا حلياً كثيراً من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لغلة عرس لهم فأهلك الله عزّ وجلّ قوم فرعون فبقيت تلك الحلي في يد بني إسرائيل. فلما وصل موسى. قال السامري: إنّ الأمتعة والحلي التي استعرتموها من قوم فرعون غنيمة، ولا تحلّ لكم. فاحفروا حفرةً وادفنها فيها حتى يرجع موسى، ويرى فيها رأيه، ففعلوا ذلك.

فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري، ثم ألقى القبضة التي أخذها من تراب فرس جبرئيل فيه، فخرج عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن ما يكون وخار خورة. قال السدي: كان يخور ويمشي [ويقول:] هذا ألهمك واله موسى فَنسي، أي تركه ها هنا وخرج بطلبه.

وكان بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعَدّوا اليوم والليلة يومين، فلما مضت عشرون يوماً ولم يرجع موسى ﷺ ورأوا العجل وسمعوا قول السامري، أفتتن بالعجل ثمانية ألف رجل منهم، وعكفوا عليه يعبدونه من دون الله عزّ وجلّ.

﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ قرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب: (وعدنا) بغير ألف في جميع القرآن، وقرأ الباقون: (واعدنا) بالألف، وهي قراءة ابن مسعود. فمن قرأ بغير ألف قال: لأنّ الله عزّ وجلّ هو المتفرد بالوعد والقرآن ينطق به كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾^(١) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعْدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾^(٢)، ومن قرأ بالألف قال: قد يجيء المفاعلة من واحد كقولهم: عاقبت اللص، وعافاك الله، وطارقت النعل.

(١) سورة النساء: ٩٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٢.

قال الزجاج: (واعدنا) جيد لأن بالطاعة والقبول بمنزلة المواعدة فكان من الله الوعد ومن موسى القبول.

وموسى: هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب.

﴿أربعين ليلة﴾ وقرأ زيد بن علي: (أربعين) بكسر الباء وهي لغة، و(ليلة) نصب على التمييز والتفسير، وإنما قرن التاريخ بالليل دون النهار؛ لأن شهور العرب وضعت على مسير القمر، والهلال إنما يهّل بالليل، وقيل لأن الظلمة أقدم من الضوء، والليل خلق قبل النهار. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾^(١) الآية.

﴿ثمّ اتخذتم العجل﴾ يقول أبو العالية: إنّما سمّي العجل لأنهم تعجلوه قبل رجوع موسى ﷺ.

﴿من بعده﴾ من بعد انطلاق موسى إلى الجبل للميعاد.

﴿وأنتم ظالمون﴾ مشاؤون لأنفسكم بالمعصية، وواضعون العبادة في غير موضعها.

﴿ثمّ عفونا عنكم﴾ أي تركناكم فلم نستأصلكم، من قول له ﷺ: أحفوا الشوارب واعفوا للحي، وقيل: محونا ذنوبكم، من قول العرب: عفت الريح المنازل فعفت.

﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد عبادتكم العجل.

﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا عفوي عنكم، وصنيعي إليكم.

واختلف العلماء في ماهية الشكر، فقال ابن عباس: هو الطاعة بجميع الجوارح لربّ الخلائق في السر والعلانية.

وقال الحسن: شكر النعمة ذكرها، قال الله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾^(٢).

الفضل: شكر كل نعمة ألاّ يُعصى الله بعد تلك النعمة.

أبو بكر بن محمد بن عمر الوراق: حقيقة الشكر: معرفة المُنعم، وأن لا تعرف لنفسك في النعمة حظاً بل تراها من الله عزّ وجلّ. قال الله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾^(٣) يدل عليه ما روى سيف بن ميمون عن الحسين: إنّ رسول الله ﷺ قال: «قال موسى ﷺ: يا ربّ كيف استطاع آدم أن يؤدي شكر ما أجريت عليه من نعمك، خلقتة بيدك واسجدت له ملائكتك واسكنته جنّتك؟ فأوحى الله إليه: إنّ آدم علم إنّ ذلك كله منّي ومن عندي فذلك شكر»^(٤) [٨٥].

(٢) سورة الضحى: ١١.

(١) سورة يس: ٣٧.

(٣) سورة النحل: ٥٣.

(٤) روضة الواعظين (الفتال النيسابوري): ص: ٤٧٣، الشكر لله - ابن أبي الدنيا - ص: ٧٠.

وعن إسحاق بن نجيج الملطي عن عطاء الخرساني عن وهب بن منبه قال: قال داود عليه السلام:
إلهي كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصلُ إلى شكرك إلاّ بنعمتك؟ فأوحى الله تعالى إليه: أأست
تعلم أنّ الذي بك من النعم منّي؟ قال: بلى يا ربّ، قال: أَرْضَى بِذَلِكَ لَكَ شُكْرًا.

وقال وهب: وكذلك قال موسى: يا ربّ أنعمت عليّ بالنعم السوابغ وأمرتني بالشكر لك
عليها، وإنما شكري لكل نعمة منك عليّ، فقال الله: يا موسى تعلّمت العلم الذي لا يفوته
علم، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو منّي ومن عندي.

قال الجنيد: حقيقة الشكر: العجز عن الشكر.

وروى ذلك عن داود عليه السلام أنّه قال: سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرًا،
كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة.

وقال بعضهم: الشكر أن لا يرى النعمة البتة بل يرى المنعم.

أبو عثمان الخيري: صدق الشكر: لا تمدح بلسانك غير المنعم.

أبو عبد الرحمن السلمي عن أبي بكر الرازي عن الشبلي: الشكر: التواضع تحت رؤية
المنة.

وقيل: الشكر خمسة أشياء: مجانبة السيئات، والمحافظة على الحسنات، ومخالفة
الشهوات، وبذل الطاعات، ومراقبة ربّ السموات.

قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سئل أبو الحسن علي بن عبد الرحيم القناد
في الجامع بحضرة أبي بكر بن عدوس وأنا حاضر: من أشكر الشاكرين؟ قال: الطاهر من
الذنوب، يعدُّ نفسه من المذنبين، والمجتهد في النوافل بعداد الفرائض، يعدُّ نفسه من
المقصرين، والراضي بالقليل من الدنيا، يعدُّ نفسه من المفلسين، فهذا أشكر الشاكرين.

بكر بن عبد الرحمن عن ذي التور: الشكر لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن
دونك بالإحسان والإفضال.

﴿وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان﴾

قال مجاهد والفراء: هما شيء واحد، والعرب تكرر الشيء إذا اختلفت ألفاظه على
التوهم، وأنشد الفراء:

وقدّمت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذباً وميناً^(١)

وقال عنترة:

حيّيت من طلل تقادم^(١) عهده أقوى^(٢) وأقفر بعد أمّ الهيثم^(٣)
وقال الزجاج: وهذا هو القول؛ لأنّ الله عزّ وجلّ ذكر لموسى الفرقان في غير هذا
الموضع فقال: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾^(٤).

وقال الكسائي: الفرقان: نعت للكتاب، يريد: ﴿وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان﴾ فرّق
بين الحلال والحرام، والكفر والإيمان، والوعد والوعيد. فزيدت الواو فيه كما يُزاد في النعوت
من قولهم: فلان حسن وطويل، وأنشد:

إلى الملك العزم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم^(٥)
ودليل هذا التأويل قوله: ﴿ثمّ آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل
شيء﴾^(٦).

وقال قطرب: أراد به الفرقان، وفي الآية إضمار، ومعناه: وإذا آتينا موسى الكتاب ومحمّد
الفرقان.

﴿لعلكم تهتدون﴾ لهذين الكتابين، فترك أحد الإسمين، كقول الشاعر:

تراه كأن الله يجده أنفه وعينيه إن مولاه بات له وفر^(٧)
وقال ابن عباس: أراد بالفرقان النصر على الأعداء، نصر الله عزّ وجلّ موسى وأهلك
فرعون وقومه، يدلّ عليه قوله عزّ وجلّ: ﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى
الجمعان﴾^(٨) يوم بدر.

يمان بن رباب: الفرقان: انفراق البحر وهو من عظيم الآيات، يدلّ عليه قوله تعالى:
﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم﴾.

﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ الذين إتخذوا العجل. ﴿يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم﴾ أي ضررتم
أنفسكم ﴿باتخاذكم العجل﴾ إلهاً، فقالوا: فأي شيء نصنع وما الحيلة؟ قال: ﴿فتوبوا﴾

(١) كذا في القرطبي

(٢) كذا في تفسير القرطبي.

(٣) تفسير القرطبي: ١ / ٣٩٩.

(٤) سورة الأنبياء: ٤٨.

(٥) تفسير القرطبي: ١ / ٣٨٥.

(٦) سورة الأنعام: ١٥٤.

(٧) لسان العرب: ٨ / ٤١.

(٨) سورة الأنفال: ٤١.

فارجعوا. ﴿إلى بارئكم﴾ أي خالقكم، وكان أبو عمرو يختلس الهمزة الى الجزم في قوله: ﴿بارئكم﴾ و(يأمركم) وينصركم طلباً للخفة^(١) كقول امرؤ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمأ من الله ولا واغل^(٢)
وأنشد:

وإذا أعوججن قلت صاحب قوم بالذو أمثال السفين العموم^(٣)

قال: ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ ليقتل البريء المجرم. ﴿ذلكم﴾ القتل. ﴿خير لكم عند بارئكم﴾ قال ابن جرير: فأبى الله عز وجل أن يقبل توبة بني إسرائيل إلاّ بالحال التي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل.

وقال قتادة: [جعل عقوبة] عبدة العجل القتل؛ لأنهم إرتدوا، والكفر يبيح الدم.

وقرأ قتادة: (فأقبلوا أنفسكم) من الأقالمة أي استقبلوا العثرة بالتوبة، فلما أهدم موسى بالقتل قالوا: نصير لأمر الله تعالى فجلسوا بالأفنية مختبئين وأصلت القوم عليهم الخناجر وكان الرجل يرى ابنه وأباه وعمه وقومه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي لأمر الله وقالوا: يا موسى كيف نفعل؟ فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً وقيل لهم من حلّ حيوته أو مدّ طرفه الى قاتله أو إتقى بيد أو رجل فهو طعون مردود توبته، فكانوا يقتلونهم الى المساء، فلما كثر فيهم القتل دعا هارون وموسى وبكياً وجزعاً وتضرّعاً وقالوا: يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية، فكشف الله عز وجل السحاب وأمرهم أن يرفعوا السلاح عنهم ويكفوا عن القتل.

فتكشفت عن ألوف من القتلى، فاشتد ذلك على موسى، فأوحى الله إليه: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة، وكان من قُتل منهم شهيداً ومن بقي منهم نكفّر عنه ذنوبه، فذلك قوله: ﴿فتاب عليكم﴾ يعني ففعلتم بأمره فتاب عليكم وتجاوز عنكم.

﴿إنه هو التواب الرحيم﴾.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ إِلَهُكَ فَاجْعَلْ لَنَا صُورَةً مِّثْلَ صُورَةِ آلِهَتِنَا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ
عَبَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوَدَّتِكُمْ لِمَآ كُنْتُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ وَطَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا
مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا
مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُحْبًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَبِّحُوا الْحَمْدَ لِلَّهِ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

(١) أي باختلاس الحركة، وروي عنه السكون وقرأ الباقون بغير اختلاس.

(٢) لسان العرب: ١٠ / ٤٢٦.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب: ٤ / ٢٢٥، لسان العرب: ١٢ / ٤٣٢.

قَدْ لَبِثْنَا أَنْ نَمُوتَ وَيَحْيَا رَبَّنَا إِنَّا أَفْجَاءٌ بِمَا نَدْعُوا وَلَكِنْ كُنَّا فِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُوا بِهَذَا فَكُنَّا مِنَ الْمَلْهُومِينَ ﴿٥٥﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ الآية، وذلك أنّ الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختر سبعين رجلاً من خيارهم، وقال لهم: صوموا وتطهّروا وطهّروا ثيابكم، ففعلوا ذلك، فخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربّه، فلمّا وصل ذلك الموضع قالوا: اطلب لنا نسمع كلام ربّنا، فقال: أفعل، فلمّا دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشّى الجبل كلّه فدخل في الغمام وقال القوم: ادنوا، وكان موسى إذا كلّمه ربّه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخرّوا سجّداً، وسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه، وأسمعهم الله تعالى: إني أنا الله لا اله إلا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فأعبدوني ولا تعبدوا غيري.

فلمّا فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم، فقالوا له: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة.

﴿فَأَخَذتْكُمْ الصَّاعِقَةُ﴾ وهي نارٌ جاءت من السماء فأحرقتهم جميعاً.

وقال وهب: أرسل الله عزّ وجلّ عليهم جنداً من السماء فلمّا سمعوا بحسّها ماتوا يوماً وليلة. والصاعقة: المهلكة، فذلك قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ﴾ لن نصدّقك ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١).

قرأه العامة بجزم الهاء، وقرأ ابن عباس: (جهرة) بفتح الهاء وهما لغتان مثل زُهره وزَهْره.

﴿جَهْرَةً﴾ أي معاينة بلا ساتر بيننا وبينه، وأصل الجهر من الكشف.

قال الشاعر:

يجهر أجواف الميَاه السّدم^(٢) [وانتِحابها على الحان]

﴿فَأَخَذتْكُمْ الصَّاعِقَةُ﴾ قرأ عمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم): (الصعقة) بغير ألف، وقرأ الباقون (الصاعقة) بالألف وهما لغتان.

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ وذلك أنهم لما هلكوا جعل [موسى]^(٣) يبكي

(١) بتفاوت في قصص الأنبياء لابن كثير: ٢ / ١٢٦.

(٢) سيرة النبي ﷺ - ابن هشام الحميري - ٢ / ٣٧٧، والسدم: الندم.

(٣) سقطت في أصل المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

ويتضرّع ويقول: يا ربّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ولو شئت أهلكتهم من قبل، ويا ربّي ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾^(١) فلم يزل يناشد ربّه حتى أحياهم الله تعالى جميعاً رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون، فذلك قوله تعالى:

﴿ثم بعثناكم﴾ أحييناكم ﴿من بعد موتكم﴾ لتستوفوا بقيّة آجالكم وأرزاقكم، وأصل البعث: إثارة الشيء من [مكمنه].

يقال: بعثت البعير، وبعثت النائم فانبعث.

﴿لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام﴾ في التيه تقيكم حرّ الشمس، وذلك أنهم كانوا في التيه ولم يكن لهم كَنْ يسترهم فشكوا ذلك الى موسى، فأنزل الله عليهم غماماً أبيضاً رقيقاً وليس بغمام المطر بل أرقّ وأطيب وأبرد - والغمام: ما يغمّ الشيء أي يستره - وأظلمهم فقالوا: هذا الظل قد جعل لنا فأين الطعام، فأنزل الله عليهم المنّ.

واختلفوا فيه، فقال مجاهد: وهو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار وطعمه كالشهد. الضحّاك^(٢): هو الطرنجيبين^(٣).

وقال وهب: الخبز الرّفاق. السدي: عسل كان يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه. عكرمة: شيء أنزله الله عليهم مثل الزيت الغليظ، ويقال: هو الزنجبيل.

وقال الزجاج: جملة المنّ ما يمنّ الله مما لا تعب فيه ولا نصب.

وروي عن النبي ﷺ: «الكماة من المنّ وماءوها شفاء للعين»^(٤) [٨٦].

وكان ينزل عليهم هذا المنّ كل ليلة تقع على أشجارهم مثل الملح، لكلّ إنسان منهم صاع كل ليلة قالوا يا موسى: مللنا هذا المنّ بحلاوته، فادع لنا ربّك أن يطعمنا اللحم، فدعا عليه السلام، فأنزل الله عليهم السلوى.

واختلفوا فيه، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: هو طائر يشبه السّماني.

أبو العالية ومقاتل: هو طير أحمر، بعث الله سحابة فمطرت ذلك الطير في عرض ميل وقدر طول رمح في السماء بعضه على بعض.

(١) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٢) نسبه في زاد المسير (١ / ٧١): الى ابن عباس ومقاتل، وذكر بقية الأقوال.

(٣) ويصح بالطاء (الترنجيبين) راجع لسان العرب: ١٠ / ٩٦، وهو ظل ينزل من الهواء ويجمع على أطراف الشجر في بعض البلدان، وقيل: هو ندى شبيه العسل جامد متحبب ينزل من السماء، وقيل: يشبه الكماة. أقول: ولعله ما يجنيه النحل من الشجر وهو ما يسمى بـ(غبار الطلع) إلى صغارها على شكل حبوب صغيرة بأرجلها، وهو غير العسل وغير الهلام الملكي.

(٤) مسند أحمد: ١ / ١٨٧.

عكرمة: طير يكون بالهند أكبر من عصفور، المؤرّخ: هو [المعسل] بلغه كنانه.
وقال شاعرهم:

وقاسمها بالله حقاً لأنتم الذّ من السلوى إذا ما نشورها^(١)
وكان يرسل عليهم المنّ والسلوى، يأخذ كل واحد منه ما يكفيه يوماً وليلة، وإذا كان يوم
الجمعة أخذ ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل إليهم يوم السبت، فذلك قوله: ﴿وأنزلنا عليكم
المنّ والسلوى كلوا﴾ أي وقلنا لهم كلوا.

﴿من طيبات﴾ حلالات. ﴿ما رزقناكم﴾ ولا تدّخروا لغد فخبأوا لغد فقطع الله عزّ وجلّ
ذلك عنهم ودود وفسد ما ادّخروا، فذلك قوله عزّ وجلّ ﴿وما ظلمونا﴾ ضرّونا بالمعصية.

﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يصرّون باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان
ينزل عليهم بلا كلفة ولا مؤونة، ولا مشقة في الدنيا، ولا تبعه ولا حساب في العقبى.

خلاس بن عمرو عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا بني إسرائيل لم يخزن
الطعام ولم يخبث اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها»^(٢) [٨٧].

﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ ابن عباس: هي أريحا وهي قرية الجبارين، وكان فيها قوم
من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عناق، وقيل: هي بلقا.

وقال ابن كيسان: هي الشام.

الضحّاك: هي الرملة والاردن وفلسطين وتدمر.

مجاهد: بيت المقدس. مقاتل: إيليا.

﴿وكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾ موسعاً عليكم.

﴿وادخلوا الباب﴾ يعني باباً من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب.

﴿سجّداً﴾ منحنيين متواضعين وأصل السجود الخضوع.

قال الشاعر:

بجمع يضلّ البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجّداً للحوافر^(٣)
وقال وهب: قيل لهم ادخلوا الباب، فاذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله عزّ وجلّ، وذلك

(١) كتاب العين: ٧ / ٢٩٨.

(٢) صحيح ابن حبان: ٩ / ٤٧٧.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٧.

﴿وإذ استسقى موسى لقومه﴾ السنين فيه: سين المسألة، مثل استعلم واستخبر ونحوهما، أي سأل السقيا لقومه وذلك أنهم عطشوا في التيه فقالوا: يا موسى من أين لنا الشراب، فاستسقى لهم موسى فأوحى الله عز وجل إليه:

﴿فلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ وكان من آس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان متقدتان في الظلمة نوراً واسمه غليق، وكان آدم ﷺ حمله معه من الجنة الى الأرض فتوارثته الأصاغر عن الأكابر حتى وصل الى شعيب فأعطاه لموسى.

﴿الحجر﴾ واختلفوا فيه، فقال وهب بن منبه: كان موسى ﷺ يقرع لهم أقرب حجر من عرض الحجارة فيتفجر منها لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطاً، ثم يسيل في كل عين جدول الى السبط الذي أمر سقيهم، ثم أنهم قالوا: إن فقد موسى عصاه، فأوحى الله تعالى الى موسى لا تفرعن الحجارة ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون.

فقالوا: كيف بنا لو أفضينا الى الرمل والى الأرض التي ليست فيها حجارة، فحمل موسى معه حجراً فحيث نزلوا ألقاه.

وقال الآخرون: كان حجراً مخصوصاً بعينه، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿الحجر﴾ فأدخل الألف واللام للتعريف مثل قولك: رأيت الرجل، ثم اختلفوا فيه ما هو.

فقال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً مثل رأس الرجل أمر أن يحمله وكان يضعه في مخلاته فإذا إحتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه.

وفي بعض الكتب: إنها كانت رخاماً.

وقال أبو روق: كان الحجر من الكدان وكان فيه اثنا عشرة حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فرات فأخذه، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يستسقى كل يوم ستمائة ألف.

وقال سعيد بن جبير: هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل حين رموه بالأدرة^(١) ففرّ الحجر بثوبه ومرّ به على ملاً من بني إسرائيل حتى ظهر إنه ليس بأدر، فلما وقف الحجر أتاه جبرئيل فقال لموسى: إن الله يقول إرفع هذا الحجر فإنّ فيه قدرة، فلك فيه معجزة، وقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّاه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾^(٢). فحمله موسى ووضعه في مخلاته فكان إذا إحتاج الى الماء ضربه بالعصا، وهو ما روي عن أبي هريرة إنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر

(١) الأدرة: نفخ في الخصيتين.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٩.

بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا إنه آدر قال: فذهب مرة يغتسل فوضع موسى ثوبه على حجر ففرّ الحجر بثوبه قال: فجمع موسى في أثره يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظر بنو إسرائيل الى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظر إليه وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً^(١).

فقال أبو هريرة: وقد رأينا بالحجر ندباً ستة أو سبعة أثر ضرب موسى.

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: كانت ضربة موسى اثني عشرة ضربة، وظهر على موضع كل ضربة مثل ثدي المرأة، ثم انفجر بالأنهار المطردة وهو قوله: ﴿فانفجرت﴾.

وفي الآية اضممار واختصار تقديرها: ضرب فانفجرت أي سالت، وأصل الانفجار: الانشقاق والانتشار، ومنه فجر النهار.

﴿منه اثنتا عشرة عينا﴾ قرأ العامة بسكون الشين على التخفيف، وقرأ العباس بن الفضل الأنصاري بفتح الشين على الأصل، وقرأ أبو [.....]^(٢) بكسر الشين.

﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ موضع شربهم ويكون بمعنى المصدر مثل المدخل، المخرج.

﴿كلوا واشربوا﴾ أي قلنا لهم: كلوا من المنّ، واشربوا من الماء؛ فهذا كلّه من رزق الله الذي بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة.

﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ يُقال: عثى يعثي عثياً، وعتا يعثو عثواً، وعات يعث عثياً وعتواً [بثلاث لغات] وهو شدة الفساد.

قال ابن الرّفاع:

لولا الحياء وأنّ رأسي قد عثا فيه المشيب لزرث أمّ القاسم^(٣)

﴿وإذ قلت يا موسى لن نصبر على طعام واحد﴾ الآية، وذلك أنهم ملّوا المنّ والسلوى وسئموها. قال الحسن: كانوا نتانى أهل كراث وأبصال وأعداس فنزعوا إلى عكرهم عكر السوء^(٤)، واشتاتت طباعهم إلى ما جرت عاداتهم عليه، فقالوا: لن نصبر على طعام واحد وكفّوا عن المنّ والسلوى، وإنما قالوا (واحد) وهما اثنان؛ لأن العرب تعبر عن اثنين بلفظ

(١) مسند أحمد: ٢ / ٣١٥.

(٢) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٣) زاد المسير: ٢ / ١٥٥.

(٤) العُكر: الأصل، وقيل العادة والديدن، والعكر بالتحريك: الصدا على السيف، راجع لسان العرب: ٤ /

الواحد، وبلفظ الواحد عن الاثني كقوله: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ﴾^(١)، وإنما يخرجان من المالح منهما دون العذب.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كانوا يعجنون المنّ والسلوى فيصير طعاماً واحداً فيأكلونه.

﴿فَادْعُ﴾ فسأل وادع. ﴿لَنَا﴾ لأجلنا. ﴿رَبِّكَ يَخْرِجُ لَنَا مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَثَائِهَا﴾ قراءة العامة بكسر القاف.

وقرأ يحيى بن وثاب، وطلحة بن مصرف، والأشيب العقبلي: وقثائها بضم القاف، وهي لغة تميم.

﴿وَفَوْمَهَا﴾: قال ابن عباس: الفوم: الخبز، تقول العرب: فوموا لنا، أي اختبزوا لنا.

عطاء وأبو مالك: هو الحنطة وهي لغة قديمة، قال الشاعر:

قد كنت أحسبني كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة فوم^(٢)
[.....]^(٣): هو الحبوب كلها.

الكلبي والنضر بن شميل والكسائي والمعرج: هو الثوم، وأشد المعرج لحسان:

وأنتم أناس لئام الأصول طعامكم الفوم والحوقل^(٤)
يعني الثوم والبصل؛ فالعرب تعاقب بين الفاء والثاء فتقول للصمغ العرفط: مغاثير ومغاير، وللقبر جدف وحدث، ودليل هذا التأويل أنها في مصحف عبدالله: وثومها.

﴿وَعَدْسُهَا وَبِصْلُهَا﴾ عن الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)

قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالعدس فإنه مبارك مقدس وإنه يُرَقِّقُ الْقَلْبَ وَيُكْثِرُ الدَّمْعَةَ، وَإِنَّ بَارَكَ فِيهِ سَبْعُونَ نَبِيًّا آخَرَهُمْ عِيسَى ﷺ» [٨٩]^(٥).

فقال لهم موسى عند ذلك: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾ وفي مصحف أبي: أتبدلون.

﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أخس وأردى.

حكى الفراء عن زهير العريقي: إنه قرأ (أدناء) بالهمزة، والعامة على ترك الهمزة، وقال

بعض النحاة: هو أدون فقدّمت النون وحوّلت الواو ياء كقولهم: أولى من الويل.

(١) سورة الرحمن: ٢٢.

(٢) تاج العروس: ٩ / ١٥.

(٣) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٤) تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٥.

(٥) تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٧.

﴿بالذي هو خير﴾ أشرف وأفضل، ومعناه: أتركون الذي هو خير وتريدون الذي هو شر، ويجوز أن يكون هذا الخير والشر منصرفين إلى أجناس الطعام وأنواعه، ويجوز أن يكونا منصرفين إلى اختيار الله لهم، واختيارهم لأنفسهم.

﴿اهبطوا مصراً﴾ يعني فإن أبيتم إلا ذلك فاهبطوا مصراً من الأمصار، ولو أراد مصر بعينها لقال: (مصر) ولم يصرفه كقوله ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله﴾^(١) وهذا معنى قول قتادة.

الضحاك: هي مصر موسى وفرعون.

وقال الأعمش: هي مصر التي عليها صالح بن علي ودليل هذا القول: قراءة الحسن وطلحة: (مصر) بغير تنوين جعلها معرفة، وكذلك هو في مصحف عبدالله وأبي بغير ألف، وإنما صرف على هذا القول لخفته وقلة حروفه مثل: دعد وهند وحمل ونحوها. قال الشاعر:

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلاً^(٢)
﴿فإن لكم ما سألتكم﴾ من نبات الأرض.

﴿وضُربت﴾ جعلت. ﴿عليهم﴾ وألزموا. ﴿الذلة﴾ الذل والهوان. قالوا: بالجزية، يدل عليه قوله: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(٣) وقال [.....]^(٤): هو الكستينج ووزنة اليهودية.

﴿والمسكنة﴾ يعني ذي الفقر. [فتراهم] كأنهم فقراء وأن كانوا مياسير، وقيل: المذلة وفقر القلب فلا يرى في أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود، والمسكنة مفعلة من السكون، ومنه سُميَ الفقير مسكيناً لسكونه وقلة حركاته. يُقال: ما في بني فلان أسكن من فلان، أي أفقر.

﴿وبآءوا بغضب من الله﴾ أي رجعوا في قول الكسائي وغيره. أبو روق: استحقوا والباء صلة.

أبو عبيدة: احتملوا وأقروا به، ومنه الدعاء المأثور: (أبوء بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، وغضب الله عليهم: ذمُّ لهم وتوعده إياهم في الدنيا، وإنزال العقوبة عليهم في العقبى، وكذلك بغضه وسخطه.

(١) سورة يوسف: ٩٩.

(٢) تفسير القرطبي: ٢ / ١٩٣، لسان العرب: ٥ / ١٧٥، والعبارة: (وجعل الشمس... الخ)..... فصلاً.

(٣) سورة التوبة: ٢٩.

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ بصفة محمد ﷺ وإنه الرحيم في التوراة والإنجيل والفرقان.

﴿ويقتلون﴾ قراءة العامة بالتخفيف من القتل، وقرأ السلمي بالتشديد من التقتيل.

﴿النبئين﴾ القراءة المشهورة بالتشديد من غيرهم، وتفرّد نافع بهمز النبیین، [ومدّه] فمن همز معناه: المخبر، من قول العرب: أنبأ النبي أنباءً، وتبأ ينبئ تنبئة بمعنى واحد، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا﴾^(١) ومن حذف الهمز فله وجهان: أحدهما: إنه أراد الهمز فحذفه طلباً للخفة لكثرة استعمالها، والوجه الآخر: أن يكون بمعنى الرّيق مأخوذ من النبؤة وهي المكان المرتفع، يقال: نبئ الشيء عن المكان، أي ارتفع^(٢).

قال الشاعر:

إنّ جنبي عن الفراش لناب كتجافي الأسرّ فوق الظراب^(٣)
وفيه وجه آخر: قال الكسائي: النبي بغير همز: الطريق، فسّمى الرسول نبياً، وإنما دقائق الحصا لأنه طريق إلى الهدى، ومنه قول الشاعر:

لاصبح رتما دقاق الحصى مكان النبي من الكائب^(٤)
ومعنى الآية: ويقتلون النبیین.

﴿بغير الحق﴾ مثل أشعيا وزكريا ويحيى وسائر من قتل اليهود من الأنبياء، وفي الخبر: إنّ اليهود قتلوا سبعين^(٥) نبياً من أوّل النهار [في ساعة واحدة، فقام مائة رجل واثنان عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمرؤا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من] آخر النهار [في ذلك اليوم]^(٦).

﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

﴿إنّ الذين آمنوا والذين هادوا﴾ يعني اليهود، واختلف العلماء في سبب تسميتهم به. فقال بعضهم: سمّوا بذلك لأنهم هادوا أي تابوا من عبادة العجل، كقوله أخباراً عنهم: ﴿إنّا هدنا إليك﴾^(٧).

(١) سورة التحريم: ٣. (٢) راجع تفسير القرطبي: ١ / ٤٣١.

(٣) كتاب العين: ٦ / ١٩٠.

(٤) كتاب العين: ٥ / ٣٥٢، والصحاح: ٦ / ٢٥٠١.

(٥) في المصدر: ثلاث وأربعين.

(٦) ما بين معكوفين زيادة عن تفسير الطبري: ٣ / ٢٩٤، وفي المخطوط العبارة مشوشة ولعلها: (وقامت عبادهم بقتلهم في).

(٧) سورة الأعراف: ١٥٦.

وأنشد أبو عبيدة:

إنّي امرؤ من مدحه هائد^(١)

أي تائب.

وقال بعضهم: لأنهم هادوا أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى. يُقال: هاد يهود هوداً: إذا مال. قال امرؤ القيس:

قد علمت سلمى وجاراتها^(٢) أني من الناس لها هائد
أي إليها مائل.

وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون: إنّ السموات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة.

وقرأ أبو السمّك العدوي واسمه قعب: هادوا بفتح الدال من المهادة، أي مال بعضهم إلى بعض في دينهم.

﴿والنصارى﴾ واختلّفوا في سبب تسميتهم بهذا الاسم، فقال الزهري: سمّوا نصارى لأنّ الحواريّين قالوا: نحن أنصار الله.

مقاتل: لأنهم تولوا قرية يُقال لها: ناصرة، فُنسبوا إليها.

وقال الخليل بن أحمد: النصارى: جمع نصران، كقولهم: ندمان وندامى.

وأنشد:

تراه إذا دار العشيّ محنّفاً ويضحى لربّه وهو نصران شامس^(٣)

فنسبت فيه ياء النسبة كقولهم لذي اللحية: لحياني، ورقابي لذي الرقبة.

فقال الزجاج: يجوز أن يكون جمع نصري كما يُقال: بغير حبري، وإبل حباري، وإنما سمّوا نصارى لاعتزائهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى وأمه.

﴿والصّابئين﴾ قرأ أهل المدينة بترك الهمزة من الصّابئين والصّابئون الصّابين والصّابون في

جميع القرآن، وقرأ الباقون بالهمز وهو الأصل، يُقال: صبا يصبوا صبوءاً، إذا مال وخرج من دين إلى دين.

(١) لسان العرب: ٣ / ٤٣٩.

(٢) كتاب العين: ٥ / ٩٦: والعبارة كالتالي:

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٥٤.

قال الفراء: يُقال لكل من أحدث ديناً: قد صبأ وأصبأ بمعنى واحد، وأصله الميل، وأنشد:

إذا أصبأت هوادي الخيل عتاً حسبت بنحرها شرق البعير
واختلفوا في الصابئين من هم:

قال عمر: هم طائفة من أهل الكتاب ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب، وبه قال السدي.
وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم.

وقال مجاهد: هم قبيلة نحو الشّام بين اليهود والمجوس لا دين لهم^(١).

وقال السدي: هم طائفة من أهل الكتاب، وهو رأي أبي حنيفة.

وقال قتادة ومقاتل: هم قوم يقرّون بالله عزّ وجلّ، ويعبدون الملائكة، ويقرأون الزبور ويصلّون إلى الكعبة، أخذوا من كل دين شيئاً.

الكلبي: هم قوم بين اليهود والنصارى، يحلقون أوساط رؤوسهم ويحبّون ذاكهم.

عبد العزيز بن يحيى: درجوا وانقرضوا فلا عين ولا أثر.

﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ اختلفوا في حكم الآية ومعناها، ولهم فيها طريقتان:

أحدهما: إنّه أراد بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على التحقيق وعقد التصديق، ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين من هم؟ فقال قوم: هم الذين آمنوا ببعيسى ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبوا، وانتظروا خروج محمد ﷺ.

وقال آخرون: هم طلاب الدين، منهم: حبيب النجار، وقيس بن ساعدة، وزيد بن عمرو ابن نفيل، وورقة بن نوفل، والبراء السندي، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ويحيى الراهب، ووفد النجاشي. آمنوا بالنبي ﷺ قبل مبعثه، فمنهم من أدركه وتابعه، ومنهم من لم يدركه.

وقيل: هم مؤمنو الأمم الماضية.

وقيل: المؤمنون من هذ الأمة.

﴿والذين هادوا﴾ يعني الذين كانوا على دين موسى ﷺ ولم يبدلوا ولم يغيروا.

﴿والنصارى﴾: الذين كانوا على دين عيسى ﷺ ولم يبدلوا وماتوا على ذلك.

قالوا: وهذان اسمان لزمانهم زمن موسى وعيسى (عليهما السلام)، حيث كانوا على الحق

فبقي الاسم عليهم كما بقي الإسلام على أمة محمد ﷺ والصابئين زمن استقامتهم من آمن منهم أي مات منهم وهو مؤمن؛ لأن حقيقة الإيمان المؤاخاة.

قال: ويجوز أن تكون الواو فيه مضمراً: أي ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة.

والطريق الآخر: إن المذكورين في أول الآية بالإيمان إنما هو على طريق المجاز والتسمية دون الحكم والحقيقة، ثم اختلفوا فيه:

فقال بعضهم: إن الذين آمنوا بالأنبياء الماضين والكتب المتقدمة ولم يؤمنوا بك ولا بكتابك.

وقال آخرون: يعني به المنافقين أراد: إن الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾، والذين هادوا: أي اعتقدوا اليهودية وهي الدين المبدل بعد موسى ﷺ، والنصارى: هم الذين اعتقدوا النصرانية والذين المبدل بعد عيسى، والصابئين: يعني أصناف الكفار من آمن بالله من جملة الأصناف المذكورين في الآية.

وفيه اختصار وإضمار تقديره: من آمن منهم بالله واليوم الآخر؛ لأن لفظ (من) يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث.

قال الله تعالى: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾^(١) ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾^(٢) ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾^(٣). قال ﴿ومن يفتن منكن لله ورسوله﴾^(٤)، وقال الفرزدق في التشبيه:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني تكن مثل من ناديت يصطحبان^(٥)
﴿ولا خوف عليهم﴾ فيما قدموا.

﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما خلفوا، وقيل: لا خوف عليهم بالخلود في النار، ولا يحزنون بقطيعه الملك الجبار، ولا خوف عليهم من الكبار وإني أغفرها، ولا هم يحزنون على الصغائر فأني أكفرها.

وقيل: لا خوف عليهم فيما تعاطوا من الإجماع، ولا هم يحزنون على ما اقترفوا من الآثام لما سبق لهم من الإسلام الآثام.

(١) سورة الأنعام: ٢٥.

(٢) سورة يونس: ٤٣.

(٣) سورة يونس: ٤٢.

(٤) سورة الأحزاب: ٣١.

(٥) لسان العرب: ١٣ / ٤١٩.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمَلْنَاهَا تَكْدِيلًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقْنَاهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَجِدْنَا حُرًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آذِنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آذِنْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا كُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا آذِنْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمَنْ نَسَا فَأَدْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ يُرِيدُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَيْدَكُمْ ﴿٧٣﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يا معشر اليهود. ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم. وقالوا: ليس من لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن. وقال أبو عبيدة والحُدَّاق من العلماء: لا يجوز أن تكون في القرآن لغة غير لغة العرب؛ لأن الله تعالى قال: ﴿قرآنًا عربيًّا﴾^(١) وقال: ﴿بلسان عربي مبين﴾^(٢) وإنما هذا وأشباهه وفاق بين اللغتين.

وقد وجدنا الطور في كلام العرب، وقال جرير:

فإن ير سليمان الجنَّ يستأنسوا بها
وإن ير سليمان أحب الطور ينزل
وقال المفسرون: وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى وأمر قومه بالعمل بأحكامه فأبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها للأضرار والأثقال التي فيها، وكانت شريعته ثقيلة فأمر الله تعالى جبرئيل عليه السلام بوضع جبلاً على قدر عسكره وكان فرسخاً في فرسخ ورفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل.

أبو صالح عن ابن عباس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلة.

عطاء عن ابن عباس: رفع الله فوق رؤوسهم الطور وبعث ناراً من قبل وجوههم وأتاهم

(١) سورة يوسف: ٢، سورة طه: ١١٣، سورة الزمر: ٢٨، سورة فصلت: ٣، سورة الشورى: ٧، سورة الزخرف: ٣.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٥

البحر الملح من خلفهم وقيل لهم: ﴿خذوا ما آتيناكم﴾ أي أعطيناكم.

﴿بقوة﴾ بجدّ ومواظبة. وفيه إضمار، أي: وقلنا لهم: خذوا.

﴿واذكروا ما فيه﴾ أي احفظوه واعلموه واعملوا به و (في) حرف أولي فاذكروا بذال مشددة وكسر الالف المشددة و (في) حرف وانه وتذكروا ما فيه ومعناها اتعظوا به ﴿لعلمكم تتقون﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فإن قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به وإلا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في البحر وأحرقتكم بهذه النار، فلما رأوا أن لا مهرب لهم قبلوا لك وسجدوا خوفاً وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدوا، فصارت سنة في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا: يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك.

﴿ثم توليتهم﴾ أعرضتم وعصيتهم.

﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد أخذ الميثاق ورفع الجبل.

﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بتأخير العذاب عنكم.

﴿لكنتم من الخاسرين﴾ لصرتهم من المغلوبين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة.

﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ وذلك أنهم كانوا من داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان إذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرج خراطيمهم من الماء لأمنها، فإذا مضى السبت تفرّقوا ولزمن البحر فذلك قوله تعالى: ﴿إذ أتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستونون لا أتيتهم﴾ فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه إليها الأنهار فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا تطيق الخروج لبعدها وعمقها وقلة الماء فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا ينصبون الحبال والشصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زماناً فكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة، فقسّت قلوبهم وأصروا على الذنب، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أحلّ لنا، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية - وكانوا سبعين ألفاً - ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الذين نهوا إثنا عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قال الناهون: والله لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسّموا القرية بجدار وغيروا بذلك سنتين فلعنهم داود وغضب الله عزّ وجلّ عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا أبوابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطأوا تسوّروا عليهم الحائط فإذا هم جميعاً قرده فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا فذلك قول عزّ وجلّ ﴿فقلنا لهم كونوا قردة﴾ أمر تحويل.

﴿خاسئين﴾ مطرودين صاغرين بلغة كنانة، قاله مجاهد وقتادة والربيع.

قال أبو روق: يعني خرساً لا يتكلمون، دليله قوله عز وجل ﴿قال اخسثوا فيها ولا تكلمون﴾^(١).

وقيل: مبعدون من كل خير.

﴿فجعلناها﴾ أي القردة، وقيل: القرية، وقيل: العقوبة.

﴿نكالاً﴾ عقوبة وعبرة وفضيحة شاهرة، وأصله من النكل وهو القيد، وجمعه أنكال، ويقال للجام نكل.

﴿لما بين يديها وما خلفها﴾ قال أبو العالية والربيع: معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لما بعدهم.

قتادة: جعلنا تلك العقوبة جزاءً لما تقدّم من ذنوبهم قبل نهيهم عن الصّيد وما خلفها من العصيان بأخذ الحيتان بعد التّهي.

وقيل: لما بين يديها من عقوبة الآخرة وما خلفها من نصيحتهم في دنياهم فيذكرون بها إلى يوم قيام الساعة.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير؛ وتقديرها: فجعلناها وما خلفها ممّا أعدّ لهم من العذاب في الآخرة نكالاً وجزاءً لما بين يديها: أي لما تقدّم من ذنوبهم في اعتدائهم يوم السبت.

﴿وموعظة﴾ عظة وعبرة. ﴿للمتقين﴾ للمؤمنين من أمة محمّد ﷺ فلا يفعلون مثل فعلهم.

﴿وإذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ الآية: وذلك إنّّه وجد قتيل في بني إسرائيل اسمه عاميل ولم يدروا قاتله واختلفوا في قاتله والسبب في قتله فقال عطاء والسدي: كان في بني إسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلمّا طال عليه موته قتله ليرثه.

وقال بعضهم: وكان تحت عاميل بنت عم له لم يكن لها مثلاً في بني إسرائيل بالحسن والجمال فقتله ابن عمّه لينكحها.

وقال ابن الكلبي: قتله ابن أخيه لينكح إبنته فلمّا قتله حمله من قريته إلى قرية أخرى وألقاه هناك.

وقيل: ألقاه بين قريتين.

عكرمة: كان لبني إسرائيل مسجد له إثنا عشر باباً لكلّ سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط.

قيل: وجرّ إلى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان.

وقال ابن سيرين: قتله القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب بثأره ودمه ويدّعيه عليه. قال: فجاء أولياء القتل إلى موسى وأتوه بناس وادّعوا عليهم القتل وسألوا القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجددوا فاشتبه أمر القتل على موسى ووقع بينهم خلاف.

وقال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعوا الله لبيّن لهم ذلك فسأل موسى ربّه فأمرهم بذبح بقرة. فقال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾.

﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا هَزْوَاً﴾ يا موسى أي أتستهزيء بنا حين نسألك عن القتل وتأمّرنا بذبح البقرة وإنّما قالوا ذلك لتباعد الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه.

وقرأ ابن محيصة: أَيْتَخَذْنَا بِالْيَاءِ قَالَ: يَعْنُونَ اللَّهَ وَلَا يَسْتَبْعِدُ هَذَا مِنْ جَهْلِهِمْ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ قَالُوا ﴿إِجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾^(١).

وفي هذا ثلاثة لغات هزواً: بالتخفيف والهمز ومثله كُفواً وهي قراءة الأعمش وحمزة وخلف وإسماعيل.

وهزواً وكفواً مثقلان مهموزان وهي قراءة أبي عمرو وأهل الحجاز والشام واختيار الكسائي وأبي عبيد وأبي حاتم.

وهزواً وكفواً مثيلان بغير همزة وفي رواية حفص بن سليمان البرّاز عن عاصم وكلّها لغات صحيحة معناها الاستهزاء فقال لهم موسى ﷺ: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم إنّ ذبح البقرة عزم من الله عزّ وجلّ سأله الوصف.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ لِنُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ﴾ ولو أنّهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم وإنّما كان تشديدهم تقديراً من الله عزّ وجلّ وحكمة، وكان السبب في ذلك على ما ذكره السّدي وغيره.

إنّ رجلاً في بني إسرائيل كان باراً بأبيه وبلغ من برّه به إنّ رجلاً أتاه بلؤلؤة فأبتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل فقال للبائع أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمهلني حتّى يستيقظ وأعطيك الثمن. قال: فأيقظ أباك واعطني المال. قال: ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف فانتظرنني حتّى ينتبه أبي.

فقال الرّجل: فأنا أعطيتك عشرة آلاف إنّ أيقظت أباك وعجلت التقدي. قال: وأنا أزيدك عشرين ألفاً إنّ انتظرت إنتباه أبي. ففعل ولم يوقظ الرجل أباه فأعقبه برّه بأبيه أن جعل تلك البقرة عنده وأمر بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها.

قال ابن عباس ووهب وغيرهما: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وكان له عجل فأتى بالعجل الى غيضة وقال: اللهم إني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فسيبت العجلة في الغيضة وصارت عواناً وكانت تهرب من كل من رامها. فلما كبر الابن كان باراً بوالدته وكان الليلة يقسم ثلاثة أثلاث: يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثاً، وقالت له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها الله عز وجل فانطلق إليها فأدعُ اله ابراهيم واسماعيل وإسحاق بأن يردها عليك، وان من علامتها إنك إذا نظرت إليها يخيّل إليك إن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى وقال: أعزم عليك بأله ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة بأذن الله وقالت: أيها الفتى البار بوالدته إركبني فإن ذلك أهون عليك. فقال الفتى، إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذها بعنقها فقالت البقرة: بأله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبداً فأنطلق فأنتك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بوالدتك. وسار الفتى فاستقبله عدو الله إبليس في صورة راع فقال: أيها الفتى إني رجل من رعاة البقر إشتقت إلى أهلي فأخذت ثوراً من ثيرانني فحملت عليه زادي ومتاعي حتى إذا بلغت شطر الطريق ذهبت لأقضي حاجتي صعداً وسط الجبل وما قدرت عليه وإني أخشى على نفسي الهلاك، فإن رأيت أن تحملني على بقرتك وتتجني من الموت واعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال: إذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين بلغك بلا زاد ولا راحلة فقال إبليس: فإن شئت فبعنيها بحكمك، وإن شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة مثلها فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بهذا فبيننا الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدي البقرة ونفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعاها الفتى بأسم آله ابراهيم فرجعت إليه البقرة فقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر إلى الطائر الذي طار إنّه إبليس عدو الله إختلسني أمّا إنّه لو ركبني لما قدرت عليّ أبداً فلما دعوت آله ابراهيم جاء ملك فانتزعني من يد إبليس وردني إليك لبرك بوالدتك وطاعتك لها.

فجاء بها الفتى إلى أمه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك ويشقّ عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها. قال بكم أبيعها؟

قالت: بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي وكانت ثمن البقرة في ذلك الوقت فانطلق بها الفتى إلى السوق فبعث الله ملكاً إنساناً خلقه بقدرته ليخبر الفتى كيف برّه بوالدته وكان الله به خبيراً فقال له الملك: بكم تباع هذه البقرة؟

قال: بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا والدتي. فقال الملك: ستة دنانير ولا تستأمر أمك.

فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا أمي فردّها إلى أمه وأخبرها بالثمن فقالت: ارجع فبعها ستّة على رضي فإنطلق الفتى بالبقرة إلى السوق وأتى الملك وقال: استأمرت والدتك؟

فقال الفتى: أنّها أمرتني أن لا أنقصها من ستة على أن أستأمرها. قال الملك: فأني أعطيك إثني عشر على أن لا تستأمرها.

فأتى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك قالت: إنّ ذلك الرجل الذي يأتيك ويعطيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليجربك فإذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟

ف فعل ذلك فقال له الملك: إذهب إلى أمك وقل لها بكم هذه البقرة؟ فإنّ موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني إسرائيل فلا تبيعوها إلاّ بملء مسكها دنانير فأمسكوا البقرة، وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها وأمرهم بها فقالوا يستوصفون ويصف لهم حتّى وصف تلك البقرة بعينها موافاة له على برّه بوالدته فضلاً منه.

فضلاً منه ورحمة وذلك قوله عزّ وجلّ ﴿أدع لنا ربك﴾ أيّ سل وهكذا هو في مصحف عبدالله، سلّ لنا ربك يبين لنا ماهي؟ وما سنّها؟

قال موسى: إنّهُ يُعني إن الله يقول: ﴿إنّها بقرة لا فارض ولا بكر﴾ لا كبيرة ولا صغيرة وارتفع البكر والفاضر بأضمار هي إذ لا هي فارض ولا هي بكر.

مجاهد وأبو عبيدة والأخفش: الفارض الكبيرة المسنّة التي لا تلد يقال له: فرضت - تفرض - فروضاً.

قال الشاعر:

كملت بهيم اللون ليس بفارض ولا بعوان ذات لون مخصف^(١)
وقال الرّاجز:

يا ربّ ذي ضغن عليّ فارض له قروء كقروء الحائض^(٢)
أيّ حقد قديم، والبكر: الفتية الصغيرة التي لم تلد قط.

وقال السّدي: البكر: التي لم تلد إلاّ ولداً واحداً وحذف الحاء منها للاختصاص.

﴿عوان﴾ نصف بين سنين، وقال الأخفش: العوان التي نتجت مراراً وجمعه عون، ويُقال منه: عونت تعويناً.

(١) تفسير القرطبي: ١ / ٤٤٩، لسان العرب: ٧ / ٢٠٤.

(٢) أحكام القرآن للجصاص: ١ / ٤٤١.

﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ من ذبح البقرة ولا تكررُوا السؤال.

﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾ محل (ما) رفع بالأبتداء و ﴿لونها﴾ خبر، وقرأ الضحاك ﴿لونها﴾ نصباً كأنه عمل فيه لسبيين وجعل ما صلة.

﴿قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾.

قال ابن عباس: شديد الصفرة وقال عدي بن زيد:

واني لأسقي الشرب صفراً فاقعاً كأن ذكي المسك فيها يعبق
قتادة وأبو العالية والربيع: صاف.

سعيد بن جبير: صفراء اللون والظلف.

الحسن: السوداء، والعرب تسمى الأسود أصفر. قال الأعشى:

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب^(١)
قال القتبي: غلط من قال الصفراء هاهنا السوداء؛ لأنّ هذا غلط في نعوت البقر.

وإنّما هو في نعوت الإبل؛ وذلك أنّ السوداء من الإبل شربت سوادها صفرة، والآخر إنّه لو اراد السوداء لما أكده بالفقوع لأنّ الفاقع المبالغ في الصفرة. كما يُقال: أبيض يفق وأسود حالك وأحمر قاني وأخضر ناضر.

﴿تسرّ الناظرين﴾ إليها وتعجبهم من حسنها وشفاء لونها؛ لأنّ العين تُسر وتولع بالنظر إلى الشيء.

الحسن قال: من لبس نعلأ صفراء قلّ همّه^(٢) لأنّ الله يقول: صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أسائمة أم عاملة.

﴿إنّ البقر﴾ هذه قراءة العامة، قرأ محمد ذو الشامة الأموي إنّ الباقر وهو جمع البقر كالجامل لجماعة الجمل وقال الشاعر:

مالي رأيتك بعد عهدك موحشاً خلقاً كحوض الباقر المتهدّم
قال قطرب: تجمع البقرة - بقرة، وبقار، وبقير، وبقور، وبقاور. فأن قيل: لما قال تشابه

والبقر جمع فلم يقل تشابهت؟ قيل فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: إنّه ذكر لتذكير بلفظ البقر، كقوله ﴿كأنّهم أعجاز نخل منقعر﴾^(٣).

(١) لسان العرب: ١ / ٣٥٥.

(٢) نسبة في تذكرة الموضوعات لابن عباس: ١٥٨.

(٣) سورة القمر: ٢٠.

وقال المبرد: سُئل سيويه عن هذه الآية؟

[فقال:] كل جمع حروفه أقل من حروف واحد فإنّ العرب تُدكّره، واحتج بقول الأعشى:

ودّع هريرة إن الرّكب مرتحل

ولم يقل مرتحلون، وقال الزجاج: معناه إنّ جنس البقر تشابه علينا.

﴿تشابه علينا﴾ وفي تشابه سبع قراءات:

تشابه: بفتح التاء والهاء وتخفيف الشين وهي قراءة العامة وهو فعل ماض ويذكر موحد.

وقرأ الحسن: تشابه: بقاء مفتوحة وهاء مضمومة وتخفيف الشين اراد تشابه.

وقرأ الأعرج: تشابه: بفتح التاء وتشديد الشين وضم الهاء على معنى يتشابه.

وقرأ مجاهد: تشبه، كقراءة الأعرج إلاّ أنّه بغير ألف لقولهم: تحمل وتحامل.

وفي مصحف أبي: تشابهت على وزن تفاعلت [فالتاء] لتأنيث البقر.

وقرأ ابن أبي إسحاق: تشابهت بتشديد الشين قال أبو حاتم: هذا غلط لأنّ التاء لا تدغم

في هذا الباب إلاّ في المضارعة^(١).

وقرأ الأعمش: متشابه علينا - جعله اسماً.

ومعنى الآية: إلتبس واشتبه أمره علينا فلا نهدي إليه.

﴿وإنّا إن شاء الله لمهتدون﴾ إلى وصفها.

قال رسول الله ﷺ: «وأيم الله لئن لم يستبينوا لما تبينت لهم آخر الأبد» [٩٠].

﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ مدلّلة بالعمل - يُقال: رجل ذليل بين الذلّ، ودابة ذلولة

بيّنة الذلّ.

﴿تثير الأرض﴾ أي مثلها للزراعة.

﴿ولا تسقي الحرث مُسلمة﴾ بريئة من العيوب، وقال الحسن: مسلمة القوائم ليس فيها أثر

العمل.

﴿لا شية فيها﴾ قال عطاء: لا عيب فيها.

قال قتادة: لا يياض فيها أصلاً.

مجاهد: لا يياض فيها ولا سواد.

(١) راجع تفسير القرطبي: ١ / ٤٥٢.

محمد بن كعب: لا لون فيها يخالف معظم لونها.

فلما قال هذا ﴿قالوا الآن جنت بالحق﴾ أي بالوصف التام اليبين.

قيل: كانت البقرة التي أحيا بها القتييل لوارثه الذي قتله، وكان أول من فتح السؤال عنها رجاء أن لا يجدوها فطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلا عند الفتى البار. فاشتروها منه بماء مسكنها ذهباً.

وقال السدي: اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً.

﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ من غلاء ثمنها.

وقال محمد بن كعب: وما كادوا يجدونها بإجتمع أوصافها.

﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ يعني عاميل، وهذه الآية أول القصة.

﴿فادارأتم﴾ فاختلقتم ﴿فيها﴾ قاله ابن عباس ومجاهد ومنه قول القائل في رسول الله ﷺ:

كان يُزكي فكان خير شريك لا يداري ولا يُماري.

قال الضحاك: اختصمتم.

عبد العزيز بن يحيى: شككتم.

الربيع بن أنس: تدافعتم، وأصل الدراء: الدفع يعني ألقى ذلك على هذا وهذا على ذلك؛ فدافع كل واحد عن نفسه كقوله تعالى ﴿ويدرون بالحسنة السيئة﴾^(١)، وقوله ﴿ويدراً عنها العذاب﴾^(٢)، وأصل قوله [.....]^(٣) والباء صلة.

أبو عبيدة: احتملوا وأقروا به، ومنه الدعاء المأثور [.....]^(٤) وأصل: فادارأتم فتدارأتم فأدغمت التاء في الدال وادخلت الألف ليسلم سكون الحرف الأولي بمثل قوله ﴿أناقتم﴾^(٥).

﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ تخفون.

﴿فقلنا اضربوه﴾ يعني القتييل.

﴿ببعضها﴾ أي ببعض البقرة: فاختلّفوا في هذا البعض ما هو؟

(١) سورة الرعد: ٢٢، سورة القصص: ٥٤.

(٢) سورة النور: ٨.

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) كلمة غير مقروءة.

(٥) سورة التوبة: ٣٩.

فقال ابن عباس: اضربوه بالعظم الذي يلي الفخذين وهو المقتل.

الضحاك: بلسانها. قال الحسين بن الفضل: وهذا أولى الأفاويل لأن المراد كان من احياء القتل كلامه واللسان آله.

سعيد بن جبير: ضربت بذنبها. قال يمان: وهو أولى التأويلات بالصواب لأن العصص أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وأنه أول ما يخلق وآخر ما يُبلى.

مجاهد: بذنبها.

عكرمة والكلبي: بفخذها الأيمن.

السدي: بالبضعة التي بين كتفيها، وقيل: باذنها.

ففعّلوا ذلك فقام القتل حياً بإذن الله وأوداجها تشخب دمًا وقال: قتلني فلان. ثم سقط ومات مكانه، وفي الآية اختصار، وتقديرها: فقلنا اضربوه ببعضها فضرب فحيي كقوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١) يعني فافطر فعده، وقوله ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾^(٢) أي فخلق ففدية.

﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ كما أحيّا عامل بعد موته كذلك يُحيي الله الموتى.

﴿ويُريكم آياته﴾ دلائل آياته. ﴿لعلكم تعقلون﴾ وقال الواقدي: كل شيء في القرآن فهو بمعنى لكي غير التي في الشعراء: ﴿وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾^(٣) فإنه بمعنى: كأنكم تخلدون فلا تموتون.

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾
 ﴿أَنْظِمُوهُمْ أَنْ يَوْمُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَإِذَا لَفُوا الزَّيْنَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُدِهِمْ إِلَى بَعْضِهِمْ قَالُوا أَتَعَدُّوهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسَوْنَ وَمَا يُكْتَبُونَ ﴿٧٩﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا وَإِنَّهُمْ إِلَّا يظنون ﴿٨٠﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ نَفْسًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يُكْتَبُونَ ﴿٨١﴾

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) سورة البقرة: ١٩٦.

(٣) سورة الشعراء: ١٢٩.

﴿ثم قست قلوبكم من بعد﴾ قال الكلبي: قالوا بعد ذلك لم تقتله، وأمكروا فلم يكونوا قط أعمى قلباً ولا أشد تكذيباً لنبيهم منهم عند ذلك قال الله: ﴿ثم قست قلوبكم﴾ الكلبي وأبو روق: يبست واشتدت وقال سائق البربري:

ولا ارى أثراً للذكر في جسدي والحبل في الجبل القاسي له أثر
أبو عبيدة: جفت.

الواقدي: جفت من الشدة فلم تلن.

المؤرخ: غلظت، وقيل: اسودت.

قال الزجاج: تأويل القسوة ذهاب اللين، [وقال سيبويه] والخشوع والخضوع.

﴿ذلك﴾ أي بعد ظهور الدلالات.

﴿فهي﴾ غلظها وشدتها.

﴿كالحجارة أو أشد قسوة﴾ أي بل أشد قسوة كقول الشاعر:

[بدت] مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أو أنت في العين أملح^(١)

أي بل، وقيل: هو بمعنى الواو والألف صلة أي وأشد قسوة. كقوله تعالى ﴿أثماً أو كفوراً﴾^(٢) أي وكفوراً.

وقرأ أبو حياة: أو أشد قساوة، وقال الكسائي: القسوة والقساوة واحد كالشقوة والشقاوة ثم عذر الحجارة وفضلها على القلب القاسي فقال ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ وقرأ مالك بن دينار يتفجر بالنون كقوله ﴿فانفجرت﴾^(٣)، وفي مصحف أبي: منها الأنهار - ردة الكناية إلى الحجارة -.

﴿وأنّ منها لما يشقق﴾ أي يتشقق هكذا قرأها الأعمش.

﴿فيخرج منه الماء وأنّ منها لما يهبط﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله.

﴿من خشية الله﴾ عزّ وجلّ وقلوبكم يا معاشر اليهود لا تلين ولا تخشع ولا تأتي بخير.

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وعيد وتهديد أي بتارك عقوبة ما تعملون بل يجازيكم به.

﴿أفتطمعون﴾ أي فترجون يعني محمّد ﷺ وأصحابه.

(١) مجمع البيان: ٢٨١/١.

(٢) سورة الإنسان: ٢٤.

(٣) سورة البقرة: ٦٠.

﴿أن يؤمنوا لكم﴾ لن يصدّقكم اليهود.

﴿وقد كان فريق منهم﴾ طائفة منهم.

﴿يسمعون كلام الله﴾ يعني التوراة.

﴿ثم يحرفونه﴾ أي يُغيرونه أي ما فيه من الأحكام.

﴿من بعد ما عقلوه﴾ علموه وفهموه كما غيروا آية الرّجم وصفه محمّد ﷺ.

﴿وهم يعلمون﴾ إنهم كاذبون - هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة ووهب والسّدي.

وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت هذه الآية في السبعين المختارين؛ وذلك إنهم لما ذهبوا مع موسى إلى الميقات وسمعوا كلام الله وما يأمره وما ينهاه رجعوا إلى قومهم فأما الصادقون فأدّوا كما سمعوه وقالت طائفة منهم: سمعنا الله في آخر كلامه يقول: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا فإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس.

﴿وإذا لقوا﴾ قرأ ابن السّميق لاقوا: يعني مناقبي اليهود.

﴿الذين آمنوا﴾ بألسنتهم لا بقلوبهم أبا بكر وأصحابه من المؤمنين.

﴿قالوا آمنا﴾ كإيمانكم وشهدنا أنّ محمداً صادق نجاه في كتابنا بنعته وصفته.

﴿وإذا خلا﴾ رجع بعضهم إلى بعض أي كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد ووهب بن

يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود ولا مؤهم على ذلك و - ﴿قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ قال الكلبي: بما قضى الله عليكم في كتابكم أنّ محمداً حق وقوله صدق، وقال القاضي الفتح الكسائي: بما بيّنه لكم في كتابكم [من العلم ببعث محمد والبشارة به].

الواقدي: بما أنزل الله في الدنيا والآخرة عليكم نظير ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾^(١) أي أنزلناه.

أبو عبيدة والأخفش: بما منّ الله عليكم وأعطاكم.

﴿ليحاجّوكم﴾ ليخاصموكم ويحتجوا بقولكم عليكم [يعني أصحاب محمدا].

﴿به عند ربكم﴾ وقال بعضهم: هو أنّ الرجل من المسلمين كلما يلقي قرينه وحليفه وصديقه من اليهود فيسأله عن أمر محمّد ﷺ فيقولون إنّه لحق [فيقولون قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثمّ تتبعونه] وهو نبيّ. فيرجعون إلى رؤسائهم فيلومونهم على ذلك.

قال السّدي: كان ناس من اليهود آمنوا ثمّ نافقوا وكان يحدثون المؤمنين بما عُذبوا به -

فقال لهم رؤسائهم: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أي أنزل من العذاب ليغيروكم به ويقولوا: نحن أكرم على الله منكم.

[ابن جرير عن] القاسم بن أبي برة: هذا قول يهود قريظة بعضهم لبعض حين سبهم النبي ﷺ: فقال: يا إخوان القردة والخنازير وعبدة الطاغوت، فقالوا: من أخبر محمداً بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم.

﴿أفلا تعقلون﴾ أفليس لكم ذهن الإنسانيّة.

قال الله ﴿أولا يعلمون أنّ الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ ما يخفون وما يدون يعني اليهود، وقرأ ابن محيصن «ما» على الخطاب ﴿ومنهم﴾ من اليهود.

﴿أمّيون﴾ قال ابن عباس وقتادة: يعني غير عارفين معاني الكتاب. يعلمونه حفظاً وقراءة بلا فهم ولا يدرون ما فيه.

وقال الكلبي: لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته ودليل هذا التأويل قول النبي ﷺ: «إنا أمة أمّية لا نكتب ولا نحاسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا» [٩١].

وقال أهل المعاني: الأمّي منسوب إلى الأمة وما عليه العامة معنى الأمّي: العامي الذي لا تمييز له، أو هو جمع أمّي منسوب إلى الأمّ كأنه باق على [الحقيقة] حذفت منه هاء التأنيث لأنّها زائدة وباء النسبة زائدة، ونقلت فرقا بينها وبين بياء الأضافة.

﴿لا يعلمون الكتاب إلا أمانتي﴾ قرأ العامة بتشديد الياء.

وقرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة والأعرج ﴿أمانتي﴾ بتخفيف الياء في كلّ القرآن حذفوا إحدى اليائين استحقاقاً وهي بياء الجمع مثل مفاتيح ومفاتيح.

وقال أبو حاتم: كل جمع من هذا الجنس واحد مشدّد فلك فيه التّضعيف والتشديد مثل فخاتي وأماني وأغاني وغيرها واختلفوا في معنى الأمانتي، وقال الكلبي بمعنى لا يعلمون إلا ما تحدّثهم بهم علماؤهم.

أبو روق وأبو عبيدة: تلاوة وقراءة على ظهر القلب ولا يقرؤونها في الكتب، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾^(١) وقرآنه.

قال الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة وأخرها لاقى حمام المقادر

مجاهد وقتادة: كذباً وباطلاً.

الفراء: الأماي: الأحاديث المفتعلة.

قال بعض العرب لابن [دلب]: أهدأ شيء رويته أم تمنيته؟

وأراد بأماي الأنبياء التي كتبها علماؤهم من قبل أنفسهم ثم أضافوها إلى الله عز وجل من تغيير نعت محمد ﷺ.

الحسن وأبو العالية: يعني يتمنون على الله الباطل والكذب مثل قولهم ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾^(١) وقولهم: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً﴾^(٢)، وقولهم ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾^(٣).

﴿وإن هم﴾ ما هم. ﴿إلا يظنون﴾ ظناً ووهماً لا حقيقة ويقيناً قاله قتادة والزبيح.

وقال مجاهد: [...] يكذبون].

﴿فويل﴾ روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ إلى قعره» [٩٢].

سعيد بن المسيب: واد في جهنم لو سرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حرها.

ابن بريدة: جبل من قيح ودم.

ابن عباس: شدة العذاب.

ابن كيسان: كلمة يقولها كل مكروب.

الزجاج: كلمة يستغلها كل واقع في الهلكة وأصلها العذاب والهلاك.

وقيل: هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والثبور.

﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ وذلك إن أحبار اليهود خافوا ذهاب ملكهم وزوال رئاستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة واحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة وكان صفته فيها حسن الوجه، حسن الشعر، أكحل العين، ربة غيروها وكتبوا مكانها طويل أزرق، سبط الشعر. فإذا سألهم سفلتهم عن محمد ﷺ قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فيكذبونه قال الله تعالى: ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾ من تغيير نعت محمد.

(١) سورة البقرة: ٨٠.

(٢) سورة البقرة: ١١١.

(٣) سورة المائدة: ١٨.

﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ من المأكول ولفظة الأيدي للتأكيد كقولهم مشيت برجلي ورأيت بعيني. قال الله تعالى: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾^(١).
قال الشاعر:

نظرت فلم تنظر بعينك منظرأ

وقال أبو مالك: نزلت هذه الآية في الكاتب الذي يكتب لرسول الله ﷺ وقد كان قرأ البقرة وآل عمران، وكان النبي ﷺ يملي: غفوراً رحيماً، فيكتب: عليمأً حكيمأً، فيقول له النبي ﷺ: «اكتب كيف شئت» ويملي عليه: عليمأً حكيمأً، فيكتب: سميعأً بصيرأً، فيقول النبي ﷺ: «اكتب كيف شئت» قال: فارتد ذلك الرجل عن الإسلام ولحق بالمشركين.

قال: أما يعلمكم محمد ﷺ أن كنت لأكتب ما شئت أنا، فمات ذلك الرجل فقال النبي ﷺ: «إن الأرض لا تقبله» [٩٣].

قال: فأخبرني أبو طلحة: إنه أتى الأرض التي بات فيها فوجده منبوءأً، فقال أبو طلحة: ما شأن هذا؟ قالوا: دفناه مراراً فلم تقبله الأرض.

وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَعْتَدْتُمْ لِلَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ قُلُوبُكُمْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ كُلٌّ مِّنْ كَيْدِ سَيْفِكَ وَأَخْلَطْتَ بِهِ خَطِيئَتُهُمْ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسُّكَّانِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ ثُمَّ أَفَرَضْتُمْ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

﴿وقالوا﴾ يعني اليهود.

﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ قدرأً مقدراً ثم يزول عنا العذاب وينقطع، واختلفوا في هذه الأيام ماهي.

وقال ابن عباس ومجاهد: قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود يقولون: مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قتادة وعطاء: يعنون أربعين يوماً التي عبد أبائهم فيها العجل وهي مدة غيبة موسى ﷺ عنهم.

الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمرنا أقسم ليعذبنا أربعين ليلة ثم يدخلنا الجنة فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم فقال الله تعالى تكذيباً لهم: قل يا محمد ﴿قل أتخذتم﴾ ألف الاستفهام دخلت على ألف الوصل.

﴿عند الله عهداً﴾ موثقاً ألا يعذبكم إلا هذه المدة.

﴿فلن يخلف الله عهده﴾ وعده، وقال ابن مسعود: بالتوعد يدلّ عليه قوله تعالى ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾^(١) يعني قال: لا إله إلا الله مخلصاً ﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ قال ﴿بلى﴾ «بل وبلى» حرفاً استدراكاً ولهما معنيان لنفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل، قال الكسائي: الفرق بين (بلى ونعم)، إن بلى: أقرار بعد جحود، ونعم: جواب استفهام بغير جحد، فإذا قال: ألسنت فعلت كذا، فيقول: بلى، وإذا قال: ألم تفعل كذا؟ فيقول: بلى، وإذا قال: ل أفعلت كذا؟ فيقول: نعم.

قال الله تعالى ﴿الم يأتكم نذير قالوا بلى﴾^(٢) وقال ﴿ألسنت بربكم قالوا بلى﴾^(٣) وقال في غير الجحود ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم﴾^(٤) وقالوا أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون﴾^(٥) قل نعم وإنما قال هاهنا بلى للجحود الذي قبله وهو قوله ﴿لن تمسنا النار إلا أيتاماً معدودة﴾

﴿من كسب سيئة﴾ يعني الشرك.

﴿وأحاطت به خطيئته﴾ قرأ أهل المدينة خطيئته بالجمع، وقرأ الباقون خطيئته على الواحدة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم والاحاطة الاحفاف بالشيء من جميع نواحيه واختلفوا في معناها هاهنا.

وقال ابن عباس والضحاك وعطاء وأبو العالية والربيع وابن زيد: هي الشرك يموت الرجل عليه فجعلوا الخطيئة الشرك.

قال بعضهم: هي الذنوب الكثيرة الموجبة لأهلها النار.

(١) سورة مريم: ٨٧.

(٢) سورة الملك: ٨.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٤) سورة الأعراف: ٤٤.

(٥) سورة الصافات: ١٧.

أبو زرير عن الربيع بن خيثم في قوله تعالى: ﴿واحاطت به خطيئته﴾ قال: هو الذي يموت على خطيئته قبل أن يتوب ومثله قال عكرمة وقال مقاتل: أصرّ عليها.

مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنباً إرتفعت حتى تغشى القلب وهو الرين وعن سلام بن مسكين أنه سأل رجل الحسن عن هذه الآية؟

فقال السائل: يا سبحان الله إلا أراك ذا لحية وما تدري ما محاطة الخطيئة! انظر في المصحف فكل آية نهى الله عزّ وجلّ عنها وأخبرك إنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة.

الكليبي: أو بقتة ذنوبه دليله قوله تعالى ﴿إلا أن يحاط بكم﴾^(١): أي تهلوكوا جميعاً.

وعن ابن عباس: أحيطت بما له من حسنة فأحبطته.

﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [وهذا من العام المخصوص بصور منها إلا من تاب بعد أن حمل على ظاهره]^(٢) ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾.

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ في التوراة. قال ابن عباس: الميثاق: العهد الجديد.

﴿لا تعبدون﴾ بالياء قرأه ابن كثير وحميد وحمزة والكسائي.

الباقون: بالتاء وهو إختيار أبي عبيد وأبو حاتم.

قال ابو عمرو: ألا تراه يقول ﴿وقولوا للناس حسناً﴾^(٣) فذلك المخاطبة على التاء.

قال الكسائي: إنما ارتفع لا يعبدون لأنّ معناه أخذنا ميثاق بني إسرائيل أن لا تعبدوا إلا الله فلما ألقى أن رفع الفعل ومثله قوله ﴿لا تسفكون﴾، نظير قوله عزّ وجلّ ﴿أفغير الله تأمروني أعبد﴾^(٤): يريد أن أعبد فلما حذفت التّاصبة عاد الفعل إلى المضارعة.

وقال طرفة:

ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي^(٥)

يريد أن أحضر، فلما نزع (أن) رفعه.

(١) سورة يوسف: ٦٦.

(٢) عن هامش المخطوط.

(٣) سورة البقرة: ٨٣.

(٤) سورة الزمر: ٦٤.

(٥) مجمع البيان: ١/٢٩٧.

وقرأ أبي بن كعب: لا تعبدوا جزماً على النهي أي وقلنا لهم لا تعبدوا إلا الله
 ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ ووَصَّينا هم بالوالدين إحساناً برأً بهما وعظفاً عليهما.
 وأما قال بالوالدين واحدهما والدة؛ لأنَّ المذكَّر والمؤنَّث إذا اقتربا غلب المذكَّر لخفَّته
 وقوَّته.

﴿وذى القربى﴾ أي وبذي القرابة، والقربى مصدر على وزن فعلى كالحسنى والشَّعْرى.
 قال طرفه:

وقربت بالقربى وجدك له يني فتحايك امر للنكيثة أشهد.
 ﴿واليتامى﴾ جمع يتيم مثل ندامى ونديم وهو الطفل الذي لا أبَّ له.
 ﴿والمساكين﴾ يعني الفقراء.

﴿وقولوا للنَّاس حسناً﴾ اختلفت القراءة فيه فقرأ زيد بن ثابت وأبو العالية وعاصم وأبو
 عمرو ﴿حُسْناً﴾ بضم الحاء وجزم السَّين وهو اختيار أبي حاتم دليله قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِوَالِدَيْهِ
 حَسْناً﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْ حَسْناً﴾^(٢).

وقرأ ابن مسعود وخلف حسناً بفتح الحاء والسَّين وهو اختيار أبي عبيد وقوله: إنَّما
 اخترناها لأنها نعت بمعنى قولاً حسناً.
 وقرأ ابن عمر: حُسْناً بضم الحاء والسَّين والتنوين مثل الرَّعب والنَّصب والسَّحت والسُّحق
 ونحوها.

وقرأ عاصم والجحدري: احساناً بالألف.

وقرأ أبي بن كعب وطلحة بن مصرف: حسنى وقرنت بالقربى بالتأنيث مرسلة.

قال الثعلبي: سمعت القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر بن عبدوس يقول: مجازه
 كلمة حسنى ومعناه قولوا للنَّاس صدقاً وحقاً في شأن محمَّد ﷺ فمن سألكم عنه فأصدقوه وبينوا
 له صفته ولا تكتموا أمره ولا تغيروا نعتة هذا قول ابن عباس وابن جبير وابن جريج ومقاتل دليله
 قوله ﴿الم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾^(٣) أي صدقاً.

وقال محمَّد بن الحنفية: هذه الآية تشمل البرِّ والفاجر.

وقال سفيان الثوري: اثمروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر.

(١) سورة العنكبوت: ٨.

(٢) سورة النمل: ١١.

(٣) سورة طه: ٨٦.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي أعرضتم عن العهد والميثاق ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ نصب على الإستثناء.

﴿وَأَنْتُمْ مَعْرُضُونَ﴾ وذلك أن قوماً منهم آمنوا.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ﴾ لا تريقون ﴿دِمَاءَكُمْ﴾ وقرأ طلحة بن مصرف تسفكون بضم الفاء وهما لغتان مثل يعرشون ويعكفون.

وقرأ أبو مجلز: تسفكون بالتشديد على التكثير.

وقال ابن عباس وقتادة: معناه لا يسفك بعضكم دم بعض بغير حق وإنما قال (دماءكم) لمعنيين: أحدهما إن كل قوم إجتمعوا على دين واحد فهم كنفس واحدة.

والآخر: هو أن الرجل إذا قتل غيره كأنما قتل نفسه لأنه يقاد ويقتص منه ﴿وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي لا يخرج بعضكم بعضاً من داره [ولا تسبوا من جاوركم فتلجثوهم إلى الخروج بسوء جواركم] ^(١).

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بهذا العهد إنه حق.

﴿وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ﴾ اليوم على ذلك يا معشر اليهود.

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ مِنْهَا قَرِيبًا مِّنْكُمْ تَرَىٰ مِنْ دِكْرِهِمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَةِ وَالْقَنُودِ وَإِنْ بَأْسُكُمْ أَكْرَهًا فَتُجَدِّدُهُمْ وَقَدْ حَرَّمْنَا عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِسَبْرِ الْكَذَّابِ وَتَكْفُرُونَ بِسَبْرٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جُزْءٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ عَذَابٍ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُصْرَفُونَ ﴿٨٦﴾

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني يا هؤلاء فحذف النداء للإستغناء بدلالة الكلام عليه كقوله: ﴿ذَرِيَّةٌ مِنْ حَمَلِنَا﴾ ^(٢) فهؤلاء للتنبيه ومبني على الكسرة مثل أنتم ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ قراءة العامة بالتخفيف من القتل.

وقرأ الحسن: تقتلون بالتثقل من التقتيل.

﴿وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم﴾ قراءة العامة وهم أهل الحجاز والشام وأبو عمرو ويعقوب: تظاهرون بتشديد الظاء، واختاره أبو حاتم ومعناه تظاهرون فأدغم التاء في الظاء مثل: أناقتهم وأداركوا.

(١) عن هامش المخطوط.

(٢) سورة الاسراء: ٣.

وقرأ عاصم والأعمش وحمزة وطلحة والحسن وأبو عبد الرحمن وأبو رجاء والكسائي: تظاهرون بتخفيف الظاء، واختاره أبو عبيد ووجه هذه القراءة: إنهم حذفوا تاء الفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله ﴿ولا تعاونوا﴾^(١) وقوله ﴿ما لكم لا تناصرون﴾^(٢).

وقال الشاعر:

تعاطسون جميعاً حول داركم فكلّكم يا بني حَمَّان مزكوم.
وقرأ أبي ومجاهد: تظَهَّرون مشدداً بغير ألف أي تتظَهَّرون [.....]^(٣) جميعاً تعاونون، والظهر: العون سُمِّي بذلك لإسناد ظهره إلى ظهر صاحبه.

وقال الشاعر:

تكثر من الاخوان ما استطعت [.....]^(٤) اذا إستنجدتهم فظهيرُ
وما بكثير ألف خل وصاحب وانّ عدواً واحداً لكثيرُ
﴿بالإثم والعدوان﴾ بالمعصية والظلم.

﴿وان يأتوكم أسارى تفدوهم﴾ قرأ عبد الرحمن السلمي ومجاهد وابن كثير وابن محيصة وحميد وشبل والجحدري وأبو عمرو وابن عامر: (أسارى تفدوهم) بغير ألف، وقرأ الحسن: (أسرى) بغير ألف (تفادوهم) بالألف، وقرأ النخعي وطلحة والأعمش ويحيى بن رثاب وحمزة وعيسى بن عمرو وابن أبي إسحاق: (أسرى تفدوهم) كلاهما بغير ألف وهي إختيار أبي عبيدة. وقرأ أبو رجاء وأبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وقتادة والكسائي ويعقوب: (أسارى تفادوهم) كلاهما بالألف، واختاره أبو حاتم.

فالأسرى: جمع أسير مثل جريح وجرحى، ومريض ومرضى، وصريع وصرعى، والأسارى: جمع أسير أيضاً مثل كُسالى وسُكاري، ويجوز أن يكون جمع أسرى نحو قولك: امرأة سُكرى ونساء سُكاري، ولم يفرق بينهما أحد من العلماء الأثبات إلا أبو عمرو.

روى أبو هشام عن جببر الجعفي عن أبي عمرو قال: ما أسر فهو أسارى ومالم يؤسر فهو أسرى، وروي عنه من وجه آخر قال: ما صار في أيديهم فهم أسارى، وما جاء مستأسراً فهو أسرى.

عن أبي بكر النقاش قال: سمعت أحمد بن يحيى ثعلب وقد قيل له هذا الكلام عن أبي عمرو فقال: هذا كلام المجانين. يعني لافرق بينهما.

(٢) سورة الصفات: ٢٥.

(١) سورة المائدة: ٢.

(٣) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

وحُكي عن أبي سعيد الضرير إنّه قال: الأسارى: هم المقيّدون المشدّدون والأسرى: هم المأسورون غير المقيدين. فأما قولهم تغدوهم بالمال وتنقذوهم بفدية أو بشيء آخر، وتغادوهم: تبادلوهم اراد مفاداة الأسير بالأسير، وأسرى: في محل نصب على الحال.

فأما معنى الآية - قال السّدي: إنّ الله عزّ وجلّ أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم فأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام ثمّنه فاعتقوه. فكانت قريظة خُلفاء الأوس، والنّضير خُلفاء الخزرج وكانوا يقتتلون في حرب نمير. فيُقاتل بنو قريظة مع حلفائهم، وبنو النّضير مع حلفائهم، وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها فإذا أُسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتّى يفدوه وإن كان الاسير من عدوهم فيُعيرهم العرب بذلك وتقول: كيف يقاتلونهم ويفدونهم...! ويقولن: إنّنا قد أمرنا أن نفديهم وحُرّم علينا قتالهم. قالوا: فلمّ تقاتلونهم؟

قالوا: نستحي أن تستدل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم الله تعالى فقال: ﴿ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم﴾ الآية، وفي الآية تقديم وتأخير نظمها: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالأثمّ والعدوان ﴿وهو محرّم عليكم إخراجهم﴾ وأن يأتوكم أسارى تغدوهم.

وكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتل، وترك الأخراج، وترك المظاهرة عليهم مع اعدائهم وفداء أسرائهم. فأعرضوا عن كل ما أمروا إلاّ الفداء. فقال الله عزّ وجلّ: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ فأيمانهم بالفداء وكفرهم بالقتل والأخراج والمظاهرة. قال مجاهد: يقول: إن وجدته في يد غيرك فديته، وأنت تقتله بيدك، وقيل: معناه يستعملون البعض ويتركون البعض، تغادون أسراء قبيلتكم وتركون أسراء أهل ملّتكم فلا تغادونهم.

قال الله عزّ وجلّ ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم﴾ يا معشر اليهود ﴿إلاّ خزي﴾ عذاب هوان.

﴿في الحياة الدّنيا﴾ فكان خزي قريظة القتل والسّبي، وخزي بني النّضير الجلاء والنفي عن منازلهم وجنائهم إلى أذرعات وريحا من الشّام.

﴿ويوم القيامة يُردون إلى أشدّ العذاب﴾ وهو عذاب النّار وقرأ أبو عبد الرحمن السّلمي وأبو رجاء والحسن: تُردّون بالناء، لقوله ﴿أفتؤمنون﴾.

﴿وما الله بغافل عمّا تعملون﴾ بالناء مدني وأبو بكر ويعقوب الباقون: بالناء.

﴿أولئك الذين اشتروا﴾ استبدلوا.

﴿الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف﴾ يهون ويرقه.

﴿عنهم العذاب ولا هم يُنصرون﴾ يمنعون من عذاب الله.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ
بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقْنَا بَيْنَهُمْ وَفَرِّقْنَا مَا يَكْفُرُونَ ﴿٨٧﴾
وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الْكٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِسْمَا أَسْرَفُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ قَوْلِهِ
عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبْلَهُمْ يَعْصِبُ عَلَى عَصَبِهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾

﴿ولقد آتينا﴾ أعطينا.

﴿موسى الكتاب﴾ التوراة جملة واحدة.

﴿وقفينا﴾ أردفنا واتبعنا.

﴿من بعده بالرسول﴾ رسولا بعد رسول. يُقال: مضى أثره وقفا غيره؛ في التعدية وهو مأخوذ من قفا الأنسان قال الله ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾^(١)، وقال أمية بن الصلت:

قالت لأخت له قُصيه عن جنب وكيف تقفو ولا سهل ولا جدد

﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ العلامات الواضحات والدلالات اللإيحات وهي التي ذكرها الله عزّ وجلّ في سورة آل عمران والمائدة.

﴿وأيدناه﴾ قويناه وأعناه من الآد والأيد^(٢)، مجاهد: أيدناه بالمد وهما لغتان مثل كرم وأكرم.

﴿بروح القدس﴾ خفف ابن كثير القدس في كل القرآن، وثقله الآخرون، وهما لغتان مثل الرّعب والسّحت ونحوهما، واختلفوا في روح القدس فقال الربيع وعكرمة: هو الرّوح الذي نفخ فيه إضافة إلى نفسه؛ تكريماً وتخصيصاً نحو بيت الله، وناقة الله وعبد الله، والقدس: هو الله عزّ وجلّ يدلّ عليه قوله تعالى ﴿وروح منه﴾^(٣) وقوله ﴿ونفخنا فيه من روحنا﴾

والآخرون: أرادوا بالقدس الطهارة يعني الرّوح الطاهر سمى روحه قدساً؛ لأنّه لم يتضمّنه

(١) سورة الاسراء: ٣٦.

(٢) راجع تفسير الطبري: ١ / ٥٦٨.

(٣) سورة النساء: ١٧١.

أصلاب الفحولة ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث إنّما كان أمراً من الله تعالى .

السّدي والضّحّاك وقتادة وكعب: الروح القدس: جبرئيل قال الحسن: القدس: هو الله وروحه جبرئيل .

السّدي: القدس: البركة وقد عظم الله بركة جبرئيل إذ أنزل الله عامة وحيه إلى أنبيائه على لسانه وتأيد عيسى ﷺ بجبرئيل هو أنّه كان قرينه يسير معه حيثما شاء والآخر أنّه صعد به إلى السّماء، ودليل هذا التأويل قوله تعالى ﴿قل نزله روح القدس من ربّك بالحق﴾^(١) .

وقال ابن عبّاس وسعيد بن جبيرة وعبيد بن عمير: هو اسم الله الأعظم وبه كان يُحيى الموتى ويُرى النّاس تلك العجائب .

وقال ابن زيد: هو الأنجيل جعل له روحاً كما جعل القرآن لمحمّد ﷺ روحاً، يدلّ عليه قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾^(٢) فلما سمعت اليهود بذكر عيسى ﷺ قالوا: يا محمّد لا مثل عيسى كما زعمت ولا كما يقصّ علينا من الأنبياء (عليهم السلام) قالوا: فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً .

فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿أفكلّمنا جاءكم﴾ يا معشر اليهود ﴿رسولٌ بما لا تهوى﴾ لا تحب ولا توافق .

﴿أنفسكم استكبرتم﴾ تكبرتم وتعظمتم عن الإيمان به .

﴿ففريقاً﴾ طائفة سميت بذلك لأنّها فرقت من الحملة .

﴿كذبتم﴾ عيسى ومحمّداً .

﴿فريقاً تقتلون﴾ أيّ قتلتم زكريا ويحيى وسائر من قُتلوا من الأنبياء .

﴿وقالوا﴾ يعني اليهود ﴿قلوبنا غلف﴾ قرأ ابن محيصن بضم اللام، وقرأ الباقون بجزمه . فمن خففه فهو جمع الأغلف مثل أصفر وُصفر - وأحمر وُحمر وهو الذي عليه غطاء وغطاء بمنزلة الأغلف غير المختون فالأغلف والأعلف واحد ومعناه عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقول يا محمّد .

قاله مجاهد وقتادة نظيره قوله عزّ وجلّ ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾^(٣) ، ومن ثقل فهو جمع غلاف مثل حجاب وحجب وكتاب وكتب، ومعناه: قلوبنا أوعية لكلّ علم فلا نحتاج إلى علمك وكتابك . قاله عطاء وابن عبّاس .

(١) سورة النحل: ١٠٢ .

(٢) سورة الشورى: ٥٢ .

(٣) سورة فصلت: ٥ .

وقال الكلبي: يريدون أوعية لكلّ علم فهي لا تسمع حديثاً إلاّ وعته إلاّ حديثك لا تفقهه ولا تعيه ولو كان فيه خيراً لفهمته ووعته.

قال الله عزّ وجلّ ﴿بل لعنهم الله بكفرهم﴾ وأصل اللعن الطرد والأبعاد تقول العرب [نماء] ولعين أي بعد. قال الشماخ:

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين^(١)
فمعنى قوله: لعنهم الله طردهم وأبعدهم من كل خير، وقال النضر بن شميل: الملعون المخزي المهلك.

﴿قللياً ما يؤمنون﴾ معناه لا يؤمن منهم إلاّ قليلاً؛ لأنّ من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، قاله قتادة، وعلى هذا القول ما: صلة معناه قليلاً يؤمنون، ونصب قليلاً على الحال.

وقال معمر: معناه لا يؤمنون إلاّ بقليل بما في أيديهم ويكفرون بأكثره، وعلى هذا القول يكون ﴿قللياً﴾ منصوباً بنزع حرف الصّفة وما صلة أيّ بقليل يؤمنون.

وقال الواقدي وغيره: معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً، وهذا كقول الرجل لآخر: ما قل ما تفعل وكذا يريد لا تفعله البتة.

وروى الفراء عن الكسائي: مررنا بأرض قلّ ما ينبت الكراث والبصل يريدون لا ينبت شيئاً.

﴿ولمّا جاءهم كتابٌ من عند الله﴾ يعني القرآن.

﴿مُصَدِّقٌ﴾ موافق ﴿لما معهم﴾ وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة مصدقاً بالتّصّب على الحال.

﴿وكانوا﴾ يعني اليهود ﴿من قبل﴾ أي من قبل بعث محمّد ﷺ ﴿يستفتحون﴾ يستنصرون، قال الله تعالى ﴿أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾^(٢) أي أن تستنصروا فقد جاءكم النصّر.

وفي الحديث عن النبي ﷺ [أنه] كان يستفتح القتال بصعاليك المهاجرين.

﴿على الذين كفروا﴾ مشركي العرب وذلك إنهم كانوا يقولون إذا حزم أمر ودهمهم عدو: «اللهم انصرنا عليهم بالنبيّ المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة» [٩٤]^(٣)، وكانوا يقولون زماناً لا عدائهم من المشركين قد أطل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا، ونقلكم معه قبل عاد وأرم.

(٢) سورة الأنفال: ١٩.

(١) تفسير الطبري: ١ / ٥٧٤.

(٣) تفسير الجلالين للسيوطي: ١٩.

﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ يعني محمداً ﷺ من غير بني إسرائيل، وعرفوا نعتة وصفته.
﴿كفروا به﴾ بغياً وحسداً.

﴿فلعنة الله على الكافرين﴾ ﴿بئسما اشتروا به أنفسهم﴾ بئس ونعم فعلان ماضيان وضعا للمدح والذم لا يتصرفان تصرف الافعال ومعنى الآية: بئس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق، والكفر بالإيمان.

وقيل: معناه بئس ما باعوا به حظ أنفسهم.

﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن.

﴿بغياً﴾ بالبغي وأصل البغي الفساد. يُقال: بغى الجرح إذا أمد وضمد.

﴿أن ينزل الله من فضله﴾ النبوة والكتاب.

﴿على من يشاء من عباده﴾ محمداً ﷺ.

﴿فباؤا بغضب على غضب﴾ أي مع غضب.

قال ابن عباس: الغضب الأول بتضييعهم التوراة، والغضب الثاني بكفرهم بهذا النبي الذي اتخذه الله تعالى.

فيهم قتادة وأبو العالية: الغضب الأول - بكفرهم بعيسى ﷺ والأنجيل - والثاني: كفرهم بمحمد ﷺ والقرآن.

السدي: الغضب الأول بعبادتهم العجل، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ وتبديل نعته.

﴿وللكافرين﴾ وللجاحدين [الدين] محمداً ﷺ من الناس كلهم.

﴿عذاب مهين﴾ يُهانون فلا يُعزّون.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِينَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَكَفَرُوا بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ قِيلَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا قَوْفَكُمْ أَطْوَرَ حُدُودًا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنشَرُونَا فِي قُلُوبِهِمْ آلِجْعَلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْكَنُ يَأْتُرْكُمْ بِهِ إِسْنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن.

﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ يعني التوراة.
 ﴿ويكفرون بما وراءه﴾ أي بما سواه وبعده.
 ﴿وهو الحق﴾ يعني القرآن.

﴿مصدقاً﴾ نصب على الحال. ﴿لما معهم﴾ قل لهم يا محمد: ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾ ولم أصله ولما فحذفت الألف فرقاً بين الخبر والأستفهام كقولهم: فيم ويم ولم وممّ وعلام وحقام، وهذا جواب لقولهم: نؤمن بما أنزل علينا.
 فقال الله عزّ وجلّ ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾.

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالتوراة وقد ختم فيها من قتل الأنبياء ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ بالدلالات اللايحات - والعلامات الواضحات.

﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ أي من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿وأنتم ظالمون﴾.

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا﴾ أي استجبوا واطيعوا سميت الطاعة سمعاً على المجاز لأنه سبب الطاعة والأجابة ومنه قولهم: سمع الله لمن حمده أي أجابه، وقال الشاعر:

دعوت الله حتى خفتُ ألا يكون الله يسمع ما أقول
 أي يجب.

﴿قالوا سمعنا﴾ قولك. ﴿وعصينا﴾ أمرك [أو سمعنا بالأذان وعصينا بالقلوب] (١).

قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم، ولكن لما سمعوا الأمر وتلقوه بالعصيان نُسب ذلك عنهم إلى القول أتساعاً، كقول الشاعر

ومنهل ذبابة في عيطل يقلن للرائد عشيت أنزل
 ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ أي حبّ العجل، كقوله تعالى ﴿واسأل القرية﴾ (٢)، وقال
 النابغة:

فكيف يواصل من اصبحت خلاله كأنني مرحب
 أي لخلاله أني مرحب، ومعناه أدخل في قلوبهم حبّ العجل، وخالطها ذلك كاشراب اللون لشدة الملازمة.

(١) عن هامش المخطوط.

(٢) سورة يوسف: ٨٢.

﴿يكفرهم قل بثسما يأمركم به إيمانكم﴾ أن تعبدوا العجل من دون الله [فالله لا يأمر بعبادة العجل]^(١).

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بزعمكم وذلك إنهم قالوا: نؤمن بما أنزل علينا، فكذبهم الله تعالى.

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَلْجِدَّةُ أَلْحَسُّهُنَّ أَعْرَضَ النَّاسُ عَلَى حَيَوَاتِهِمْ مِنَ النَّارِ أَشْرَكُوا يَوْمَ أُحُدٍ لَوْ يَعْرِفُونَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْسِيَةٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْلَ فَإِنَّهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيْلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِنَا بِبَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾

﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله﴾ الآية

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية: إن اليهود أدعوا دعوى باطلة، حكاها الله تعالى عنهم في كتابه كقوله تعالى ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾^(٢).

وقوله: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾^(٣).

وقوله: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾^(٤) فكذبهم الله تعالى، وألزمهم الحجة. فقال: قل يا محمد إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله.

﴿خالصة من دون الناس﴾ خاصة؛ لقوله تعالى ﴿خالصة لذكورنا﴾^(٥)، قوله ﴿خالصة يوم القيامة﴾^(٦)، قوله ﴿خالصة من دون المؤمنين﴾^(٧) أي خاصة من دون الناس.

﴿فتمنوا الموت﴾ أي فأريدو وحلوه لأن من علم أن الجنة مآبه حنَّ إليها ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني.

﴿إن كنتم صادقين﴾ في قولكم محقين في دعواكم، وقيل في قوله تعالى ﴿فتمنوا الموت﴾ أي أدعوا بالموت على الفرقة الكاذبة.

روى ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «لو تمنوا الموت لغصَّ كل إنسان منهم بريقه، وما بقى

- | | |
|------------------------|-----------------------|
| (١) عن هامش المخطوط. | (٢) سورة البقرة: ٨٠. |
| (٣) سورة البقرة: ١١١. | (٤) سورة المائدة: ١٨. |
| (٥) سورة الأنعام: ١٣٩. | (٦) سورة الأعراف: ٣٢. |
| (٧) سورة الأحزاب: ٥٠. | |

على وجه الأرض يهودي إلا مات» [٩٥].

فقال الله تعالى ﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ لعلمهم إنهم في دعواهم كاذبون.
﴿والله عليم بالظالمين﴾ يعني اليهود. هذا من أعجاز القرآن لأنه تحداهم ثم أخبر أنهم لا يفعلون بعد أن قال لهم هذه المقالة فكان على ما أخبر.

﴿ولتجدنهم﴾ اللام لام القسم والنون تأكيد القسم تقديره: والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود ﴿أحرص الناس على حياة﴾ وفي مصحف أبي علي الحياة.
﴿ومن الذين أشركوا﴾ قيل إنه متصل بالكلام الأول.

معناه وأحرص من الذين أشركوا. قال الفراء: وهذا كما يقال هو أسخى الناس ومن حاتم: أي وأسخى من حاتم.

وقيل: هو ابتداء وتمام الكلام عند قوله: على حياتهم ابتداءً بواو الاستئناف وأضمر (ليود) اسماً تقديره: ومن الذين أشركوا من ﴿يود أحدهم﴾ كقول ذو الرمة.

فظلوا ومنهم دمعه سابق له وأخر يذري دمعة العين بالهمل
أراد ومنهم من دمعه سابق، وأراد بالذين أشركوا المجوس.

﴿يود﴾ يريد ويتمنى.

﴿أحدهم لو يعمر﴾ تقديره تعمير ألف.

﴿ألف سنة﴾ قال المفسرون: هو تحية المجوس فيما بينهم عشر ألف سنة وكلمة ألف

نيروز ومهرجان.

قال الله تعالى: ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب﴾ من النار.

﴿أن يعمر﴾ أي تعميره: زحزحته فزحزح: أي بعدته فتباعده يكون لازماً ومتعدياً. قال ذو

الرمة في المتعدي:

يا قابض الروح من نفسي إذا احتضرت وغافر الذنب زحزحني عن النار

وقال الراجز، في اللام: خليلي ما بال الدجى لا يزحزح وما بال ضوء الصبح لا

يتوضح. ﴿قل من كان عدواً لجبريل﴾ الآية

قال ابن عباس: إن حبراً من أحبار اليهود يقال له عبدالله بن سوريا كان قد حاج النبي ﷺ

وسأله عن أشياء. فلما اتجهت الحجة عليه قال: أي ملك يأتيك من السماء؟

قال: «جبرئيل ولم يُبعث الكتاب لأنبياء قط إلا وهو وليه» [٩٦]. قال: ذلك عدونا من

الملائكة ولو كان ميكائيل مكانه لآمنّا بك؛ لأنّ جبرئيل ينزل بالعذاب والقتال والشقوة وإنّه عادانا مراراً كثيرة، وكان أشدّ ذلك علينا أنّ الله تعالى أنزله على نبينا ﷺ إنّ بيت المقدس سيُخرب على يد رجل يقال له: بخت نصر، وأخبرنا بالحين الذي يُخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلب بخت نصر ليقته فانطلق يطلبه حتّى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً ليست له قوة. فأخذه صاحبنا ليقته فدفع عنه جبرئيل ﷺ وقال لصاحبنا: إنّ كان ربكم هو الذي أذن في هلاككم فلن تسلّط عليه، وإن لم يكن هذا فعلى أي حق تقتله. فصدقه صاحبنا ورجع ﷺ: فكبر بخت نصر وقوي وغرانا وخرّب بيت المقدس؛ فلهذا نتخذة عدواً. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال مقاتل: قالت اليهود ان جبرئيل عدونا أمرنا أن تجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قتادة وعكرمة والسدي: فكان لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أرض بأعلى المدينة وممرها على مدارس اليهود، وكان عمر إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم ويكلمهم. فقالوا: يا عمر ما في أصحاب محمد أحب إلينا منك. إنهم يمرّون هنا فيأذونا وأنت لا تؤذينا وأنا لنطمع فيك فقال عمر: والله ما أحبكم لحبكم، ولا أسألکم لأنّي شاك في ديني، وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد ﷺ وأرى آثاره في كتابكم. فقالوا: من نصّب محمد من الملائكة؟ قال: جبريل. فقالوا: ذلك عدونا يطلع محمد على سرنا، وهو صاحب عذاب وخسف وسنة وشدة، وإن ميكائيل جاء بالخصب والسلم. فقال لهم عمر: أتعرفون جبرئيل وتنكرون محمداً...! قالوا: نعم.

قال: فاخبروني عن منزلة جبرئيل وميكائيل من الله عزّ وجلّ؟

قالوا: جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وميكائيل عدو لجبرئيل فقال عمر: وإني أشهد أنّ من كان عدواً لجبرئيل فهو عدواً لميكائيل ومن كان عدواً لميكائيل فهو عدو لجبرئيل، ومن كان عدواً لهما فإنّ الله عدو له، ثمّ رجع عمر إلى رسول الله ﷺ فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقرأ عليه رسول الله ﷺ هذه الآية وقال: «لقد وافقك ربك يا عمر» فقال عمر: لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر؛

قال الله تعالى تصديقاً لعمر (رضي الله عنه) ﴿قل من كان عدواً لجبرئيل﴾ وفي جبرئيل سبع لغات:

(جبرئيل) مهموز، مشبع مفتوح الجيم والراء، وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر وخلف واختيار أبي عبيد، وقال: رأيت في مصحف عثمان الذي يُقال له: الإمام بالياء في جبريل وميكائيل [والياء قبل] الياء تدلّ على الهمزة، وقال الشاعر:

شهدنا فما يُلقى لنا من كتيبة مدى الدهر إلا جبرئيل امامها

(وجبرائيل) ممدود، مهموز، مشيع، على وزن جبراعيل، وهي قراءة ابن عباس وعلقمة وابن وثاب.

(وجبرائيل) ممدود، مهموز، مختلس على وزن جبراعل وهي قراءة طلحة بن مصرف.

(وجبرئيل) مهموز، مقصور مختلس على وزن جبرعل، وهي قراءة يحيى بن آدم.

(وجبرائيل) مهموز، مقصور، مشدّد اللام من غير ياء، وهي قراءة يحيى بن يعمر، وعيسى ابن عمر، والأعمش.

(وجبريل) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وهي قراءة ابن كثير وأنشد لحسان:

وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس به خفاء

(وجبريل) بكسر الجيم والراء من غير همزة وهي قراءة علي، وأبي عبد الرحمن، وأبي رجاء، وأبي العالية، وسعيد بن المسيب، والحسن، ومعظم أهل البصرة والمدينة، واختيار أبي حاتم، وقدروي عن النبي ﷺ ذلك.

وعن شبل عن عبد الله بن كثير قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقرأ جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز. فلا أقرأها إلا هكذا.

قال الثعلبي: والصحيح المشهور عن كثير ما تقدّم والله أعلم.

أما التفسير فقال العلماء: جبر هو العبد بالسريانية وأيل هو الله عزّ وجلّ يدلّ عليه ما روى إسماعيل عن رجاء عن معاوية برفعه قال: إنّما جبرئيل وميكائيل كقولك عبدالله وعبد الرحمن، وقيل جبرئيل مأخوذ من جيروت الله، وميكائيل من ملكوت الله.

﴿فإنّه﴾ يعني جبرئيل. ﴿نزله﴾ يعني القرآن كتابه عن غير مذكور كقوله ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾^(١) يعني الأرض، وقوله ﴿حتى توارت بالحجاب﴾^(٢) يعني الشمس.

﴿على قلبك﴾ يا محمد ﴿ياذن الله﴾ بأمر الله.

﴿مُصدّقاً﴾ موافقاً.

﴿لما بين يديه﴾ لما قبله من الكتب.

﴿وهديّ وبشريّ للمؤمنين﴾ ﴿من كان عدوّاً لله وملائكته ورسله وجبرئيل وميكائيل﴾

أخرجهما بالذکر من جملة الملائكة ومواضعهم على جهة التفضيل والتخصيص، كقوله تعالى ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾^(٣) وميكائيل أربع لغات:

(٢) سورة ص: ٣٢.

(١) سورة فاطر: ٤٥.

(٣) سورة الرحمن: ٦٨.

مدود، مهموز، مشبع على وزن ميكاعيل، وهي قراءة أهل مكة والكوفة والشام.
 ﴿وميكائل﴾ مدود، مهموز مختلس مثل ميكاعل، وهي قراءة أهل المدينة.
 و(ميكيل) مهموز مقصور على وزن ميكعل، وهي قراءة الأعمش وابن محيصن.
 و(ميكال) على وزن مفعال وهي قراءة أهل البصرة. قال الشاعر:

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع التّصر جبريل وميكال
 وقال جرير:

عبدوا الصّليب وكذبوا بمحمّد وبجبرئيل وكذبوا ميكالاً^(١)
 ومعنى الآية من كان عدواً لأحد هؤلاء فإن الله عدو له والواو فيه بمعنى أو. كقوله تعالى
 ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه﴾ الآية لأن الكافر بالواحد كافر بالكل. فقال ابن صوريا: يا
 محمّد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فتتبعك بها. فأنزل الله عزّ وجلّ:
 ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾ واضحات مفصلات بالحلل والحرام والحدود والأحكام.
 ﴿وما يكفر بها إلاّ الفاسقون﴾ الحادون عن أمر الله.

أَوْكَلَّمَا عَلَيْهِمْ عَهْدًا بَدَدُوا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَدَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا
 يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا
 يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّخِرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا
 نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لِشُوبَةِ مَنْ
 عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿أوكلما﴾ واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام. كما يدخل على الفاء في قوله
 ﴿أفأنت تسمع الصّم﴾^(٢) ﴿أفتتخذونه وذريته﴾^(٣) وعلى ثمّ كقوله تعالى ﴿أنتم إذا ما وقع﴾^(٤)
 ونحوها.

(١) مجمع البيان: ٣٢٤/١.

(٢) سورة يونس: ٤٢.

(٣) سورة الكهف: ٥٠.

(٤) سورة يونس: ٥١.

وقرأ ابن السَّمَاك العدوي: ساكنة الواو على النسق و (كلما) نصب على الظرف. ﴿عاهدوا عهداً﴾ يعني اليهود.

قال ابن عباس: لِمَا ذكر رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم وما عهد إليهم فيه.

قال مالك بن الصِّيف: إنَّ الله ما عهد إلينا في محمد عهد ولا ميثاق فأنزل الله تعالى هذه الآية يوضحه قراءة أبي رجاء العطاردي: أوكلما عوهدوا عهداً لعنهم الله، دليل هذا التأويل قوله ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب﴾^(١) الآية.

وقال بعضهم: هو أنَّ اليهود تعاهدوا لئن خرج محمّد ليؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب، وننفيهم من بلادهم، فلما بعث نقضوا العهد وكفروا به دليله ونظيره قوله عزَّ وجلَّ ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾^(٢).

وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والتّضير دليله قوله ﴿الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾^(٣).

﴿نبذه﴾ أي رفضه وفي قول عبدالله: نقضه.

﴿فريقٌ منهم﴾ طوائف من اليهود.

﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ فأصل النبذ الرّمي والرفض له، وأنشد الزجاج:

نظرت إلى عنوانه فنبيذته كنبذك نعلأ اخلقت من نعالكا
وهذا مثل من يستخف بالشيء ولا يعمل به، تقول العرب: أجعل هذا خلف ظهرك، ودبر اذنك، وتحت قدمك: أي أتركه واعرض عنه قال الله تعالى: ﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾^(٤)، وأنشد الفراء:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعبأ عليّ جوابها
قال الشعبي: هو بين أيديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به:

وقال سفيان بن عيينة: أدرجوه في الحرير والديباج وحلّوه بالذهب والفضّة ولم يحلّوا حلّاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ.

﴿واتبعوا﴾ يعني اليهود.

(١) سورة آل عمران: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة: ١٠١.

(٣) سورة الأنفال: ٥٦.

(٤) سورة هود: ٩٢.

﴿ما تتلوا الشياطين﴾ أي ما تلت الشياطين.

كقول الشاعر:

فأذا مررت بقبره فاعقر به كؤم الحجان وكلّ طرف صالح
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد بكوه أخادم وذبائح
وحكي عن الحسين بن الفضل إنه سئل عن هذه الآية فقال: هو مختصر مضمّر تقديره
واتبعوا ما كانت تتلوا الشياطين أي تقرأه.

قال ابن عباس: يتبع ويعمل به.

عطاء وأبو عبيدة: يحدث ويتكلم به.

يمان: ترويه.

وقرأ الحسن: الشياطين بالواو في موضع الرفع في كل القرآن.

قال الثعلبي: وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا حامد الخارزنجي يقول:
وسئل عن قراءة الحسن؟

قال: هو فن وحسن عند أكثر أهل الأدب.

غير أن الأصمعي زعم إنه سمع أعرابياً يقول: بستان فلان حوله بساتون.

﴿على ملك سليمان﴾ أي في ملكه وعهده كقول أبي النجم:

فهي على الأفق كعين الأحول

أي في الأفق.

والملك تمام القدرة واستحكامها.

قال [. . . الزجاج]^(١): في قصّة الآية هي أنّ الشياطين كتبوا السّحر والنيرونجات على
لسان آصف. هذا ما علم آصف ابن برخيا سليمان الملك ثمّ وضعوها تحت مصلاه حين نزع الله
ملكه ولم يشعر بذلك سليمان فلمّا مات استخرجوها من تحت مصلاه.

وقالوا النَّاس: إنّما ملككم سليمان بهذا فتعلّموه فأما علماء بني إسرائيل وصلحاؤهم
فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان وإنّ كان هذا علمه لقد هلك سليمان

وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان فأقبلوا على تعلّمه ورفضوا كتب أنبياءهم وفشت
الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتّى بعث الله تعالى محمّداً ﷺ وأنزل عذر سليمان ﷺ

(١) كلمة سقط في أصل المخطوط.

على لسانه وأظهر براءته عمّا رُمي به فقالوا: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ الآية. هذا قول الكعبي.

وقال السدي: كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد منها مقاعد السَّمع فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت أو غيره فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا كذباً وزوراً في كلِّ سبعين كلمة سبعين كلمة ويخبرونهم بذلك فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب فبعث في النَّاس فجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال: لا أسمع أحداً يقول إنَّ الشياطين تعلم الغيب إلاَّ ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثّل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرأ من بني إسرائيل فقال: هل أدلكم على كنز لا ينفذ أبداً.

قالوا: نعم. قال: فأحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية وقالوا: أدن. فقال: لا ولكن ها هنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك إنهم لم يكن أحدٌ من الشياطين يدنو من الكرسي إلاَّ احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها. قال الشيطان: إنَّ سليمان كان يضبط الجنَّ والأنس والطير بهذا ثمَّ طار الشيطان وذهب وفشا في النَّاس أنَّ سليمان كان ساحراً فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب ولذلك فكثير ما يوجد السحر في اليهود فلما جاء محمد ﷺ خاصمه اليهود بها فبرأ الله تعالى سليمان من ذلك وأنزل هذه الآية^(١).

وقال عكرمة: كان سليمان ﷺ لا يصبح يوماً إلاَّ نبتت في محرابه في بيت المقدس شجرة فيسألها: ما اسمك؟

فتقول الشجرة: إسمي كذا، فيقول: لأيِّ داء أنتِ؟

فتقول: لكذا وكذا، فيأمر بها فتقطع وترفع في الخزانة وتغرس منها في البساتين حتّى بعثت الخرنوبة الشامية فقال لها: ما أنتِ؟

قالت أنا الخرنوبة. قال: لأيِّ شيء نبتت؟ قالت: لخراب مسجدك. قال سليمان: ما كان الله ليخبره وأنا حي أنت الذي على وجهك هلاكه وخراب بيت المقدس فنزعها فغرسها في حائط له فلم تنبت إلى أن توفي فجعل النَّاس يقولون في رضاهم: لو كان لنا مثل سليمان، وكتبت الشياطين كتاباً فجعلوه في مصلى سليمان. فقالوا للنَّاس: من يدلُّكم على ما كان يداوي به فانطلقوا فاستخرجوا ذلك الكتاب فإذا فيه سحر ورقيّ فأُنزل الله في هذه الآية ما تفعل الشياطين واليهود على نبيه محمد ﷺ: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾.

﴿وما كفر سليمان﴾ بالسحر فإنَّ السحر كفر.

(١) راجع زاد المسير لابن الجوزي: ١ / ١٠٦.

﴿ولكنّ الشياطين كفروا﴾ قرأ أهل الكوفة والشام بتخفيف النون ورفع الشياطين وكذلك في الأيمان ﴿ولكنّ الله قتلهم﴾^(١) ﴿ولكنّ الله رمى﴾^(٢).

الباقون: بالتشديد ونصب ما بعده، ولكن كلمة لها معنيان نفي الخبر الماضي واثبات الخبر المستقبل، وهي مبنية من ثلاث كلمات أصلها لا كان لا نفي والكاف خطاب وإنّ نصب ونسق فذهبت الهمزة استثقلاً وهي تثقل وتخفف فإذا ثقلت نصب بها ما بعدها من الاسماء كما تنصب بان الثقيلة فإذا خففتها رفعت بها ما ترفع بأن الخفيفة.

﴿يُعلّمون الناس السحر﴾ قال بعضهم: السحر العلم والخطابة دليله قوله: بان السّاحر: أي العالم.

وقال بعضهم: هو التمويه بالشيء حتّى يتوهم المتوهم إنّه شيء ولا حقيقة له كالسراب غير من رآه وأخلف من رجاء قال الله تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنّها تسعى﴾^(٣).

﴿وما أنزل على الملكين﴾ محل ما بعد اتباع التعليم عليه معناه لا يعلمون الذي أنزل على الملكين أي [.....]^(٤) ويجوز أن يكون نصباً بالاتباع تقديره: واتبعوا ما أنزل على الملكين، وجعل بعضهم ما جحداً وحيثن لا محل له يعني لم ينزل السّحر على الملكين كما زعم اليهود، وإنّما يعلمونهم [..... من ذات]^(٥) أنفسهم والقول الأوّل أصح.

وقرأ ابن عبّاس والحسن والضحاك ويحيى بن أبي كثير: ملكين بكسر اللام، وقالوا: هما رجلان ساحران كانا ببابل من الملائكة لا يعلمون الناس السحر، وفسرهما الحسن فقال: غلجان ببابل وهي بابل عراق وسمي بابل لتبليل الألسنة بها عند سقوط صرح نمرود أي تفرقها.

أو ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقى بتعلم السحر منهما فيكفر به ومن سعد بتركه فيبقى على الإيمان فيزداد المعلمان بالتعليم عذاباً فيه ابتلاء المعلم والمتعلم والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء كما يشاء فله الأمر والحكم.

وقال الخليل بن أحمد: إنّما سميت بابل لأنّ الله تعالى حين أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحاً فحفرتهم من كل أفق إلى بابل فبيلب الله ألسنتهم فلم يدري أحد ما يقول الآخر، ثمّ فرقتهم تلك الرّيح في البلاد وهو لا ينصرف؛ لأنّه اسم موضع معروف.

﴿هاروت وما روت﴾ اسمان سريانيان في محل الخفض على تفسير الملكين بدلاً منهما إلا أنّهما نصباً لعجمتهما ومعرفتهما وكانت قصتهما على ما ذكره ابن عبّاس والمفسرون: إنّ

(٣) سورة طه: ٦٦.

(١) و (٢) سورة الأنفال: ١٧.

(٤) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٥) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك في زمن إدريس فعيرهم بذلك، ودعت عليهم قالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم فهم يعصونك. فقال الله عز وجل لهم: لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لرتكبتم ما ارتكبوه. فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك. قال الله تعالى: اختاروا ملكين من خياركم ثم ابوطهما إلى الأرض. فاختراروا هاروت وما روت وكانا من أصلح الملائكة وأخصهم.

قال الكلبي: قال الله تعالى لهم: اختاروا ثلاثة: عزرا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت. غير اسمهما لما قارفا الذنب كما غير اسم إبليس وعزائيل فركب الله فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم. فاهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر - وأما عزائيل فأثمه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربّه، وسأله أن يرفعه إلى السماء، فأقاله ورفعه، فسجد اربعين سنة، ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطأ رأسه حياءً من الله عز وجل.

وأما الآخران فإنهما ثبتا على ذلك وكانا يغضبان من الناس يومهما فإذا أمسياً ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء.

قال قتادة: فما مر عليهما شهر حتى افتتنا قالوا جميعاً وذلك انهم اختصم عليهما ذات يوم الزهرة، وكانت من أجمل النساء. قال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وكانت من أهل فارس، وكانت ملكة في بلدها. فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها وانصرفت، ثم عادت في اليوم الثاني. ففعلا مثل ذلك. فأبت وقالت: لا إلا أن تعيدا ما أعبد وتُصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها. فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها. فراوداها عن نفسها. فعرضت عليهما ما قالت بالأمس. فقالا: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فانتعشا ووقعا بالمرأة وزنيا. فلما فرغا رأهما أنسانا فقتلاه.

قال الربيع بن أنس: سجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكباً وقال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) والسدي والكلبي: إنها قالت لهما: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء. فقالا: بسم الله الأكبر. قالت: فما أنتما تدركاني حتى تعلمانيه. فقال أحدهما لصاحبه: علمها. قال: فأني أخاف الله.

قال الآخر: فأين رحمة الله فعلماهما ذلك. فتكلمت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً.

فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها وقيدوها. فقالوا: هي هذه الكوكبة الحمراء واسمها بالفارسية ناهيد، وبالبنطية بيذخت يدل على صحة هذا القول ما روى جابر عن الطفيل عن علي

(رضي الله عنه) قال: كان النبي ﷺ إذا رأى سهيلاً قال: لعن الله سهيلاً إنه كان عشاراً باليمن ولعن لله الزهرة فإنتها فتنت ملكين.

وقال مجاهد: كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي: أرمق بالكوكبة يعني الزهرة فإذا طلعت فأيقظني. فلما طلعت ايقظته فجعل ينظر إليها ويستبها سباً شديداً. فقلت: رحمك الله سببت نجماً سامعاً مطيعاً ماله ليسب؟ فقال: إن هذه كانت بغياً. فلقى ملكان منها مالقياً.

وقال ابن عمر إذا رأى الزهرة قال: لا مرحباً بها ولا أهلاً وروى أبو عثمان [المرندي] عن ابن عباس: إن المرأة التي فتنت بها الملكان مُسخت فهي هذه الكوكبة الحمراء يعني الزهرة قال: وكان يسميها بيذخت. وأنكر الآخرون هذا القول. قالوا: ان الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواماً للعالم وأقسم بها فقال: ﴿فلا أقسم بالكواكب السبعة الكتنس﴾^(١). قلنا كانت هذه التي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى زهرة من جمالها فلما بغت مسحها الله تعالى شهاباً فلما رأى رسول الله ﷺ الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الاسمين فلعنها، وكذلك سهيل العشار ولما رأى رسول الله ﷺ النجم ذكره فلعنه ويدل عليه ما روى قيس ابن عباد عن ابن عباس في هذه القصة:

قال: كانت امرأة فضّلت على الناس كما فضّلت الزهرة على سائر الكواكب، ومثله قال كعب الأحبار والله أعلم.

قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حلّ بهما فقصد إدريس النبي ﷺ فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عزّ وجلّ فقالا له: إنا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا إلى ربك؟

ف فعل ذلك ادريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فأختارا عذاب الدنيا إذ علما إنه ينقطع فهما يبابل يعذبان.

واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال عبدالله بن مسعود: هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة.

قتادة: كبّلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما.

مجاهد: إن جباً ملئت ناراً فجعلها فيها حضيف معلقان منكسان في السلاسل.

عمير بن سعد: منكوسان يضربان بسياط الحديد.

ويروى إن رجلاً أراد تعلّم السحر فقصد هاروت وماروت فوجدهما معلقين بأرجلهم

مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا قدر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال: لا إله إلا الله وقد نهي عن ذكر الله فلمّا سمعا كلامه قالاه: من أنت؟ قال: رجل من الناس. قالاه: ومن أيّ أمة أنت؟

قال: من أمة محمد ﷺ. قالاه: وقد بعث محمد؟ قال: نعم قالاه: الحمد لله وأظهرا الاستبشار. فقال الرجل: وميمّ إستبشاركما؟

قالاه: لأنه نبي الساعة وقد دنا إنقضاء عذابنا. قالوا ومن ثمّ استغفار الملائكة لبي آدم. وعن الأوزاعي قال: المعنى إنّ جبرئيل أتى النبي ﷺ فقال له: «يا جبرئيل صف ليّ النار؟ فقال: إنّ الله أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثمّ أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثمّ أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضي لهيبها ولا جمرها، والذي بعثك بالحق لو أنّ ثوباً من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً ولو أنّ ذنوباً من سرايبها صبّت في الأرض جميعاً لقتل من ذاقه، ولو أنّ ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعاً لذابت وما استقلت ولو إنّ رجلاً دخل النار ثمّ أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي ﷺ وبكى جبرئيل لبكائه وقال: أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر! قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً» [٩٧]، ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه؟ قال: أخاف أن أبتلّي بما أبتلّي هاروت وماروت. فهو الذي منعني عن اتكالي على منزلتي عند ربّي فأكون قد آمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء أنّ يا جبرئيل ويا محمد إنّ الله قد أمنكما أن تعصياه فيعذبكما^(١) ففضّل محمد على الأنبياء كفضل جبرائيل على ملائكة السماء.

﴿وما يعلمان﴾ يعني الملكين ﴿من أحد﴾ من صلة لا يعلمان السحر أحداً حتى ينصحاها أولاً وينهاها ويقولوا ﴿إنما نحن فتنة﴾ إبتلاء ومحنة.

﴿فلا تكفر﴾ بتعلم السحر وأصل الفتنة الاختبار.

تقول العرب: فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتعرف جودته من رداءته.

وفتنت الشمس الحجر إذا سودته.

وإنما وحدّ الفتنة وهما إثنان؛ لأنّ الفتنة مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع كقولهم: ﴿وعلى سمعهم﴾ وفي مصحف أبي: وما يعلم الملكان من أحد حتى يقولوا إنّما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرّات.

(١) إلى هنا في بحار الأنوار: ٣٠٦/٨ ح ٦٤.

قال السدي وعطاء: فإن أبي إلا التعلّم قال له: إتت هذا الرماد فبُل عليه فيخرج منه نورٌ ساطع في السماء فتلك المعرفة وينزل شيء أسود حتى يدخل مسامعه يشبه الدخان وذلك غضب الله عزّ وجلّ.

قال مجاهد: إنّ هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة إختلافة واحدة.

وقال يزيد بن الأصم: سئل المختار: هل يرى اليوم أحد هاروت وماروت؟

قال: أما منذ أتفتكت بابل إئتفاكها الآخر لم يرها أحد.

قال قتادة: السحر سحران: سحرٌ تعلّمهم الشياطين وسحرٌ يعلمه هاروت وماروت وهو قوله تعالى ﴿فیتعلّمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وهو أن يؤخذ كلّ واحد منهما عن صاحبه ويبغض كل واحد إلى صاحبه.

وفي (المرء) أربع قراءات: قرأ الحسن: المرّ بفتح الميم وتشديد الراء جعله عوضاً عن الهمزة.

وقرأ الزهري: المرء بضم الميم والهمزة.

وحكى يعقوب عن جدّه: بكسر الميم والهمزة.

وقرأ الباقون: بفتح الميم والهمزة.

وأما كيفية تعليمهما السحر فقد ورد فيه خبر جامع وهو ما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ: أنها قالت: قدمت عليّ امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبغي رسول الله ﷺ بعد موته حدّثته ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر قالت عائشة لعروة: يا ابن أخي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ وكانت تبكي حتى إنّي لأرحمها بقولي واني لأخاف أن تكون قد هلكت، قالت كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز وشكوت إليها ذلك فقالت: إنّ فعلت ما أمرك به فأجعله يأتيك فلما كان الليل جائتني بكليين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن حتى وقفنا على بابل، فإذا برجلين معلّقين بأرجلهما فقالا: ما جاء بك؟ فقلت أتعلّم السحر.

فقالا: إنّما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي فأبيت فقلت: لا.

قالا: فأذهبي إلى ذلك التّور فبُولي فيه فذهبت ففرغت ولم أفعل فرجعت إليهما فقالا: فعلت، قلت: نعم. فقالا هل رأيت شيئاً؟ قلت: لم أر شيئاً.

فقالا: لم تفعلني ارجعي إلى بلدك ولا تكفري فأبيت، فقالا: اذهبي إلى التّور فبُولي فيه.

فذهبت فاقشعرّ جلدي وخفت ثم رجعت إليهما فقلت قد فعلت. قالا: فما رأيتي؟

قلت: لم أر شيئاً.

فقالا: كذبت لم تفعلني، ارجعي إلى بلادك فلا تكفري فإنك على رأس أمرك. فأبيت.
فقالا: اذهبي إلى ذلك الثور فبُولي فيه فذهبت إليه فبلت فيه، فأريت فارساً مقتعاً بالحديد خرج
مَنِي حَتَّى ذَهَبَ فِي السَّمَاءِ وَقَدْ غَابَ عَنِّي حَتَّى لَمْ أَرَهُ فَجِئْتُهُمَا فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتَ قَالَا: فَمَا رَأَيْتَ؟

قلت: رأيت فارساً مقتعاً بالحديد خرج مَنِي فذهب في السماء حَتَّى مَا أَرَاهُ. قَالَا: صَدَقْتَ
ذَلِكَ إِيْمَانُكَ خَرَجَ مِنْكَ إِذْهَبِي إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَوْلِ لَهَا: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَيْئاً وَمَا قَالَ لِي شَيْئاً، قَالَتْ
بَلَى، قَالَا: لَنْ تَرِيدِي شَيْئاً إِلَّا كَانَ. خَذِي هَذَا الْقَمْحَ فَأَبْذُرِي فَبَذَرْتُ فَقُلْتُ: إِطْلِعِي فَطَلَعَتْ
فَقُلْتُ: إِحْقَلِي فَحَقَلَتْ ثُمَّ قُلْتُ إِفْرَكِي فَأَفْرَكْتَ ثُمَّ قُلْتُ اطْحَنِي فَطَحَنْتَ ثُمَّ قُلْتُ اخْبِزِي فَخَبِزَتْ
فَلَمَّا رَأَيْتَ إِنِّي لَا أُرِيدُ شَيْئاً إِلَّا كَانَ سَقَطَ فِي يَدِي وَنَدِمْتَ وَاللَّهِ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا فَعَلْتَ شَيْئاً قَطُّ
وَلَا أَفْعَلُهُ أَبَدًا.

فأما كيفية جواز تعليم السحر على الملائكة ووجه الآية وحملها على التأويل الصحيح:

فقال بعضهم: إنهما كانا لا يتعمدان تعليم السحر ولكنهما يصفانه ويذكران بطلانه ويأمران
باجتنابه واعلم وعلم بمعنى واحد وفي هذا حكمة: وهي إن سائلاً لو سأل عن الزنا لوجب أن
يوقف عليه ويعلم أنه حرام، وكذلك إعلام الملكين الناس وأمرهما باجتنابه بعد الاعلام
والأخبار إنه كفر حرام فيتعلم الشقي منهما وفي حلال صفتها وترك موعظتها ونصيحتها ولا
يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفرة وإنما يكون العمل به كفرة كما إن من عرف الزنا لم يأتهم
إنما يأتهم العامل به، والقول الآخر والأصح: إن الله تعالى إمتحن الناس بالملكين في ذلك
الوقت وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل القابل تعلم السحر فيكفر بتعلمه ويؤمن بترك
التعلم، لأن السحر كان قد كثر في كل الأمة ويزداد المعلمان عذاباً بتعليمه فيكون ذلك ابتلاء
للمعلم والمتعلم ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني اسرائيل بالنهر في قوله:
﴿إِنَّ اللَّهَ مَبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾^(١) يدل عليه قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وهذان حكاهما الزجاج
واعتمدهما. قال الله تعالى:

﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾ أي أحداً ومن صلة.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [أو إلا بقضاء الله أو إلا بإذن الله أي بمرأى ومسمع]^(٢) أي بعلمه
وقضائه ومشيئته وتكوينه [والساحر يسحر ولا يكون شيء]^(٣).

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٢) عن هامش المخطوط.

(٣) عن هامش المخطوط.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ أي السحر وقرأ عبيد بن عمير: ما يُضُرُّهم من أضرَّ يضرُّ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ يعني اليهود ﴿لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾ اختار السحر.

﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي في الجنة ﴿مِنْ خَلْقٍ﴾ من نصيب.

وقال الحسن: ماله في الآخرة من خلاق من دين ولا وجه عند الله.

ابن عباس: من قوام، وقيل من خلاص.

قال أمية: يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلا السراويل من قطر وإغلال، أي لا خلاص

لهم.

﴿وَلْيَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ﴾ باعوا به حظَّ ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ حين اختاروا السحر والكفر على الدين

والحق.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿وَاتَّقُوا﴾ اليهودية والسحر.

﴿لِمَثُوبَةٍ﴾ [ويجوز المثوبة بفتح الميم وفتح الواو كمشورة وكمشورة وهي مصدر من

الثواب] ^(١) ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ لكان ثواب الله عز وجل أياهم.

﴿خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمِعُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا
يُؤَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الشِّرْكَانَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا تَسْخَعُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ
مِنْهَا أَوْ يَشَاءُ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ الآية: وذلك إن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا

رسول الله وأرعنا سمعك يعنون من المراعاة، وكانت هذه اللفظة سباً مبيحاً بلغة اليهود، وقيل:

كان معناه عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل: هو إلحاد إلى الرعونة لما سمعتها اليهود اغتموها،

وقالوا فيما نسب بعضهم إلى محمد سراً. فاعلنوا الآن بالشتم، وكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا

محمد ويضحكون فيما بينهم. فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها، وكان يعرف لغتهم. فقال

لليهود: عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده يامعشر اليهود إن سمعنا من رجل منكم يقولها لرسول

الله ﷺ لضربت عنقه. فقالوا: أولستم تقولونها؟

فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله ﷺ.

وفي هذه اللفظة ثلاث قرأت:

قرأ الحسن راعناً بالتنوين أراد قولاً راعناً: أي حقاً من الرعونة فحذف الاسم وأبقى الصفة. كقول الشاعر:

ولا مثل يوم في قدار ظله كأي وأصحابي على قرن أعفرا
أراد قرن ظبي أعفر. حذف الاسم وأبقى النعت.
وقرأ أبي بن كعب: راعونا بالجمع.

وقرأت العامة: راعنا بالواحد من المراعاة. يُقال: أرعى إلى الشيء وارعاه وراعاه. إذا أصغى إليه واستمعه. مثل قولهم: عافاه الله وعافاه.
قال مجاهد: لا تقولوا راعنا: يعني خلافاً.

يمان: هجرأ.

الكسائي: شرأ.

﴿وقولوا انظرن﴾ قال أبي بن كعب: انظرننا بقطع الألف أي أخرجنا، وقرأت العامة موصولة أي انظر إلينا. فحذف حرف التعدية كقول قيس بن الحطيم:

ظاهرات الجمال والحسن ينظرن كما ينظر الأراك الظباً
أي إلى الأراك، وقيل: معناه انتظرننا وتأننا. كقول امرؤ القيس:

فانكما أن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جنذب
وقال مجاهد: معناه فهَمْنَا، وقال يمان: بين لنا

﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به، والمراد به اطيعوا لأن الطاعة تحت السمع.

﴿وللكافرين عذاب أليم﴾ يعني اليهود.

﴿ما يؤدّ الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ الآية: وذلك إن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما نحن عليه ولو [هدانا]^(١) لكان خيراً. فأنزل الله تعالى تكذيباً لهم (ما يؤدّ): يريد ويتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود.

(١) كلمة غير مقروءة في المخطوط والظاهر ما أثبتناه.

﴿ولا المشركين﴾^(١) مجرور في اللفظ بالنسق على من مرفوع المعنى بفعله كقوله عز وجل ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾^(٢) ﴿أن ينزل عليكم من خير﴾ أي خير كما نقول: ما أتاني من أحد من فيه، وفي جوابها صلة، وهي كثيرة في القرآن.

﴿والله يختص﴾ والاختصاص أوكد من الخصوص لأن الاختصاص لنفسك والخصوص لغيرك.

﴿برحمته﴾ بنبوته. ﴿من يشاء﴾ يخص بها محمداً ﷺ.

﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ [أي ابتداء لعلي... خير علة أو المراد من الرحمة الإسلام والهداية^(٣)] ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ الآية وذلك إن المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر لم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع فيه غداً، ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقول من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً. فأنزل الله ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾^(٤)، وأنزل أيضاً ﴿ما ننسخ من آية﴾ ثم بين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية.

وأعلم إن النسخ في اللغة شيان:

الوجه الأول: بمعنى التغيير والتحويل قال الفراء: يُقال: مسخه الله قرداً ونسخه قرداً، ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب فينقل ما فيه إليه قال الله تعالى ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾^(٥): أي نأمر الملائكة بنسخها.

قال ابن عباس في هذه الآية: أُلستم قوماً عرباً هل يكون نسخه إلا من أصل كان قبل ذلك؟ وعلى هذا الوجه القرآن كله منسوخ؛ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ فأنزل على النبي ﷺ.

روى عبد الوهاب بن عطاء عن داود عن عكرمة عن ابن عباس: أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزله جبرائيل على محمد آياً بعد آي، وكان فيه ما قال المشركون ورد عليهم.

والوجه الثاني: بمعنى رفع الشيء وإبطاله يُقال: نسخت الشمس الظل: أي ذهبت به وأبطلته [...]. عني بقوله ما ننسخ من آية وعلى هذا الوجه يكون بعض القرآن ناسخاً ومنسوخاً وهي ما تعرفه الأمة من ناسخ القرآن ومنسوخه وهذا أيضاً يتنوع نوعين:

(١) في هامش المخطوطة: والمراد مشركو العرب كأبي سفيان.

(٢) سورة الأنعام: ٣٨.

(٣) عن هامش المخطوط.

(٤) سورة النحل: ١٠١.

(٥) سورة الجاثية: ٢٩.

أحدهما: إن ثبت خط الآية، وينسخ علمها والعمل بها. كقول ابن عباس في قوله ﴿ما ننسخ من آية﴾ قال: ثبت خطها وتبدل حكمها. ومنها رفع تلاوتها وبقاء حكمها مثل آية الرجم. الثاني: أن تُرفع الآية أصلاً أي تلاوتها وحكمها معاً فتكون خارجة من خط الكتاب، وبعضها من قلوب الرجال أيضاً، والشاهد له ما روي أبو أمامة سهل بن حنيف في مجلس سعيد ابن المسيب: إن رجلاً كانت معه سور. فقام يقرأها من الليل فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها. فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرأها فلم يقدر عليها. فأصبحوا فاتوا رسول الله ﷺ فقال بعضهم: يا رسول الله قمت البارحة لأقرأ سورة كذا وكذا فلم أقدر عليها، وقال الآخر: يا رسول الله ما جئت إلا لذلك، وقال الآخر: وأنا يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «إنها نُسخَت البارحة» [٩٨] (١).

ثمَّ إعلم أنَّ التَّسخِخَ إمتا يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار؛ إذا نُسخ صار المخبر كذاباً، وإنَّ اليهود حاولوا نسخ الشرائع وزعموا إنَّه بءاء فيقال لهم: أليس قد أباح الله تزويج الأخت من الأخ ثمَّ حظره وكذلك بنت الأخ وبنت الأخت؟ أليس قد أمر إبراهيم ﷺ بذبج ابنه، ثمَّ قال له لا تذبحه؟

أليس قد أمر موسى بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد العجل منهم وأمرهم برفع السيف عنهم؟ أليست نبوة موسى غير متعبد بها، ثمَّ تُعبد بذلك؟ أليس قد أمر حزقيل النبي بالختان، ثمَّ نهاه عنه؟ فلما لم يلحقه بهذه الأشياء بءاء فكذلك في نسخ الشرائع لم يلحقه بءاء بل هو نقل العباد من عبادة إلى عبادة، وحكم إلى حكم؛ لضرب من المصلحة إظهار لحكمته وكمال مملكته وله ذلك وبه التوفيق.

فهذه من علم التَّسخِخِ وهو نوع كثير من علوم القرآن، لا يسع جهله لمن شرع إلى التفسير. وعن أبي عبدالرحمن السلمي: إنَّ علياً ﷺ مرَّ بقاص يقصُّ في جامع الكوفة بباب كندة فقال: هل تعلم التَّسخِخَ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت وأهلكت (٢).

وأما معنى الآية لقوله ﴿ما ننسخ من آية﴾ قرأت العامة بفتح النون والسين من التَّسخِخِ. وقرأ ابن عامر: بضم النون وكسر السين.

قال أبو حاتم: هو غلط وقال: بعضهم له وجهان، أحدهما نجعله نسخه من قولك نسخت الكتاب إذا كتبه وأنسخته غيري إذا جعلته نسخة له ومعناها ما مسختك.

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٣٤، والدر المثور: ١٠٥/١.

(٢) المصنف لعبد الرزاق: ٣/٢٢١ ح ٥٤٠٧، والناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٥.

والوجه الثاني: تجعله في جملة المنسوخ كقولك: طردت الرجل إذا نفيته وأطردته جعلته طريداً. قال الشاعر:

طردتني حسد الهجاء حيفاء واللات والأصنام ما قالوا تنل
أو نسها^(١): فيه تسع قراءات:

قرأ سعيد بن المسيب وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب: نسها بضم النون وكسر السين. وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم أي: نُسها نسياً قاله أكثر المفسرين.

قال الحسن: هو ما أنسى الله رسوله ﷺ.
قال ابن عباس: أي تركها ولا نبذلها قال الله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فأنسَاهُمْ﴾^(٢) وقال الله تعالى: ﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾^(٣). كل هذا من الترك كأنه جعل أنسى ونسى بمعنى واحد.

قال الكلبي وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا منصور الأزهري يقول: معناه أو نأمر بتركها يقال أنسيت الشيء أي أمرت بتركه.

قال الشاعر:

جرت علي قصة أقصيتها لست بنا سيها مَجْمَع ولا منسيها
أي ولا أمر بتركها.

وقرأ أبي بن كعب: أو ننسيك.

وقرأ عبدالله: ننسيك من آية أو ننسخها.

قرأ سالم مولى حذيفة: أو ننسكها.

وقرأ أبو رجاء: أو ننسها بالتشديد، وقرأ الضحّاك: أو ننسها بضم التاء وفتح السين على مجهول، وقرأ سعد بن أبي وقاص: أو ننسها بقاء المفتوحة من النسيان، وعن القاسم بن الربيع ابن فائق؛ قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: بالنسخ من آية أو ننسها.

قال: فقلت له: إن سعيد بن المسيّب يقرأ: ننسها. قال: إن القرآن لم ينزل على آل المسيّب.

(١) في هامش المخطوطة: عن قلبك أي تركها. (٢) سورة التوبة: ٦٧.

(٣) سورة طه: ١٢٦.

(٤) سورة الأعلى: ٦.

(٥) سورة الكهف: ٢٤.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(١) ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾^(٢).

وقرأ مجاهد: (أو ننسها) بفتح النون مخففة أي نتركها.

وقرأ عمر بن الخطاب وابن عباس وعبيد بن عمير وعطاء وابن كثير وابو عمرو والنخعي: أو ننسها بفتح النون الأول وفتح السين مهموزة فلا تؤخرها فلا تبدلها ولا ننسخها، يقال: نسأ الله في أجله وأنسأ الله أجله، ومنه النسيته في البيع.

وقال أبو عبيد: ننسأها مجازة نمضيها لذكر ما فيه، قال طرفه:

أمون كألواح الاران نسأتها على لا حب كأنه ظهر بوجد^(٣)

أي لسقتها وأمضيها، وقال سعيد بن المسيب وعطاء: أما ما ننسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعله من النسخة، أو ننسأها تؤخرها فلا يكون وهو ما لم ينزل.

﴿ناتٍ بخير منها﴾^(٤) أي بما هو أجدى وأنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم لا أن آية خير من آية؛ لأن كلام الله عز وجل واحد ولكنها في المنفعة المثوبة وكله خير.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧٧﴾
 أَمْ تَرْيَدُونَ أَنْ نَسْأَلَكُمُ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٧٨﴾ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَقَارِئًا حَسَبًا مِنْ عِنْدِ
 أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَأَضْحَكُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿١٧٩﴾

﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾^(٥) قادر قال الزجاج: لفظه استفهام ومعناه توفيق

وتقرير.

﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم﴾ يا معشر الكفار عند نزول

العذاب.

﴿من دون الله من وليّ قريب وصديق.

﴿ولا نصير﴾ ناصر يمنعكم من العذاب.

﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم﴾ الآية. قال ابن عباس: نزلت في عبدالله بن أمية

(١) مجمع البيان: ٣٤٦/١.

(٢) في هامش المخطوطة: وكل مانسخ إلا اليسير فالناسخ أسهل في العمل.

(٣) في هامش المخطوطة: من النسخ والتبديل.

المخزومي ورهط من قريش قالوا: يا محمد أجعل لنا الصفا ذهباً ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً نؤمن بك.

فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿أَمْ تَرِيدُونَ﴾ يعني أتريدون والميم صلة لأنّ أم إذا كان بمعنى العطف لا تكون ابتداء ولا تأتي إلاّ مردودة على استفهام قبلها، وقيل معناه: بل يريدون كقول الشاعر:
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها أم أنت في العين أملح^(١)
أي بل أنت.

﴿أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ محمّداً.

﴿كما سئل موسى من قبل﴾ سأله قومه فقالوا: أرنا الله جهرة، وقال مجاهد: لمّا قالت قريش هذا لرسول الله ﷺ قال: «نعم وهو كالمائدة لبني إسرائيل إن لم تؤمنوا عذبتم» [٩٩] فأبوا ورجعوا، والصّحيح أن شاء الله إنها نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمد أتتنا بكتاب من السماء تحمله، كما أتى موسى بالتوراة، لأنّ هذه السّورة مدنية، وتصديق هذا القول قوله تعالى:
﴿يسألك أهل الكتاب أن تُنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾^(٢) في سئل ثلاث قراءات:

بالهمز: وهي قراءة العامّة، و(سئل) بتلحين الهمزة وهي قراءة أبي جعفر و(سئل) مثل (قيل) وهي قراءة الحسن.

﴿ومن يتبدّل الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيل﴾ أخطأ وسط الطريق.

﴿ودّ كثير من أهل الكتاب﴾ الآية نزلت في نفر من اليهود منهم: فنحاص بن عازورا وزيد ابن قيس؛ وذلك إنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم تري ما أصابكم ولو كنتم على الحقّ ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سيلاً. فقالوا لهم: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد.

قال: فإني قد عاهدتُ ألاّ أكفر بمحمّد ﷺ ما عشت. فقالت اليهود: أمّا هذا فقد صبر، وقال حذيفة: وأمّا أنا فقد رضيت بالله ربّاً وبمحمّد نبياً وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين أخواناً.

ثمّ أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك فقال: «أصبتما الخير وأفلحتما» [١٠٠]^(٣). فأنزل الله تعالى ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب﴾ أي تمنى وأراد كثير من اليهود.

(١) مجمع البيان: ٢٨١/١.

(٢) سورة النساء: ١٥٣.

(٣) تفسير الكشاف: ١٧٦/١.

﴿لو يردونكم﴾ يا معشر المؤمنين .

﴿من بعد إيمانكم كفاراً﴾ في انتصابه وجهان قيل: بالردّ وقيل: بالحال . ﴿حسداً﴾ وفي نضبه أيضاً وجهان: قيل على المصدر أي يحسدونكم حسداً، وقيل: بنزع حرف الصلة تقديره للحسد . وأصل الحسد في اللغة الالفاظ بالشيء حتى يחדشه وقيل: للمسحاة محسد وللغراد حسدل زيدت فيه اللآم كما يقال للعبد: عدل .

﴿من عند أنفسهم﴾ أي من تلقاء أنفسهم لم يأمر الله عز وجل بذلك .

﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ في التوراة إن محمداً صادق ودينه حق .

﴿فاعفوا﴾ فاتركوا . ﴿واصفحوا﴾ وتجاوزوا .

﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ بعذابه القتل والسببي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير قاله ابن عباس .

وقال قتادة: هو أمره بقتالهم في قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ إلى ﴿وهم صاغرون﴾^(١) .

وقال ابن كيسان: بعلمه وحكمه فيهم حكم بعضهم بالإسلام ولبعضهم بالقتل والسبي والجزية، وقيل: أراد به القيامة فيجازيهم بأعمالهم .

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ .

وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

﴿واقموا الصلاة وآتوا الزكوة وما تقدموا﴾ تسلفوا .

﴿لأنفسكم من خير﴾ طاعة وعمل صالح .

﴿تجدوه﴾ تجدوا ثوابه ونفعه . ﴿عند الله﴾ وقيل: بالخبر الحال كقوله عز وجل ﴿إن ترك

خيراً^(١) ومعناه وما تقدّموا لأنفسكم من زكاة وصدقة تجدوه عند الله أي وتجذوا الثمرة واللقمة مثل أحد ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ورد في الحديث: إذا مات العبد قال الله: ما خلف؟ وقال الملائكة: ما قدّم؟

وعن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت رسول الله ﷺ دخل علي بن أبي طالب ﷺ الدار فأنشأ يقول:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة وكلّ الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل
ثم دخل المقابر فقال: السلام عليكم يا أهل القبور أموالكم قسّمت ودوركم سكنت
وأزواجكم نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندهم؟ فهتف هاتف: وعليكم السلام ما أكلنا
ربحنا وما قدّمنا وجدنا وما خلفنا خسرتنا^(٢).

﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ قال الفراء: أراد يهودياً فحذف الياء الزائدة ورجعوا إلى الفعل من اليهودية.

وقال الأخفش: اليهود جمع هايد مثل عائد وعود وحائل وحول وعايط وعوط وعايذ وعود، وفي مصحف أبي: إلا من كان يهودياً أو نصرانياً ومعنى الآية وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ولا دين إلا دين اليهودية وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ولا دين إلا النصرانية قال الله تعالى: ﴿تلك أمانيهم﴾ شهواتهم التي يشتهوها ويتمنوها على الله عزّ وجلّ بغير الحقّ وقيل أباطيلهم بلغة قريش.

﴿قل﴾ يا محمّد. ﴿هاتوا﴾ وأصله أتوا فقلبت الهمزة هاء.

﴿برهانكم﴾ حججتكم على ذلك وجمعه براهين مثل قربان قرباين وسلطان وسلطين.

﴿إن كنتم صادقين﴾ ثم قال ردّاً عليهم وتكديباً لهم ﴿بلى﴾ ليس كما قالوا بل يدخل الجنة من أسلم وجهه لله ﴿مقاتل﴾ أخلص دينه وعمله لله وقيل: فوض أمره إلى الله. وقيل: خضع وتواضع لله.

وأصل الإسلام والاستسلام: الخضوع والأنقياد وإنما خصّ الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه.

قال زيد بن عمرو بن نفيل: اسلمت وجهي لمن اسلمت له الأرض تحمل صخرأ ثقالا

(١) سورة البقرة: ١٨٠.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢٣٥/٩.

واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن يحمل عذبا زلالاً^(١)
 ﴿وهو محسن﴾ في عمله، وقيل: مؤمن، وقيل: مخلص.

﴿فله أجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿وقالت اليهود﴾ نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران؛ وذلك إنّ وفد نجران لما قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود فنظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والأنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة. فأنزل الله تعالى ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾.

﴿وهم يتلون الكتاب﴾ وكلا الفريقين يقرأون الكتاب أي لتبين في كتابكم سر الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم مافيه على أنهم على الباطل.

وقيل: كان سفيان الثوري إذا قرأ هذه الآية قال: صدقوا جميعاً والله كذلك.

﴿قال الذين لا يعلمون﴾^(٢) يعني أباءهم الذين مضوا.

﴿مثل قولهم﴾ قال مقاتل يعني مشركي العرب كذلك قالوا في نبيهم محمد ﷺ وأصحابه ليسوا على شيء من الدين.

وقال ابن جريج: قلت لعطاء: (كذلك قال الذين لا يعلمون) من هم؟

قال: أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ونحوهم، قالوا في نبيهم إنه ليس على شيء وأنّ الدين ديننا.

﴿فالله يحكم بينهم﴾ يقضي بين المحق والمبطل يوم القيامة.

﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من الدين.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيًا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الشَّرِيفُ الْكَرِيمُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَمْ يَأْتِ فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ كُلِّ لَمْ يَلِدْهُ وَلاَ كُنَّ لَمْ يَكُنْ ﴿١١٦﴾ وَإِذَا هُوَ آمُرًا فَيَقُولُ لَهُمْ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾ نزلت في ططيوس بن استيسانوس

(١) مجمع البيان: ٣٥٦/١.

(٢) في هامش المخطوطة: هم عوام اليهود لأنهم غير متعلمين.

الرّومي وأصحابه؛ وذلك إنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التّوراة وخرّبوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير وكان خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيّام عمر بن الخطّاب.

قتادة والسّدي: هو بخت نصر وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النّصارى ططايوس وأصحابه من أهل الرّوم.

قال السّدي: من أجل إنهم قتلوا يحيى بن زكريّا، وقال قتادة: حملهم بعض اليهود على معاونة بخت نصر البابلي المجوسي فأنزل الله إخباراً عن ذلك: ﴿ومن أظلم﴾ أي أكفر وأغثا ﴿ممن منع مساجد الله﴾ يعني بيت المقدس ومحاربه. (أن يذكر) في محل نصب المفعول الثاني لأنّ المنع يتعدّى إلى مفعولين تقديره ممّن منع مساجد الله. الذّكر، وإن شئت جعلت نصباً بنزع حرف الصّفة أي: من أن يذكر.

﴿وسعى في خرابها﴾ أي في عمل خرابها.

﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين﴾ وفي مصحف أبي الآخفاء.

قال ابن عباس: لا يدخلها بعد عمارتها رومي إلاّ خائفاً لو علم به قُتل.

قتادة ومقاتل: لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلاّ متنكراً مشارفه لو قدر عليه عوقب ونهك ضرباً.

السّدي: أخيفوا بالجزية، وقال أهل المعاني: هذا خبر فيه معنى للأمر كقول: اجهضوهم بالجهاد كي لا يدخلها أحد منهم إلاّ خائفاً من القتل والسّبي نظيره قوله: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله...﴾ إلى ﴿أبدأ﴾^(١) نهاهم عن لفظ الخبر فمعنى الآية: ما ينبغي لهم ولكم وهذا وجه الآية.

﴿لهم في الدّنيا خزي﴾ عذاب وهوان.

قال قتادة: هو القتل للحربي والجزية للذّمي.

مقاتل والكلبي: فتح مدائنهم الثلاثة: قسطنطينية ورومية وعمورية.

السّدي: هو إنّه إذا قام المهدي [في آخر الزمان] فتحت قسطنطينية فقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم فذلك خزيهم في الدّنيا.

﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو النّار.

إسماعيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: لا تقوم الساعة حتى تفتح مدينة هرقل ويؤذن فيها المؤمنون ويقسم فيها المال بالترضية فينقلبون بأكثر أموال رآها الناس قط فيينا هم كذلك إذا أتاهم إن الدجال قد خلفكم في أهليكم فيلقون ما في أيديهم ويجيئونهم ويقاتلونهم.

وقال عطاء وعبد الرحمن بن عوف: نزلت هذه الآية في مشركي عرب مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا محمداً ﷺ وأصحابه من حجّه والصلاة فيه عام الحديبية وإذا منعوا من تعميره بذكر الله عزّ وجلّ فقد سعوا في خرابه يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله﴾^(١) الآية ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ يعني أهل مكة يقول: أفتحها عليكم حتى تدخلوها أو تكونوا أولى بها منهم ففتحها الله عليهم وأمر رسول الله ﷺ: منادياً فنادى: ألا لا يحجّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان فطفق المشركون يقولون: اللهم إنا قد منعنا أن نشرك بهذا لهم في الدنيا خزي الذل والقتل والسبب والتقي ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

﴿ولله المشرق والمغرب﴾ الآية: اختلفوا في سبب نزولها فقال ابن عباس: خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر وذلك قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فاصابهم الضباب فحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلّوا فمنهم من صلّى إلى المشرق ومنهم من صلّى إلى المغرب. فلما ذهب الضباب استبان لهم إنهم لم يصيبوا. فلما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت هذه الآية بذلك.

وقال عبدالله بن عامر بن ربيعة: كنّا مع رسول الله ﷺ في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلاً فجعل الرجل يتخذ أحجاراً فيعمل مسجداً يُصلّي فيه، فلما أصبحنا إذا نحن قد صلّينا إلى غير القبلة فقلنا يا رسول الله: لقد صلّينا ليلتنا هذه إلى غير القبلة فأنزل الله هذه الآية.

قال عبد الله بن عمر: نزلت في صلاة المسافر يُصلّي حيثما توجّهت به راحلته تطوعاً، وكان رسول الله ﷺ يُصلّي على راحلته جاثياً من مكة إلى المدينة.

وعن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يُصلّي على راحلته في السفر حيثما توجّهت به^(٢).

قال عكرمة: نزلت في تحويل القبلة لما حوّلت إلى الكعبة. فأنزل الله تعالى ﴿ولله المشرق والمغرب﴾.

﴿فأينما تولوا﴾ أيها المؤمنون في سفركم وحضركم.

(٢) كتاب الأم للشافعي: ١١٨/١، ومسنّد أحمد: ٦٦/٢.

(١) سورة التوبة: ١٧.

﴿فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ قبله الله التي وجهكم إليها فاستقبلوها يعني الكعبة، وقال أبو العالية: لما غيّرت القبلة إلى الكعبة عيّرت اليهود المؤمنين في انحرافهم من بيت المقدس. فأنزل الله تعالى هذه الآية جواباً إليهم.

عطاء وقتادة: نزلت في النجاشي وذلك إنه توفي، فأتى جبرئيل النبي ﷺ فقال: إن أخاكم النجاشي قد مات فصلّوا عليه. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: كيف نُصَلِّي على رجل مات وهو يُصلي إلى غير قبلتنا؟ وكان النجاشي يُصلي إلى بيت المقدس حتّى مات. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مجاهد والحسن والضحاك: لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) قالوا أين ندعوه؟ فنزلت ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا﴾ تحوّلوا وجوهكم ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾.

وقال الكلبي والقتبي: معناه فثمّ الله عليم يرى والوجه صلة كقوله تعالى. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي يريدونه بالدعاء، وقوله ﴿كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٍ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢). أي إلا هو، وقوله تعالى ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾^(٣) أي ويبقى ربك، وقوله ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾^(٤) أي لله.

وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان: فثمّ قبله الله أضافها إلى نفسه تخصيصاً وتفصيلاً، كما يُقال: بيت الله، وناقة الله، والوجه والجهة والوجهة: القبلة.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ قال الكلبي: واسع المغفرة لا يتعاضم مغفرته ذنب دليله قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾^(٥).

أبو عبيدة: الواسع الغني يُقال: يُعطي فلان من سعة أي من غنى قال الله ﴿لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾^(٦) قال الفراء: الواسع الجواد الذي يسع عطاءه كل شيء. دليله قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٧) وقيل: الواسع العالم الذي يسع علمه كل شيء. قال الله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٨) أي علمه.

﴿عليم﴾ بنياتهم حيثما صلّوا ودعّوا، وقال بعض السلف: دخلت ديراً فجاء وقت الصلوة فقلت لبعض من في الدّير: دلني على بقعة طاهرة أصلي فيها. فقال لي: طهر قلبك عمّن سواه، وقف حيث شئت. قال: فخجلت منه.

(١) سورة غافر: ٦٠.

(٢) سورة القصص: ٨٨.

(٣) سورة الرحمن: ٢٧.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٦.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٦) سورة النجم: ٣٢.

(٧) سورة الطلاق: ٧.

(٨) سورة الإنسان: ٩.

﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾ نزلت في يهود أهل المدينة حيث قالوا: عُزيراً بن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح بن الله وفي مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله. (سبحانه) نزه وعظم نفسه.

﴿بل له ما في السموات والأرض﴾ عبداً وملكاً.

﴿كل له قانتون﴾ مجاهد وعطاء والسدي: مطيعون دليله قوله تعالى ﴿والقانتين والقانتات﴾^(١).

عكرمة ومقاتل ويمان: مقرون بالعبودية.

ابن كيسان: قائمون بالشهادة، وأصل القنوت: القيام، وسئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت» [١٠١] ^(٢)، وقيل: مصلون دليله قوله ﴿أمن هو قانت أثناء الليل﴾^(٣) وقال رسول الله ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله مثل القانت الصائم» [١٠٢]. أي المُصلي^(٤).

وقيل: داعون. دليله قوله تعالى ﴿قوموا لله قانتين﴾^(٥) واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال بعضهم: هو خاص، ثم سلخوا في تخصيصه طريقين: أحدهما هو راجع إلى عُزير والمسيح والملائكة، وهو قول مقاتل ويمان.

القول الثاني قالوا: هو راجع إلى أهل طاعته دون الناس أجمعين وهذا قول ابن عباس والفراء، وقال بعضهم: هو عام في جميع الخلق ثم سلخوا في الكفار الجاحدين طريقتين أحدهما: إن ظلالهم تسجد لله وتطيعه، وهذا قول مجاهد دليله قوله عز وجل ﴿يتفيثوا ظلاله عن اليمين﴾^(٦) الآية. قال الله تعالى ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾^(٧).

والثاني: هذا يوم القيامة قاله السدي وتصديقه قوله تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾^(٨).

﴿بديع السموات والأرض﴾ أي مبتدعها ومنشأها من غير مثال سبق ﴿وإذا قضى أمراً﴾ أي بيده وأراد خلقه وأصل القضاء إتمام الشيء وإحكامه.

قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبّع

(١) سورة الأحزاب: ٣٥. (٢) مسند أحمد: ٣/٣٠٢، وسنن الدارمي: ١/٢٣٩ ح ٣٨٥.

(٣) سورة الزمر: ٩. (٤) مسند أحمد: ٢/٤٣٨، ومجمع الزوائد: ٥/٢٧٥.

(٥) سورة البقرة: ٢٣٨. (٦) سورة النحل: ٤٨.

(٧) سورة الرعد: ١٥. (٨) سورة طه: ١١١.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون﴾.

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنزِيلًا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشْغَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَإِنْ رَضِىَ عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بَلَّغْتَ قَلْبَكَ عَنْهُ هُوَ الْمَكِيدُ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَدَأَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعَذَابِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ تَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَتَّبِعِ إِشْرَاقَهُمْ أَذْكَرُوا يَغْمَى الْآبَى أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ يعني اليهود قاله ابن عباس.

مجاهد: هم النصارى. قتادة: هم مشركو العرب. ﴿لولا﴾ هلا ﴿يكلمنا الله﴾ عياناً بأنك رسوله.

﴿أو تأتينا آية﴾ دلالة وعلامة على صدقك.

قال الله تعالى: ﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ أي كفار الأمم الخالية ﴿مثل قولهم تشابهت قلوبهم﴾ أشبه بعضها بعضاً في الكفر والفرقة والقسوة.

﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ ﴿إننا أرسلناك﴾ يا محمد ﴿بالحق﴾ بالصدق من قولهم فلان محق في دعواه إذا كان صادقاً دليلاً قوله تعالى ﴿ويستنبئونك﴾^(١) أحق هو؟ أي صدق. مقاتل: معناه لن نرسلك عبثاً بغير شيء بل أرسلناك بالحق، دليلاً قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾^(٢) وهو ضد الباطل.

ابن عباس: بالقرآن دليلاً قوله تعالى: ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم﴾^(٣).

ابن كيسان: بالاسلام دليلاً قوله عز وجل: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾^(٤) ﴿بشيراً﴾ مبشراً لأولياي وأهل طاعتي بالثواب الكريم.

﴿ونذيراً﴾ منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم.

﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ عطاء وابن عباس: وذلك إن النبي ﷺ، قال ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبواي» [١٠٣] فنزلت هذه الآية^(٥).

(١) سورة يونس: ٥٣. (٢) سورة الأحقاف: ٣.

(٣) سورة ق: ٥. (٤) سورة الإسراء: ٨١.

(٥) تفسير القرآن لعبد الرزاق: ٥٩/١، وتفسير الطبري: ٧١٩/١.

وقال مقاتل: هو إنَّ النبي ﷺ قال: «لو أنزل الله بأسه باليهود لأمنوا» [١٠٤]^(١). فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ وفيه قراءتان: بالجزم على النهي وهي قراءة نافع وشيبة والأعرج ويعقوب ووجهها القول الأول في سبب نزول الآية.

وقرأ الباقون: بالرفع على النفي يعني: ولست بمسؤول عنهم دليلها قراءة ابن مسعود: ولن تسأل وقراءة أبي: وما نسألك عن أصحاب الجحيم ولا تؤخذ بذنبهم والجحيم وهو الجحيم والجحمة: معظم النار.

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ وذلك إنهم كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعونه ويرون إنَّه إن هادنهم إتبعوه ووافقوه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس: هذا في القبلة وذلك إنَّ يهود أهل المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلِّي النبي ﷺ إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شقَّ ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع﴾ دينهم وقبلتهم، وزعم الزجاج: إنَّ الملة مأخوذة من التأثير في الشيء كما تؤثر الملة في الموضع الذي يختبئ فيه.

﴿ولئن أتبت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم﴾ البيان بأنَّ دين الله هو الإسلام وقبلة إبراهيم ﷺ هي الكعبة.

﴿مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ قال ابن عباس: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكانوا أربعين رجلاً وإثنا وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا.

وقال الضحاك: من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه وسعيّة بن عمرو ويمام بن يهودا وأسيد وأسد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن سوريا.

قتادة وعكرمة: هم أصحاب محمّد ﷺ.

وقيل: هم المؤمنون عامّة.

﴿يتلون حقّ تلاوته﴾ الكلبي: يصفونه في كتبهم حقّ صفتهم لمن سألهم من الناس وعلى هذا القول الهاء راجعة إلى محمّد ﷺ.

وقال آخرون: هي عائدة إلى الكتاب ثمَّ اختلفوا في معنى قوله ﴿يتلون حقّ تلاوته﴾ سعيد عن قتادة قال: بلغنا عن ابن مسعود في قوله ﴿يتلون حقّ تلاوته﴾ قال: يحلّون حلاله ويحرمون حرامه، ويقرأونه كما أنزل، ولا يحرفونه عن مواضعه، وقال الحسن: يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون علم ما أشكل عليهم منه إلى عالمه.

(١) أسباب النزول للواحدي: ٢٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ١٢١/١، وراجع تفسير القرطبي: ٩٢/٢.

مجاهد: يتبعونه حق اتباعه.

﴿أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون * يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأتي فضلتكم على العالمين * واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعاة ولا هم يُنصرون﴾ إلى قوله ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه﴾.

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِن الثَّمَرَاتِ مِن أَمْنٍ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَنِشْرَ الْمُصِيرِ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَانعَمْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

قرأ أبو الشعثا جابر بن زيد: ﴿إبراهيم﴾ ربه إبراهيم رفعا وربه نصبا على معنى سأل ودعا فقيل له ومن اين لك هذا؟ فقال: اقرأنيه ابن عباس. وهذا غير قوي لأجل الباء في قوله ﴿بكلمات﴾ وقرأ الباقون بالنصب، وجعلوا معنى الأبتلاء الاختيار والامتحان في الأمر، وهو الصحيح، وفي ﴿إبراهيم﴾ أربع لغات: قرأ ابن الزبير: ابرهام بألف واحد بين الهاء والميم، وقرأ أبو بكر إبراهيم وكان زيد بن عمر يقول في صلاته: إني عدت بما عاذ به إبراهيم، إذ قال: إني لك اللهم عان راغم^(١)

وقرأ عبد الله بن عامر اليحصبي: ابراهام بألفين، وقرأ الباقون: إبراهيم . . . قال يحيى بن سعيد^(٢) الأنصاري: أقرأ ابراهام و ابراهيم. فإن الله عزّ وجلّ أنزلهما كما أنزل يعقوب واسرائيل، وعيسى والمسيح ومحمداً وأحمد.

الربيع ابن عامر: مصحفة مكتوب في مصاحف أهل الشام إبراهيم بالألف وفي غيرها بالياء.

وإبراهيم إسم أعجمي ولذلك لا يجري وهو إبراهيم بن نازح بن ناحور بن ساروخ بن ارخوا بن فالغ بن منابر بن الشالغ بن ارفخشذ بن سام بن نوح. فاختلفوا في مسكنه، فقال بعضهم: كان [بكشكر،]^(٣) وقال قوم: حرّان؛ ولكن أباه نقله إلى بابل أرض نمرود بن كنعان

(١) ومطلعه: مستقبل القبله وهو قائم. (٢) مجموعة كلمات سقط في المخطوط.

(٣) كذا في المخطوط.

واختلفوا في الكلمات التي ابتلى إبراهيم ﷺ:

عن ابن عباس: هي ثلاثون سهماً، وهي شرائع الإسلام، ولم يبتل أحد بهذا الدين كله فأقامه كله إلا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام).

﴿فأتمهن﴾ فكتب له البراءة. فقال: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ وهي عشرة في براءة ﴿التائبون العابدون﴾ الآية وعشرة في الأحزاب ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الآية، وعشرة في المؤمنين ﴿وسأل سائل﴾ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾، وقوله ﴿إلا المصلين﴾.

وروى طاووس عن ابن عباس قال: إبتلاه بعشرة أشياء هي من الفطرة والظهاراة خمس في الرأس وخمس في الجسد فالتى في الرأس قصّ الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، والتى في الجسد: تقليم الأظافر ونتف الأبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء.

مجاهد: هي الآيات التي في قوله: ﴿قال إني جاعلك للناس إماماً﴾ إلى آخر القصة.

الربيع وقتادة: مناسك الحج.

الحسن: إبتلاه بسبعة أشياء إبتلاه بالكواكب والقمر والشمس فأحسن في ذلك وعلم أنّ ربّه دائم لا يزول وإبتلاه بالنار فصبر على ذلك، وإبتلاه بذبح ابنه فصبر على ذلك وبإختان فصبر على ذلك وبالهجرة فصبر عليه.

سعيد بن جبير: هي قول إبراهيم وإسماعيل حين يرفعان البيت ﴿ربنا تقبل منا﴾^(١) فرفعا بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

يمان: هي محاجة قومه قال الله: ﴿وحاجّه قومه﴾ إلى قوله تعالى ﴿وتلك حاجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾^(٢).

أبو روق: هي قوله ﷺ ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ الآيات

وقال بعضهم: هي إنّ الله إبتلاه في ماله وولده ونفسه فسلم ماله إلى الضيفان، وولده إلى القربان، ونفسه إلى النيران، وقلبه إلى الرحمن فاتخذة خليلاً، وقيل: هي سهام الإسلام وهي عشرة: شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة والصلاة وهي القنطرة.. قال: [وَالزَّكَاةُ]^(٣) وهي الطهارة والصوم وهو الجنة والحج وهو الشريعة، والغزو وهو التصرة، والطاعة وهي العصمة، والجماعة وهي الألفة، والأمر بالمعروف وهو الوفاء والنهي عن المنكر وهو الحجة. فأتمهن. قال قتادة: أذاهن.

(٢) سورة الأنعام: ٨٣.

(١) سورة البقرة: ١٢٧.

(٣) كلمة غير مقروءة والظاهر ما أثبتناه.

الربيع: وفي بهنّ.

الضحّاك: [... أيمانهن] ^(١)، يمان: عمل بهن. قال الله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ يا إبراهيم للناس إماماً ﴿ لِيُقْتَدَىٰ بِكَ وَأَصْلُهُ مِنَ الْأُمِّ وَهُوَ الْقَصْدُ.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ومن أولادي أيضاً. فاجعل أئمة يُقتدى بهم وأصل الذرية الأولاد الصغار مشتق من الذر لكثرتهم، وقيل: من الذرر وهو الخلق فخفف الهمز وأدخل التشديد عوضاً عن الهمز كالبرية.

قيل: من الذرو وفيها ثلاث لغات:

ذرية بكسر الهمزة، وهي قراءة زيد بن ثابت، وذرية بفتحها وهي قراءة أبي جعفر، وذرية بضمها وهي قراءة العامة.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿لَا يَنْتَالُ﴾ أي لا يصيب.

﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وفيه ثلاث قراءات: عهدي الظالمون، وهي قراءة ابن مسعود وطلحة ابن مصرف، وعهدي الظالمين مرتجلة الياء، وهي قراءة أبي رجاء والأعمش وحمزة، وعهدي الظالمين بفتح الياء وهي قراءة العامة، واختلفوا في هذا العهد فقال عطاء بن أبي رباح: رحمتي.

الضحّاك: طاعتي دليله قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِي بَعْدِكُمْ﴾ ^(٢).

السدي: [التوفي] دليله قوله ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ ^(٣).

مجاهد: ليس الظالم أن يطاع في ظلمه.

أبو حذيفة: أمانتي دليله قوله ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ ^(٤).

أبو عبيد: أمانتي دليله قوله: ﴿فَاتَمَّوْا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدْتِهِمْ﴾ ^(٥)، وقيل: إيماني دليله عز وجل ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ لَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ ^(٦).

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ يعني الكعبة.

﴿مَثَابَةً﴾ مرجعاً والمثاب والمثابة واحد كالمقام والمقامة قال ابن عباس: يعني معاذاً وملجأً.

مجاهد وسعيد بن جبير والضحّاك: [يَبْنُونَ] إليه من كلّ جانب ويحجّون ولا يملّون منه فما من أحد قصده إلاّ وهو يتمنى العود إليه.

(٢) سورة البقرة: ٤٠.

(٤) سورة النحل: ٩١.

(٦) سورة يس: ٦٠.

(١) كلمة غير مقروءة.

(٣) سورة البقرة: ٢٧.

(٥) سورة التوبة: ٤.

قتادة وعكرمة: مجعاً، وقرأ طلحة بن مصرف: مثابات على الجمع.

﴿لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ مَأْمِنًا يَأْمَنُونَ فِيهِ .

قال ابن عباس: فمن أحدث حدثاً خارج الحرم ثم التجأ إلى الحرم أمن من أن يهاج فيه ولكن لا يؤوى ولا يخالط ولا يبايع ويوكل به فاذا خرج منه أقيم عليه الحد ومن أحدث في الحرم أقيم عليه الحد فيه .

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قرأ شيبه وابن عامر ونافع والأعرج والحسن وابن أبي إسحاق وسلام: وَاتَّخَذُوا بفتح الخاء على الخبر وقرأ الباقون: بالكسر على الأمر .

قال ابن كيسان: ذكروا أن رسول الله ﷺ مرَّ بالمقام ومعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أليس هذا مقام أبنينا إبراهيم؟ قال: «بلى» قال: أفلا نتخذة مصلى؟ قال: «لم أوامر بذلك» [١٠٥] (١).

فلم تغب الشمس من يومهم حتى نزلت: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ .

وعن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقني ربي في ثلاث . قلت: لو أتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت يا رسول الله: يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين فأنزل الله آية الحجاب قال: وبلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي ﷺ فاستنفرتهن فجعلت أقول لهن: لتكفن عن رسول الله أو استبدلته أزواجاً خيراً منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين .

وقالت أم سلمة: يا عمر أما في رسول الله ما يغبط نساءه حتى يعظهن مثلك وأمسكت فأنزل الله تعالى: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات﴾ (٢) الآية .

واختلفوا في معنى قوله ﴿من مقام إبراهيم﴾ قال إبراهيم النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم . يمان: المسجد كله مقام إبراهيم .

قتادة ومقاتل والسدي: هو الصلاة عند مقام إبراهيم أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه ولا تقبيله .

وأما قصته وبدء أمره .

فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة ولبت على ذلك مدة، ونزلها الجوهميون وتزوج إسماعيل امرأة منهم، وماتت هاجر . فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل . فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر

(١) مسند أبي الجعد: ٣٧، تفسير ابن كثير: ١/١٧٤ .

(٢) سورة التحريم: ٥ .

فذهب إلى بيت إسماعيل. فقال لأمرأته: أين صاحبك؟

قال: ليس هاهنا. ذهب للصيد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع. فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: ليس عندي ولا عندي أحد.

قال إبراهيم: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: فليغير عتبة بابه، وذهب إبراهيم، فجاء إسماعيل ووجد ريح أبيه. فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟

قالت: جاءني شيخ صفته كذا، كالمستخفة بصفته. قال: فما قال لك؟

قالت: قال لي أقرئي زوجك مني السلام، وقولي له: فليغير عتبة بابه. فطلقها، وتزوج أخرى. فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، وجاء إبراهيم حتى أتى إلى بيت إسماعيل.

فقال إبراهيم لامرأته: أين صاحبك؟

قالت: ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إنشاء الله فأنزل يرحمك الله.

قال لها: هل عندك ضيافة؟

قالت: نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر لكانت أرض الله برأً وشعيراً وتمراً وقالت له: إنزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاء بالمقام فوضعت تحت شقه الأيمن فوضع قدمه عليه وغسلت شق رأسه الأيمن ثم حوّلت المقام إلى شقه الأيسر فبقى أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيسر فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك. فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسن الناس شبهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي كذا وقلت له كذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال لها: ذلك إبراهيم عليه السلام ^(١).

وقال أنس بن مالك: رأيت في المقام أثر أصابعه وعقبه وأخصص قدميه غير إنه أذهب مسح الناس بأيديهم.

نافع بن شيبه يقول: سمعت عبدالله بن عمر يقول: أشهد ثلاث مرّات أتت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب» [١٠٦] ^(٢).

﴿عهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أي أمرناهما وأوصينا إليهما.

(١) تاريخ الطبري: ١٨١/١ ط. الأعلمي بيروت.

(٢) المجموع للنووي: ٣٦/٨، ومسند أحمد: ٢١٣/٢.

﴿أن طهراً بيتي﴾ الكعبة أي إبنياه على الطهارة والتوحيد.

وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمر وعطاء ومقاتل: طهراً بيتي من الأوثان والرّيب وقول الزور، وسمع عمر رضي الله عنه صوت رجل في المسجد فقال: ما هذا أتدري أين أنت؟

الأوزاعي عن عهدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله أوحى إليّ يا أخ المرسلين يا أخا المنذرين إنذر قومك ألا يدخلوا بيتاً من بيوتهم إلا بقلوب سليمة وألسن صادقة وأيد نقيّة وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتاً من بيوتهم ولأحد عندهم مظلمة فإتي ألعنه ما دام قائماً بين يديّ يصليّ حتى يردّ تلك الظلامة إلى أهلها فأكون سمعه الذي يسمع به وأكون بصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» [١٠٧] (١).

وقال يمان بن رثاب: معناه بخراه وخلقه (٢).

مكحول عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: «جنّبوا مساجدكم غلمانكم (٣) - يعني صبيانكم ومجانينكم - وسلّ سيوفكم ورفع أصواتكم وحدودكم وخصومكم وبيعكم وشراءكم وحمروها يوم جمعتمكم واجعلوا على أبوابها بظاهركم» [١٠٨] (٤).

وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وجعفر وأهل المدينة: (بيتي) بفتح الياء وقرأ الآخرون: باسكانه واضافته تعالى إلى نفسه سبحانه تخصيصاً وتفضيلاً.

﴿للطائفين﴾ حوله وهم النزاح إليه من آفاق الأرض. ﴿والعاكفين﴾ أي المقيمين فيه وهم سكّان الحرم. ﴿والرّكع﴾ جمع الرّكع. ﴿السّجود﴾ جمع الساجد مثل قاعد وقعود.

قال عطاء: إذا كان طائفاً فهو من الطائفين وإذا كان جالساً فهو من العاكفين وإذا كان مصلياً فهو من الرّكع السجود.

الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ في كلّ يوم ليلة عشرين ومائة رحمة ينزل على هذا البيت فستون للطائفين وأربعون للمصلّين وعشرون للناظرين» [١٠٩] (٥).

(١) كنز العمال: ٩٣٣/١٥، وتفسير القرطبي: ١١٥/٢.

(٢) راجع تفسير القرطبي: ١١٤ / ٢.

(٣) في المصادر لا يوجد غلمانكم وما هو موجود: جنّبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم...

(٤) المجموع للنووي: ١٣٢/٢٠، وسنن ابن ماجه: ١/٢٤٧ ح ٧٥٠ ز

(٥) تاريخ دمشق: ٣٨٨/٣٤.

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا﴾ يعني مكة أو الحرم.
﴿بلداً آمناً﴾ أي مأموناً فيه يأمن أهله.

﴿وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ قال الأخفش: من آمن بدل من أهله على البيان، كما يُقال: أخذت المال ثلثه ورأيت القوم ناساً منهم، وهذا ابدال البعض من الكل كقوله: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾^(١).

﴿قال﴾ الله. ﴿ومن كفر فأمته قليلاً﴾ فسأرزقه آلى منتهى أجله لأنه تعالى وعد الرزق للخلق كافة كافرهم ومؤمنهم وقيد بالقلة لأن متاع الدنيا قليل. قرأ معاوية وابن عامر: فأمته بضم الألف وجزم الميم خفيفة، وقرأ أبي: فمتمته قليلاً ثم نظطره بالنون.

﴿ثم أضطره﴾ موصولة الألف مفتوحة الراء على عهد الدعاء من إبراهيم ﷺ، وقرأ الباقر: فأمته بضم الألف مشددة ثم اضطره على الخبر أي الجنة في الآخرة ﴿إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ أي المرجع تصير إليه.

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ روى الرواة من أسانيد مختلفة في بناء الكعبة جمعت حديثهم ونسقته ليكون أحسن في المنطق وأقرب إلى الفهم.

قالوا: خلق الله عز وجل موضع البيت قبل الأرض بألفي عام، فكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها. فلما أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض كان رأسه يمس السماء حتى صلح وأورث أولاده الصلح ونفرت من طوله دواب الأرض فصارت وحشاً من يومئذ، وكان يسمع كلام أهل السماء ودُعاءهم وتسييحهم، يأنس إليهم فهابته الملائكة واشتكت نفسه. فنقصه الله عز وجل إلى ستين ذراعاً بذراعه. فلما فقد آدم ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسييحهم استوحش، وشكا ذلك إلى الله عز وجل. فأنزل الله ياقوته من يواقيت الجنة الكلام مقطوع له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فأنزل الله فيه قناديل من الجنة فوضعه على موضع البيت إلى الآن ثم قال: يا آدم إنني أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يُطاف حول عرشي، وتصلني عنده كما يُصلني عند عرشي.

فأنزل عليه الحجر. فمسح به دموعه وكان أبيض فلما لمستته الحِيض في الجاهلية أسود.

وقال النبي ﷺ: «إنما الحجر ياقوته من يواقيت الجنة ولولا ما مسه المشركون بأنجاسهم ما مسه ذو عاهة إلا شفاه الله تعالى» [١١٠]^(٢).

فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً وقِيض^(٣) الله له ملكاً يده على البيت.

(١) سورة آل عمران: ٩٧. (٢) في هامش المخطوطة: قِيض: تقدير.

(٣) بتفاوت في الجامع الصغير: ١/٥٨٧ ح ٣٨٠٣، والعهد المحمدية: ٢٢٤.

قال لمجاهد: يا أبا الحجاج ألا كان يركب؟

قال: فأى شيء كان يحمله فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام وكلّ موضع وضع عليه قدمه عمران وما تعدّاه مفاوز وقفار فأتى مكة وحجّ البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقّته الملائكة فقالوا: برّحجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

قال ابن عباس: حجّ آدم أربعين حجّة من الهند إلى مكة على رجله فهذا بدء أمر الكعبة فكانت على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ثمّ لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، وبعث الله جبرائيل حتّى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة عن الغرق فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام ثمّ إنّ الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت له يعبد ويذكر فيه فلم يدر إبراهيم أين خبيء فسأل الله تعالى أن يبيّن له موضعه فبعث الله إليه السكينة ليدلّه على موضع البيت وهي ريح جموح لها رأسان شبه الحيّة فتبعها إبراهيم إلى أن أتيا مكة فطوّق الله السكينة على موضع البيت كتطويق الحيّة الحجفة وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبناه وهذا قول علي والحسن بن أبي الحسن، وقال ابن عباس: بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلّمات إلى أن وافت مكة ووقفت على موضع البيت، ونودي: أن يا إبراهيم إبنّي على ظلّها لا يزد ولا تنقص فبنى بخيالها.

وقال بعضهم: أرسل الله جبرائيل ليدلّه على موضع فذلك قوله ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾^(١) فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت، جعل إبراهيم بينه وإسماعيل يناوله الحجارة.

قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القطان البلخي وكان عالماً بالقرآن يقول: كان إبراهيم يفهم بالسريانية وإسماعيل بالعربية وكلّ واحد منهما يعرف ما يقول صديقه وما يمكن التفوّه به وكان إبراهيم يقول لإسماعيل: هبلي كنيا يعني: ناولني الحجر، ويقول إسماعيل: هاك الحجر خذه.

قالوا: فبقي موضع الحجر فذهب إسماعيل إليه فجاء جبرئيل بحجر من السماء فأتى إسماعيل وقد ركب إبراهيم الحجر في موضعه فقال له: من آتاك بهذا؟

فقال: آتاني به من لم يتكلّ على بناءك فأقاما البيت فذلك قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾^(٢).

قال ابن عباس: يعني أصول البيت التي كانت قبل ذلك.

(١) سورة الحج: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ١٢٧.

الكلبي وأبو عبيدة: أساسه واحدته قاعدة فبنياه من خمسة أجبل طور سيناء [. . . و طور سيناء والجودي]^(١) وبنياء قواعده من حرّاء، فلّما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل: جئني بحجر حسن يكون للناس علماً فأتاه بحجر فقال له: جئني بحجر أحسن من هذا، فمضى إسماعيل بطلبه فصاح أبو قبيس^(٢) يا إبراهيم إنّ لك عندي وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود ووضعه مكانه.

وقيل: إنّ الله تعالى مدّ لإبراهيم وإسماعيل بسبعة أملاك يعينونهما على بناء البيت فلّما فرغا من بنائه قالوا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ﴾ أي تقبل مّا بناؤنا البيت. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بنيّاتنا.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾ مؤخّدين مطيعين مخلصين ﴿لَكَ﴾.

وقرأ عون بن أبي جميلة: مسلمين بكسر الميم على الجمع.

﴿وَمَنْ ذَرَيْتَنَا﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً مُسْلِمَةً وَأَرْنَا﴾ علمنا نظيره قوله ﴿لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ أي: علّمك الله وفيه أربع قراءات:

عبد الله بن مسعود: وأرهم مناسكهم رده إلى الأمة.

وقرأ عمر بن عبدالعزيز وقتادة وابن كثير ورويس بسكون الرّاء كل القرآن.

وقرأ أبو عمرو: باختلاس كسره للواو.

وقرأ الباقون: بكسر الرّاء والأصل فيها أرانا بالهمز فحذفت استخفافاً.

فمن قرأ بالجزم قال: ذهبت الهمزة وذهبت حركتها وبقيت الرّاء ساكنة على حالها واستدل بقول السدي: أرنا أداة عبدالله نملأها من ماء زمزم إنّ القوم قد ظمّوا.

ومن كسر فأثّه نقل حركة الهمزة المحذوفة إلى الرّاء.

وأما أبو عمرو فطلب الخفة.

وأخير القاسم بن سلام عن شجاع بن أبي نصر قال، وكان أميناً صدوقاً: إنّ رأي النبي ﷺ في المنام فذكره أشياء من حرف أبي عمرو فلم يردّ عليه إلّا حرفين أحدهما هذا والآخر: ما ننسخ من آية أو ننسأها مهموزة.

﴿مَنَّا سَكَنًا﴾ شرائع ديننا وإعلام حجّتنا.

وقال مجاهد: مذابحنا والنسك: الذبيحة، وأصل النسك: العبادة يقال للعباد ناسك قال

(١) كلمات غير مقروءة.

(٢) في هامش المخطوطة: وهو جبل بمكة.

الشاعر:

وقد كنت مستوراً كثير تنسك فتهتكت أستاري ولم يبق لي نسكاً
فأجاب الله دعاءهما وبعث جبرئيل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال
لإبراهيم: عرفت يا إبراهيم؟

قال: نعم فسَمِّي الوقت عرفة والموضع عرفات.

﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ تجاوز عتاً وارجع علينا بالرفقة والرحمة.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ﴾ المتجاوز الرجوع بالرحمة على عبادك. ﴿الرَّحِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل.

وقيل: في أهل مكة ﴿رَسُولاً﴾ أي مرسلأ وهو فعول من الرسالة.

وقال ابن الأنباري: يشبه أن يكون أصله من قولهم ناقة مرسال ورسله إذا كانت سهلة السير ماضية أمام النواق.

ويقال للجماعة المهملة المرسلة: رسل وجمعه أرسال.

ويقال: جاء القوم ارسالاً أي: بعضهم في أثر بعض، ومنه قيل للبن رُسلأ لأنه يرسل من الضرع^(١).

﴿يَتْلُوا﴾ يقرأ ﴿عليهم آياتك﴾ كتابك جمع الآية وهي العلامة.

وقيل: الآية جماعة الحروف.

وقال الشيباني: هي قولهم: خرج القوم بما فيهم أي بجماعتهم.

﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فقال بعضهم: الآية هاهنا الكتاب فنسق عليه خلاف اللفظين

كقول الحطيئة:

ألا حبّذا هند وأرض بها هند وهند تفصيل اتى من دونها التأي والبعد

مجاهد: يعني الحكمة فهم القرآن.

مقاتل: هي مواظ القرآن وما فيه من الأحكام وبيان الحلال والحرام.

ابن قتيبة: هي العلم والعمل ولا يسمّى الرّجل حكيماً حتى يجمعهما.

وعن أبي بكر محمد بن الحسن البريدي: كلّ كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى

(١) راجع تفسير القرطبي: ٢ / ١٣١.

مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم، ومنه قول النبي ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً» [١١١] (١).

وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب: الحكمة كل صواب من القول ورث فعلاً صحيحاً أو حالاً صحيحاً.

يحيى بن معاذ: الحكمة جند من جنود الله يرسلها إلى قلوب العارفين حتى يروّح عنها وهج الدنيا، وقيل: هي وضع الأشياء مواضعها، وقيل: الحكمة والحكم كلما وجب عليك فعله.

قال الشاعر:

قد قلت قولاً لم يعتف قائله الصمت حكم وقليل فاعله
أي واجب العمل بالصمت.

وقيل: هي الشرك والذنوب، وقيل: أخذ زكاة أموالهم.

وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا الأنبياء بالبلاغ، دليله قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٢).

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ ابن عباس: العزيز الذي لا يوجد مثله، بيانه قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٣).

الكلبي: العزيز المنتقم ممن يشاء بيانه قوله ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (٤).

الكسائي: العزيز الغالب بيانه قوله ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ﴾ (٥): أي غلبنني.

وقيل في المثل: من عزيز.

ابن كيسان: العزيز الذي لا يعجزه شيء بيانه قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٦).

المفضّل بن سلمة: العزيز المنيع الذي لا تناله الأيدي فلا يردّ له أمر ولا يغلب فيما أراد بيانه قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَاعِلٌ لِمَا يَرِيدُ﴾ (٧).

(١) كثر العمال: ٨٦٥/٣، ولسان العرب: ١٤١/١٢.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) سورة الشورى: ١١.

(٤) سورة آل عمران: ٤.

(٥) سورة ص: ٢٣.

(٦) فاطر: ٤٤.

(٧) سورة هود: ١٠٧.

وقيل: بمعنى المعزّ فعيل بمعنى مفعول بيانه قوله ﴿وتعزّ من تشاء﴾^(١).

وقيل: هو القوي بيانه قوله ﴿فعرزنا بثالث﴾^(٢) أي قوينا. فأصل العزّة في اللّغة الشدّة يقال تعزز لحم الناقة إذا اشتدّ ويقال: عزّ عليّ أي شقّ عليّ وأشدتد، وأنشد أبو عمرو:

أجد إذا ضمّرت تعزّز لحمها وإذا نشد بتسعها لا تئس

فاستجاب الله دعاء إبراهيم وبعث فيهم محمّداً سيّد الأنبياء ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إني عبدالله في أمّ الكتاب لخاتم النبيّن وإنّ آدم لمجدل في طينة»^(٣) وسوف أنبئكم بذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى (عليهما السلام) قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنّه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك ترى أمّهات النبيّن» [١١٢] (٤).

سعيد بن سويد عن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ الآية.

وذلك إن عبد الله بن سلام دعا إبني أخيه سلمة ومهاجر إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما إنّ الله عزّ وجلّ قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجراً أن يسلم فأنزل الله تعالى.

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمُنزِلِينَ
الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّي الْعَلِيِّينَ ﴿١٣٣﴾ وَوَضِعْنَا يَمَافُ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا وَبَعَثْنَا فِي
بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَامُوا ظُلُومًا لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَعْمُرُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٤﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
المَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
إِلَهُهُمَا وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ أي يترك دينه وشريعته.

يقال: رغب في الشيء إذا أردته ورغبت عنه إذا تركته.

وأصل الرّغبة: رفع الهمة عن الشيء وإليه يقال: رغب فلان في فلان وإليه إذا همّت نفسه إليه، والأصل فيه الكرة فمعنى قوله تعالى ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ أي يرفع همته عنها ﴿إلا من سفه نفسه﴾.

(١) سورة آل عمران: ٢٦.

(٢) يس: ١٤.

(٣) في المصادر: طينته.

(٤) بتفاوت في مسند أحمد: ١٢٧/٤، وفتح الباري: ٤٢٦/٦.

قال ابن عباس: حير نفسه.

حيان عن الكلبي: ظلّ من [جهة] نفسه^(١).

أبو روق: عجز رأيه عن نفسه.

يمان: حمق رأيه، ونفسه منصوب في هذه الأقاويل بنزع حرف الصفة.

وقال الفراء: نصب على التفسير، والأصل: سفهت نفسه فلما أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس مفسّرة ليعلم موضع السفه كما يقال: ضقت به ذرعاً معناه: ضاق ذرعي به، ويقال: ألم زيد رأسه ووجع بطنه.

وقال أبو عبيدة: سفه نفسه: أي أوبق نفسه وأهلكها.

هشام وابن كيسان: جهل نفسه.

وحكى المفضل بن سلمة عن بعضهم سفه. حقر نفسه.

والنفس على هذه الأقوال نصب لوقوع الفعل عليه وهذا كما جاء في الخبر: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» [١١٣] ^(٢).

وأصل السفه والسفاهة: الخفة والجهل وضعف الرأي يقال سفه يسفه وسفه يسفه.

﴿ولقد اصطفيناه﴾ اخترناه ﴿في الدنيا﴾ وأصل الطاء فيه تاء حوّلت طاء لقرب مخرجها ولتطوع اللسان به.

﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ الفائزين. قال الزجاج وقال ابن عباس: يعني مع آبائه الأنبياء في الجنة بيانه قوله: خطابه عن يوسف ﴿توفني مسلماً وألحقتني بالصالحين﴾ ^(٣).

وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها لقد إصطفيناه في الدنيا والآخرة بأنه لمن الصالحين نظيرها في سورة النحل. ﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ أي استقم على الإسلام أو أثبت عليه لأنه كان مسلماً كقوله تعالى ﴿فاعلم إنه لا إله إلا الله﴾ ^(٤) أي أثبت على علمك.

وقال ابن عباس: إنما قال له ذلك حين ألقى في النار، وعن ابن كيسان: أخلص دينك لله بالتوحيد.

عطاء: أسلم نفسك إلى الله، وفوض أمورك لله، وقيل: إخضع وإخضع.

(١) راجع زاد المسير لابن الجوزي: ١ / ١٣٢ ونسبه للزجاج.

(٢) مناقب الخوارزمي: ٣٧٥، وفيض القدير: ٦٤/٥ ح ٦٤١٦.

(٣) سورة يوسف: ١٠١. (٤) سورة محمد: ١٩.

﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾ ﴿ووصى﴾ في مصحف عبد الله: فوصى، وقال أهل المدينة والشام: وأوصى بالألف، وكذلك هو في مصاحفهم.

قال أبو عبيد: وكذلك رأيت في مصحف عثمان، وقرأ الباقون «ووصى» مشدداً، وهما لغتان، يُقال: أوصيته قد وصيته به إذا أمرته به مثل: أنزل ونزل. قال الله ﴿فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً﴾^(١)، وتصديق الأيضاء قوله ﴿يوصيكم الله﴾^(٢)، وقوله ﴿يوصين﴾^(٣)، ودليل التوصية قوله ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾^(٤)، وقوله ﴿فلا يستطيعون توصية﴾^(٥).

الكلبي ومقاتل: يعني كلمة الأحاد لا إله إلا الله، وقال أبو عبيدة: إن شئت رددت الكناية إلى الملة لأنه ذكر ملة إبراهيم وأن شئت رددتها إلى الوصية.

وقال المفضل: بالطاعة كناية عن غير المذكور، كقوله ﴿حتى توارت بالحجاب﴾^(٦)، وقال طرفة:

على مثلها الحواء إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك عنها وافتدي أي من الفلاة.

﴿بها إبراهيم بنيه﴾ التمنية: إسماعيل وأمه هاجر القبطية، وإسحاق وأمه سارة، ومدين و... سراين^(٧) ونقشان، وآتون، ويشبق، وشوخ، وأمهم جميعاً - قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة.

وقوله تعالى ﴿ويعقوب﴾ وسُمي بذلك لأنه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره فأخذ يعقبه. قاله ابن عباس وقد مضت القصة.

وقيل: سُمي يعقوب لكثرة عقبه، وعن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثت على أثر ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل» [١١٤]^(٨).

ومعنى الآية: ووصى بها أيضاً، ويعقوب: بنيه الأثني عشر وهم روفيل أكبر ولده وشمعون ولاوي وهودا وفريالون وسجر ودان ومفتالي وجاد واشرب^(٩) ويوسف وابن يافين.

(١) سورة الطارق: ١٧. (٢) سورة النساء: ١١.

(٣) سورة النساء: ١٢. (٤) سورة العنكبوت: ٨.

(٥) سورة يس: ٥٠.

(٦) سورة ص: ٣٢.

(٧) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٨) كنز العمال: ٤٨٣/١١ ح ٣٢٢٨٠، والبداءة والنهاية: ١٨٣/٢.

(٩) في تفسير الطبري (١ / ٧٩٠): لاوي ويهوذا وريالون ويشجر ونفثالي وجاد واشرب ويوسف ويعقوب وشمعون ودان وبنيامين.

﴿يا بني﴾ معناه أن يا بني، وكذلك في قراءة أبي وابن مسعود، وقال الفراء: إنما قال ذلك لأن الوصية قول وكان تقديره وقال: يا بني كقوله ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾^(١) أي وقال لهم لأن العبرة بالقول وقال ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر﴾^(٢) معناه ويقول للذكر مثل حظ الأنثيين.

وقال الشاعر:

إني سأبدي لك فيما أبدي من شجنان شجن نجد وشجن لي ببلاد الهند
أي وأقول لأنّ الابداء في المعنى كالقول باللسان.

وحكى ابن مجاهد عن بعضهم ويعقوب أيضاً نسقاً على بنيه لأنه في جملة الموصين.

﴿إن الله إصطفى لكم الدين﴾ اختار لكم الإسلام.

﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ مؤمنون وقيل: مخلصون وقيل: مفوضون وعن الفضيل ابن عياض في قوله: ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ أي محسنون بربكم الظن.

﴿أم كنتم شهداء﴾ حضوراً.

﴿إذ حضر يعقوب الموت﴾ الآية نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ: أأنت تعلم إن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية^(٣)؟ وعلى هذا القول [.....]^(٤) بن الخطاب لليهود.

وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران فجمع ولده وخاف عليهم ذلك.

﴿إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾ قال عطاء: إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب قال: أنظرنني حتى أسأل ولدي وأوصيهم ففعل الله ذلك به، فجمع ولده وولد ولده وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي؟ أي من بعد موتي.

﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم﴾ الآية، وقرأ أبي: إلهك وإله إبراهيم وإسماعيل.

وقرأ يحيى بن يعمر الجحدري: وإله أبيك على الواحد، قالوا: لأنّ إسماعيل عم يعقوب لا أبوه.

وقرأ العامة: آبائك على الجمع وقالوا: عم الرجل صنو أبيه.

(١) سورة المائدة: ٩.

(٢) سورة النساء: ١١.

(٣) راجع زاد المسير لابن الجوزي: ١ / ١٣٣.

(٤) كلمة غير مقروءة.

قال النبي ﷺ: «هذا بقية آبائي» [١١٥]، وقال أيضاً: «ردّوا عليّ أبي فأني أخشى أن يفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود» [١١٦]. يعني العباس.

والعرب تسمي العمّ أباً وتسمي الخالة أمّاً قال الله تعالى ﴿ورفع أبويه على العرش﴾^(١) يعني يعقوب وليّا وهي خالة يوسف.

﴿إلهاً واحداً﴾ أي نعرفه ونعبده إلهاً واحداً.

﴿ونحن له مسلمون﴾ ﴿تلك أمة﴾ جماعة ﴿قد خلّت لها ما كسبت﴾ من الدين والعمل.

﴿ولكم ما كسبتم﴾ منها.

﴿ولا تُستلون عمّا كانوا يعملون﴾ وإنّما تسألون عمّا تعملون أنتم.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ لَنْ يَهْتَدِيَ حِينًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ قُولُوا
ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَهُ إِزْهَقْ لِإِسْتِعْلِيلٍ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى
وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٦﴾ فَإِنِ ءَامَنُوا بِبِشْرِ مَا ءَامَنْتُمْ
بِهِ فَقَدْ ءَاهْتَدُوا وَإِن لَّوَلُوا فإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ نَسْتَكْفِيكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾

﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤوس يهود أهل

المدينة كعب بن الأشرف ومالك بن المصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى أهل نجران: السيّد والعاقب وأصحابهما وذلك إنهم خاصموا المسلمين في الدين كلّ فرقة تزعم إنّها أحقّ بدين الله من غيرها فقالت اليهود ديننا خير الأديان ونبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وكفرت بعيسى والأنجيل ومحمّد والقرآن.

وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الأنجيل أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمّد والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلّا ذلك دعوهم إلى دينهم إلا الحنيفية. فقال الله تعالى: قل يا محمّد ﴿بل ملّة﴾ أي بل نتبع ملّة إبراهيم ﴿وقرأ الأعرج﴾: (بل ملّة) رفعاً على الخبر.

﴿حنيفاً﴾ نصب على القطع. أراد بل ملّة إبراهيم الحنيف فلمّا أسقطت الألف واللام لم تتبع النكرة المعرفة. فانقطع منه فنصب قاله نحاة الكوفة، وقال أهل البصرة: نصب على الحال قال ابن عباس: الحنيف: المائل عن الأديان كلّها إلى دين الإسلام، وأصلها من الحنف وهو ميل وعوج في القدم ومنه سمي أحنف بن قيس.

مقاتل: مُخلصاً.

كثير بن زياد قال: سألت الحسن عن الحنيفة فقال: هي حج هذا البيت.

الضحاك: إذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن فهو المسلم.

قتادة: من الحنيفة الختان، وترك نكاح الأخت.

﴿وما كان من المشركين﴾ علم المسلمين مجرى التوحيد وطريق الأيمان. فقال ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ يعني القرآن ﴿وما أنزل إلى إبراهيم﴾ وهو عشر صحف.

﴿وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط﴾ يعني أولاد يعقوب واحدهم سبط. سموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة من الناس وسبط الرجل حافده، ومنه قيل للحسن والحسين (عليهما السلام) سبطا رسول الله ﷺ، والأسباط من بني إسرائيل كالقبايل من العرب، والشعوب من العجم.

وعن أبي سعيد الضرير: إن أصل السَّبَط في اللغة شجرة ملتفة كثيرة الأغصان فُسِمِي الأسباط بها لكثرتها. فكما إن الأغصان من شجرة واحدة كذلك الأسباط كانوا من يعقوب، وكان في الأسباط أنبياء، وكذلك قال ﴿وما أنزل إليهم﴾ وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء.

﴿وما أوتي موسى﴾ يعني التوراة.

﴿وعيسى﴾ الانجيل. ﴿وما أوتي﴾ أعطي.

﴿النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى.

﴿ونحن له مسلمون﴾ فلما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله ﷺ على اليهود والنصارى وقال: ﴿إن الله أمرني بهذا﴾ [١١٧] فلما سمعت اليهود بذكر عيسى أنكروا وكفروا به وكفرت النصارى وقالوا: لأن عيسى ليس بمنزلة سائر الأنبياء ولكنه ابن الله فأنزل الله تعالى ﴿فإن آمنوا﴾ يعني اليهود النصارى.

﴿بمثل ما آمنتكم به﴾ أي بجميع ما آمنتكم كإيمانكم، وقيل مثل صلة أي بما آمنتكم به، وهكذا كان يقرأها ابن عباس ويقول: إقرؤا (فإن آمنوا بما آمنتكم به) فليس لله مثل ونظيره قوله: ﴿وليس كمثل شئ﴾: أي كهو. قال الشاعر:

يا عاذلي دعني من عدلكا مثلي لا يقبل من مثلكا
أي أنا لا أقبل منك.

﴿فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾ قال ابن عباس وعطاء والأخفش: في خلاف يقال: شاق يشاق مشاقّة إذا خالف كان كل واحد أخذ في شقّ غير شقّ صاحبه دليله قوله ﴿لا يجرمكم شقاقي﴾^(١) أي خلافي وأنشد:

فكان إليها والذي إصطاد بكرها شقاقاً وبعضهن أو لطم وأهجرا
وقال ابن سلمة والسدي: في عداوة كان كل واحد منهما أخذ في شقّ صاحبه أي في جهده وما يشق عليه من قوله ﴿لأبشق الأنفس﴾^(٢) دليله قوله: ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾^(٣) أي عادوا الله ورسوله.

قال بشر بن أبي حازم:

ولأفاعلموا أنا وأنتم بغاة ما حيننا في شقاق
أي في عداوة.

مقاتل وابو عبيدة: في ضلال واختلاف بيانه قوله ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾^(٤) أي اختلاف بينهما.

قال الشاعر:

إلى كم نقتل العلماء قسراً ونفجر بالشقاق وبالنفاق
أي بالضلال والاختلاف.

الكسائي: هي خلع الطاعة بيانه قوله ﴿ومن يشاقق الرسول﴾^(٥).

الحسن: في بعاد وفراق إلى يوم القيامة.

﴿فسيكفيهم الله﴾ يا محمد يعني اليهود والنصارى.

﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم.

﴿العليم﴾ بأحوالهم وكفاهم الله تعالى أمرهم بالقتل والسبي في بني قريظة والجللاء والنفي في بني النضير والجزية والذلة في نصارى نجرانمحتوى الجزء الأول من كتاب تفسير الثعلبي.

(١) سورة هود: ٨٩.

(٢) سورة النحل: ٧.

(٣) سورة الأنفال: ١٣.

(٤) سورة النساء: ٣٥.

(٥) سورة النساء: ١١٥.

محتوى الجزء الأول من كتاب تفسير الثعلبي

٥	ترجمة الثعلبي
٧	التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه
٧٣	مقدمة المصنف
٨٩	تفسير فاتحة الكتاب
٩٢	التفسير وبالله التوفيق
١٠١	في أن التسمية من الفاتحة أو لا؟
١٠٥	الكلام في جزئية البسمة من باقي السور
١٠٥	حكم الجهر بالبسمة في الصلاة
١٠٩	في إعراب ﴿الحمد لله﴾
١١٤	الفرق بين ملك ومالك
١١٩	الإختلاف في قراءة الصراط
١٢٣	في معنى الغضب
١٢٤	فصل في آمين
١٢٦	فصل في أسماء هذه السورة
١٣٥	سورة البقرة
١٤٢	فصل في التقوى
١٤٥	فصل في الإيمان
١٦٥	القول في معنى الآيتين ونظمهما وحكمهما
١٧٧	فصل في معنى الخليفة
١٧٩	القول في حد الاسم وأقسامه

طَبَعَ عَلَى مَطْبَعِ
وَأَزَاهِيَاءِ النَّزَاهِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ